

# فيض الحقائق في إنباء الفضائل

للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البُستِي  
المتوفى سنة ٣٥٤ من الهجرة وهو في عشر الثمانين  
رحمه الله

---

بتحقيق وتصحيح

محمد محي الدين عبد الحميد  
عفا الله عنه

محمد حامد الفقي  
رئيس جماعة أنصار السنة الموحدة

محمد عبد الرزاق حمزة  
المدرس بالمسجد الحرام

---

١٣٦٨ - ١٩٤٩ م

دار السنة الحقة

٧٩٠١٧ ت





## ترجمة الإمام ابن حبان<sup>(١)</sup>

أبو حاتم محمد بن حبان بن معاذ بن سعيد بن سعيد بن شهيد التميمي - كذا  
نسبه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد البخاري ، المعروف بفتحجار ، وواقفه غيره  
إلى سعيد - ثم قال : ابن هدية بن مرة بن سعد بن يزيد بن مرة بن زيد بن عبد الله  
ابن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن  
طابخة بن إلياس بن مضر .

الإمام العلامة الفاضل المتقن ، كان مكثراً من الحديث والرحلة ، والشيخ ،  
عالماً بالمتون والأسانيد ، أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره . ومن تأمل  
تصانيفه تأمل منصف علم أن الرجل كان بمرأى في العلوم .

سافر ما بين الشاش والإسكندرية ، وأدرك الأئمة والعلماء ، والأسانيد  
العالية ، وأخذ فقه الحديث والفرص على معانيه : عن إمام الأئمة أبي بكر بن  
خزيمة ، ولازمه وتلمذ له ، وصارت تصانيفه عدة لأصحاب الحديث ، غير أنها  
عزيزة الوجود .

سمع يلقاه بسبب : أبا أحمد إسحاق بن إبراهيم القاضي ، وأبا الحسن محمد  
ابن عبد الله بن جنيد البستي .

وبهارة : أبا بكر محمد بن عثمان بن سعد الدارمي .

وبمرو : أبا عبد الله وأبا عبد الرحمن عبد الله بن محمود بن سليمان السعدي ،  
وأبا يحيى محمد بن يحيى بن خالد المديني .

---

(١) عن معجم البلدان لياقوت ( ج ٢ ص ١٧١ - ١٧٨ ) .

و بقرية سنج : أبا علي الحسين بن محمد بن مصعب السنجي ، وأبا عبد الله محمد بن نصر بن ترقل الهورقاني .

و بالصغد بما وراء النهر : أبا حفص عمر بن محمد بن يحيى الحمداني .

و بفسا : أبا العباس الحسن بن سفيان الشيباني ، ومحمد بن عمر بن يوسف ، ومحمد بن محمود بن عدي النسويين .

و بفسابور : أبا العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم السراج الثقي ، وأبا محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن شيرويه الأزدي .

و بأرغيان : أبا عبد الله محمد بن المنيب بن إسحاق الأرغواني .

و بخرجان : عمران بن موسى بن مجاشع ، وأحمد بن محمد بن عبد الكريم الوزان الجرجانيين .

و بالري : أبا القاسم العباس بن الفضل بن عاذان المقرئ . ، وعلي بن الحسن بن مسلم الرازي .

و بالكرج : أبا عمارة أحمد بن عمارة بن الحجاج الحافظ ، والحسين ابن إسحاق الأصبهاني .

و بسكر مكرم : أبا محمد عبد الله بن محمد بن موسى الجواليقي ، المعروف بعبدان الأهوازي .

و بفساتر : أبا جعفر محمد بن محمد بن يحيى بن زهير الحافظ .

و بالأهواز : أبا العباس محمد بن يعقوب الخطيب .

و بالأبلة : أبا يعلى محمد بن زهير ، والحسين بن محمد بن بسطام الأبلين .

و بالبصرة : أبا خليفة الفضل بن الحباب الجعي ، وأبا يعلى زكرياء بن يحيى

الساجي ، وأبا سعيد عبد الكريم بن عمر الخطابي .

وبواسط : أبا محمد جعفر بن أحمد بن سنان القطان ، والخليل بن محمد  
الواسطي ابن بفت تميم بن المنتصر .  
وبقم الصلح : عبد الله بن قحطبة بن مرزوق الصلحي .  
وبنهر سابس ، قرية من قرى واسط : خلاد بن محمد بن خالد الواسطي .  
وببنداد : أبا العباس حامد بن محمد بن شبيب البلخي ، وأبا أحمد الهيثم بن  
خلف الدوري ، وأبا القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي .  
وبالكوفة : أبا محمد عبد الله بن زيدان البجلي .  
وبمكة : أبا بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري الفقيه ، صاحب  
كتاب الإشراف في اختلاف الفقهاء ، وأبا سعيد المفضل بن محمد بن إبراهيم  
الجندي .

وبسامرا : علي بن سعيد العسكري - عسكر سامرا .  
وبالموصل : أبا يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلی ، وهارون بن المسكين  
البلدي ، وأبا جابر زيد بن علي بن عبد العزيز بن حيان الموصلی ، وروح بن  
عبد الحميد الموصلی .  
وببلد سنجان : علي بن إبراهيم بن الهيثم الموصلی .  
وبنصيبين : أبا السري هاشم بن يحيى النصيبيني ، ومسدد بن يعقوب بن  
إسحاق الفلوسي .

وبكفرتوتی ، من ديار ربيعة : محمد بن الحسين بن أبي معشر السلمي .  
وبسرغامرطا ، من ديار مضر : أبا بدر أحمد بن خالد بن عبد الملك بن  
عبد الله بن مسرح الحراشي .  
وبالراقة : محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن فروخ البغدادي .

وبالرقّة : الحسين بن عبد الله بن يزيد القطان .  
 وبمثنى : عمر بن سعيد بن سنان الحافظ ، وصالح بن الأصمغ بن عامر التنوخي .  
 وبحلب : علي بن أحمد بن عمران الجرجاني .  
 وبالمصيصة : أبا طالب أحمد بن داود بن محسن بن هلال المصيمي .  
 وبأنطاكية : أبا علي وصيف بن عبد الله الحافظ .  
 وبطرشوس : محمد بن يزيد الدورقي ، وإبراهيم بن أبي أمية الطرسوسي .  
 وبأذنة : محمد بن علان الأذني .  
 وبصيدا : محمد بن أبي المعافى بن سليمان الصيداوي .  
 وببيروت : محمد بن عبد الله بن عبد السلام البيروتي المعروف بمكحول .  
 وبجمنص : محمد بن عبد الله بن الفضل الكلاعي الراهب .  
 وبدمشق : أبا الحسن أحمد بن عير بن حوصاء الحافظ ، وجعفر بن أحمد  
 ابن عامر الأنصاري ، وأبا العباس حاجب بن أركين انقرغاني الحافظ .  
 وبالبيت المقدس : عبد الله بن محمد بن مسلم المقدسي الخطيب .  
 وبالرملة : أبا بكر محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني .  
 وبمصر : أبا عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي ، وسعيد بن داود  
 ابن وردان المصري ، وعلي بن الحسين بن سليمان المعدل .  
 وجماعة كثيرة من أهل هذه الطبقة سوى من ذكرناهم .  
 وروى عنه الحاكم أبو عبد الله الحافظ ، وأبو عبد الله بن منده الأصبهاني ،  
 وأبو عبد الله محمد بن أحمد الفنجار الحافظ البخاري ، وأبو علي منصور بن عبد الله  
 ابن خالد الذهلي المروزي ، وأبو مسلمة محمد بن محمد بن داود الشافعي ، وجعفر  
 ابن شعيب بن محمد السمرقندي ، والحسن بن منصور الإسبيجاني ، والحسن بن  
 محمد بن سهل القارسي ، وأبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن هارون الزوزني ،

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن خُشام الشُّروطى ، وجماعة كثيرة لا تحصى .

أخبرنا القاضى الإمام أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبى الفضل الأنصارى الحَرَسَتَانِ - إِذْنَا - عن أبى القاسم زاهر بن طاهر الشحامى عن أبى عثمان سعيد البحترى قال : سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول :

أبو حاتم البستي القاضى كان من أوعية العلم فى اللغة والفقه والحديث والوعظ ، ومن عقلاء الرجال ، صنف ، فخرج له من التصنيف فى الحديث ما لم يُسبق إليه ، وولى القضاء بسمرقند وغيرها من المدن . ثم ورد نيسابور سنة ٣٣٤ وحضرناه يوم الجمعة بعد الصلاة ، فلما سألناه الحديث نظر إلى الناس ، وأنا أصغرم سناً - فقال : استئمل ، قلت : نعم ، فاستملت عليه ، ثم أقام عندنا ، وخرج إلى القضاء بنيسابور وغيرها ، وانصرف إلى وطنه ، وكانت الرحلة بخراسان إلى مصنفاته .

أخبرنا أبو اليمين زيد بن الحسن الكندى - شَفَاهَا - قال : أخبرنا القاضى أبو بكر محمد بن عبد الباقي - إِذْنَا - عن أبى بكر أحمد بن على بن ثابت - كتابة - قال : ومن الكتب التى تكثر منافسها ، إن كانت على قدر ما رجعها به واضعوها : مصنفات أبى حاتم محمد بن حبان البُستى التى ذكرها لى مسعود بن ناصر السجزي ، ووقفنى على تذكرة بأسائها ، ولم يقدر لى الوصول إلى النظر فيها ، لأنها غير موجودة بيننا ، ولا معروفة عندنا ، وأنا أذكر منها ما استحسنته ، سوى ما عدلت عنه واطرحته .

فمن ذلك : كتاب الصحابة ، خمسة أجزاء . وكتاب التابعين : اثنا عشر جزءاً . وكتاب أتباع التابعين : خمسة عشر جزءاً . وكتاب تبع الأتباع : سبعة عشر جزءاً ، وكتاب تبع تبع : عشرون جزءاً . وكتاب الفصل بين القلة :

عشرة أجزاء . وكتاب العلل ، علل أوهم أصحاب التواريخ : عشرة أجزاء . وكتاب  
 علل حديث الزهري : عشرون جزءا . وكتاب علل حديث مالك : عشرة أجزاء .  
 وكتاب علل مناقب أبي حنيفة ومثالبه : عشرة أجزاء . وكتاب علل ما استند إليه  
 أبو حنيفة : عشرة أجزاء . وكتاب ما خالف الثوري [فيه] شعبة : ثلاثة أجزاء .  
 وكتاب ما انفرد فيه أهل المدينة من السنن : عشرة أجزاء . وكتاب ما انفرد به  
 أهل مكة من السنن : عشرة أجزاء ، وكتاب ما عند شعبة عن قتادة ، وليس عند  
 سعيد عن قتادة : جزءان ، وكتاب غرائب الأخبار : عشرون جزءا . وكتاب  
 ما أغرب [فيه] الكوفيون عن البصريين : عشرة أجزاء . وكتاب ما أغرب  
 البصريون [فيه] عن الكوفيين : ثمانية أجزاء ، وكتاب أسامي من يُعرف  
 بالكنية : ثلاثة أجزاء . وكتاب كُنى من يعرف بالأسامي : ثلاثة أجزاء .  
 وكتاب الفصل والوصل : عشرة أجزاء . وكتاب التمييز بين حديث النضر  
 الحداقي والنضر الحراز : جزءان . وكتاب الفصل بين حديث أشعث بن مالك  
 وأشعث بن سوار : جزءان ، وكتاب الفصل بين حديث منصور بن المعتمر  
 ومنصور بن راذان : ثلاثة أجزاء . وكتاب الفصل بين مكحول الشامى  
 ومكحول الأزدي : جزء . وكتاب موقوف ما رفع : عشرة أجزاء . وكتاب  
 آداب الرجال : جزءان . وكتاب ما أسند جُفادة عن عباد : جزء . وكتاب  
 الفصل بين حديث ثور بن زيد وثور بن يزيد : جزء ، وكتاب ما جعل  
 عبد الله بن عمر عبيد الله بن عمر : جزءان . وكتاب ما جعل شيان سفيان ،  
 أو سفيان شيان : ثلاثة أجزاء ، وكتاب مناقب مالك بن أنس : جزءان ، وكتاب  
 مناقب الشافعي : جزءان ، وكتاب المعجم على المدن : عشرة أجزاء ، وكتاب المقلتين  
 من الحجازيين : عشرة أجزاء . وكتاب المقلتين من العراقيين : عشرون جزءا .  
 وكتاب الأبواب المفرقة : ثلاثون جزءا . وكتاب الجمع بين الأخبار المتضادة :



جزءان ، وكتاب وصف المعدل والمعدل : جزءان . وكتاب الفصل بين حدثنا وأخبرنا : جزء . وكتاب وصف العلوم وأنواعها : ثلاثون جزءا . وكتاب الهداية إلى علم السنن ، قصد فيه إظهار الصناعتين اللتين هما صناعة الحديث والفقه ، يذكر حديثا ويترجم له ، ثم يذكر من يتفرد بذلك الحديث ، ومن مفاريد أي بلد هو ؟ ثم يذكر كل اسم في إسناده من الصحابة إلى شيخه بما يعرف من نسبه ومولده وموته وكنيته وقبيلته وفضله وتيقظه ، ثم يذكر مافي ذلك الحديث من الفقه والحكمة . فإن عارضه خبر ذكره وجمع بينهما . وإن تضاد لفظه في خبر آخر تلطفت للجمع بينهما حتى يعلم مافي كل خبر من صناعة الفقه والحديث معا . وهذا من أنبل كنيه وأعزها .

قال أبو بكر الخطيب : سألت مسعود بن ناصر - يعني السجزي - فقلت له : أكل هذه الكتب موجودة عندكم ، ومقدور عليها ببلاذكم ؟ فقال : إنما يوجد منها الشيء اليسير ، والنزر الحقير . قال : وقد كان أبو حاتم بن حبان سبّل كتيبه ووقفها ، وجعلها في دار رسمها بها . فكان السبب في ذهابها مع تطاول الزمان ، وضعف السلطان ، واستيلاء ذوى العيث والفساد ، على أهل تلك البلاد .

قال الخطيب : ومثل هذه الكتب الجليلة كان يجب أن يكثر بها النسخ ، ويتنافس فيها أهل العلم ويكتبوها ، ويجلدوها ، إحرازاً لها . ولا أحسب المانع من ذلك إلا قلة معرفة أهل تلك البلاد بمحل العلم وفضله ، وزهدهم فيه ، ورغبتهم عنه ، وعدم بصيرتهم به . والله أعلم .

قال الإمام تاج الإسلام : وحصل عندي من صكته بالإسناد المتصل سماء : كتاب التقسيم والأنواع : خمس مجلدات ، قرأتها على أبي القاسم الشحامى عن أبي الحسن البجاني عن أبي هارون الزوزنى عنه . وكتاب روضة العقلاء .

[وهو هذا] قرأته على حنبل السجزي عن أبي محمد التوفي عن أبي عبد الله الشروطي عنه .

وحصل عندي من تصانيفه خير مسندة عدة كتب ، مثل كتاب الهداية إلى علم السنن ، من أوله قدر مجلدين .

وله - وهو أشهر من هذه كلها - كتاب الثقات ، وكتاب الجرح والتعديل ، وكتاب شعب الإيمان ، وكتاب صفة الصلاة ، أدرك عليه في كتاب التقاسيم . فقال : في أربع ركعات يصلحها الإنسان ستمائة سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أخرجناها بنصورها في كتاب صفة الصلاة ، فأغنى ذلك عن نظمها في هذا النوع من هذا الكتاب .

قال أبو سعد : سمعت أبا بكر وجيه بن طاهر الخطيب ، بقصر الریح ، سمعت أبا محمد الحسن بن أحمد السرقندي ، سمعت أبا بشر عبد الله بن محمد بن هارون سمعت عبد الله بن محمد الأسترباذي يقول : أبو حاتم بن حبان البستي كان على قضاء سرقند مدة طويلة ، وكان من فقهاء الدين ، وحفاظ الآثار وللشهورين في الأمصار والأقطار ، عالماً بالطب والنجوم وفنون العلم . أتف كتاب المسند الصحيح والتاريخ والضعفاء والكتب الكثيرة من كل فن .

أخبرتني الحرة زينب الشعرية - إذنا - عن زاهر بن طاهر ، عن أحمد بن الحسين الإمام ، سمعت الحافظ أبا عبد الله الحاكم يقول : أبو حاتم بن حبان داره التي هي اليوم مدرسة لأصحابه ومسكن للقرباء الذين يقيمون بها من أهل الحديث والمثقة ، ولم جرايات يستنفقونها ، داره ، وفيها خزانة كتبه في يدي وصي ، سلمها إليه لينقلها لمن يريد نسخ شيء منها في الصفة ، من غير أن يخرجها منها ، شكر الله له عنايته في تصنيفها ، وأحسن مثوبته على جميل نيته في أمرها بفضل ورأفته ! .

وأخبرني القاضي أبو القاسم الحرستاني في كذبه ، قال : أخبرني وجيه بن طاهر الخطيب بقصر الرمح - إذا - سمعت الحسن بن أحمد الحافظ سمعت أبا بشر النيسابوري يقول سمعت أبا سعيد الأهرسي يقول : سمعت أبا حامد أحمد بن محمد بن سعيد النيسابوري - الرجل الصالح سرقند - يقول : كنا مع أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة في بعض الطريق من نيسابور ، وكان معا أبو حاتم البستي ، وكان سألته ويؤذيه ، فقال له محمد بن إسحاق بن خزيمة : يا بارد ، تنح عني ، لا تؤذي ، أركلة محوها ، وكتب أبو حاتم مفاوته ، فقيل له : تكتب هذا ؟ فقال : هم أكتب كل شيء بقوله .

أخبرني الخطيب أبو الحسن لسديدي - مشافهة - عمرو - قال : أخبرني أبو سعد - إذا - أخبرنا أبو علي إسماعيل بن أحمد بن الحسين البيهقي - إجازة - سمعت والدي سمعت الحاكم أبا عبد الله يقول : سمعت أبا علي الحسين بن علي الحافظ - وذكر كتاب المروحين لأبي حاتم البستي ، فقال : كان لعمر بن سعيد ابن سنان التميمي أن رحل في طلب الحديث ، وأدرك هؤلاء الشيوخ ، وهذا تصيحه - وأساء القول في أبي حاتم .

قال الحاكم : أبو حاتم كبير في العلوم ، وكان يُحسد لفضله وتقدمه . وقلت من خط صديقنا الإمام الحافظ أبي نصر عبد الرحيم بن النفيس بن هبة الله بن وهب السلي الحديثي - وذكر أنه نقله من خط أبي الفضل أحمد بن علي بن عمرو السلياني للبيكندي الحافظ من كتاب شيوحيه - وكان قد ذكر فيه ألف شيخ في باب الكذابين - قال : وأبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي ، قدم علينا من سمرقند سنة ٣٣٠ أرسنة ٣٢٩ ، فقال لي أبو حاتم سهل بن السري الحافظ : لا تكتب عنه ، فإنه كذاب . وقد صنف لأبي الطيب المصنعي كتاباً في القرامطة حتى قلبه قضاء سمرقند ، فلما أخبر أهل سمرقند بذلك أرادوا أن

يقتلوه ، فهرب ودخل بخارى ، وأقام دلالاً في البرازين ، حتى اشترى له ثياباً بخمسة آلاف درهم إلى شهرين وهرب في الليل ، وذهب بأموال الناس .

قال : وسمعت السليمانى الحافظ بنيسا نور قال لى : كتبت عن أبى حاتم البستي ؟ فقلت : نعم . فقال : إياك أن تروى عنه . فإنه جاءنى فكعب مصصاتى ، وروى عن مشايخى ، ثم إنه خرج إلى سجستان مكناه فى القرامطة ، إلى ابن بابو ، حتى قبله وقلده أعمال سجستان ، فمات به .

قال السليمانى : فرأيت وجهه وجه الكدابين ، وكلامه كلام الكدابين . وكان يقول . يا بني ، اكتب : أبو حاتم محمد بن حبان البستي إمام الأئمة ، حتى كتبت بين يديه ، ثم محوته ، قال أبو يعقوب إسحاق بن أبى إسحاق القرآب : سمعت أحمد بن محمد بن صالح السجستاني يقول : توفى أبو حاتم محمد بن أحمد بن حبان سنة ٣٥٤ .

وعن شيخنا أبى القاسم الخراسانى عن أبى القاسم الشحامى عن أبى عثمان سعيد ابن محمد البهترى سمعت محمد بن عبد الله الضبي يقول : توفى أبو حاتم البستي ليلة الجمعة ثمان ليالٍ بقين من شوال سنة ٣٥٤ .

ودفن بعد صلاة الجمعة فى الصُّعَّة التى ابنها بمدينة بُسْت بقرب داره . وذكر أبو عبد الله العُتُبَار الحافظ فى تاريخ بخارى : أنه مات بسجستان سنة ٣٥٤ وقبره يُنسب معروف إلى الآن يزار ، فإن لم يكن نقل من سجستان إليها بعد الموت ، وإلا فالصواب أنه مات ببست .

## مسند الكتاب إلى المؤلف

أخبرنا الشيخ الإمام الحافظ أبو محمد عبد القادر بن عبد الله الرُّهاوي أدام الله نبيه ! وأجزل من كل خير مريده ! في شهر سنة اثنتين وستائة .  
قال : حدثنا الأمير القاضي الإمام عمدة الدين معين الإسلام ناصر السنة أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحسين بن محمد بن سعيد بن محمد بن سعيد بن محمد التوسنجي من لفظه ببوسنج<sup>(١)</sup> في شهر سنة اثنتين وستين وخمسمائة .  
قال : أخبرنا الشيخ لإمام العالم الزاهد عفيف الدين أبو جعفر حنبل بن علي بن الحسين الخدي الصوفي الشافعي ، رحمه الله !  
قال : أخبرنا الشيخ أبو محمد أحمد بن محمد بن أحمد القوي<sup>(٢)</sup> سنة تسع وسبعين وأربعمائة .

قال : أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله الشروطي .  
قال : أخبرنا أبو حاتم محمد بن حبان البستي ، رضي الله عنه . قال :

---

(١) بالسين الهمزة من قري زبد ، ومالشين للمعجمة بليدة من نواحي هراة .  
(٢) التوني : نسبة إلى تون ، مدينة من ناحية قهستان قرب قاش ، حكاه ياقوت ونسب إليها أما محمد هذا ، وذكر روايته عن شيخه الشروطي .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المنفرد بوحداية الألوهية ، المتعززة بعظمة الروبية ، القائم على نفوس العالم بأجلها ، والعالم بتقلبها وأحوالها ، المأن عليهم بتواتر آلائه ، المتفضل عليهم بسوانح نعماته ، الذي أنشأ الخلق حين أراد بلا معين ولا مشير ، وخلق الشركاء أراد بلا شبيه ولا نظير ، فضت فيهم بقدرة مشيئته ، ونفذت فيهم بعزته إرادته ، فألهمهم حسن الإطلاق ، وركب فيهم تشعب الأخلاق ، فهم على طبقات أقدارهم يمشون ، وعلى تشعب أخلاقهم يدورون ، وفيما قضى وقدر عليهم يهيئون و ( ٥٣: ٢٣ كل حزب بما لديهم فرحون ) .

وأشهد أن لا إله إلا الله فاعز سموت العلا ، ومشىء الأرحمين والثرى ، لا تمقّب لحكمه ولا راد لقضائه ( ٢٣: ٢١ لا يسأل عما يعمل وهم يسألون ) وأشهد أن محمداً عبده المصطفى ، ورسوله المرتضى ، بعثه بالنور للضى ، والأمر المرضى ، على حين فترة من الرسل ، ودروس من السُّل ، فدمغ به الطغيان ، وأكمل به الإيمان ، وأظهره على كل الأديان ، وقمع به أهل الأوثان ، فصلى الله عليه وسلم مادار في السماء قلبك ، وما سبح في الملكوت ملك ، وعلى آله أجمعين .

أما بعد ، فإن الزمان قد تبين للعاقل تنبؤة ، ولاح للبيب تبدله ، حيث يبس ضرعه بعد الغزارة ، وذبل فرعه بعد النضارة ، ونجل عوده بعد الرطوبة ، وبكس مذاقه بعد العذوبة ، فنيغ فيه أقوام يدعون التمكن من العقل باستعمال ضد ما يوجب العقل : من شهوات صدورهم ، وترك ما يوجب نفس العقل بهجسات

قلوبهم ، جعلوا أساس العقل الذي يعقدون عليه عند المعصلات : النفاق والداهنة ، وفروعه عند ورود النائبات : حُسن اللباس والنصاحة ، وزعموا أن مَنْ أَحْكَمَ هذه الأشياء الأربع فهو العاقل ، الذي يجب الاقتداء به ، ومن تخلف عن إحكامها فهو الأنوك<sup>(١)</sup> الذي يجب الازورار عنه<sup>(٢)</sup> .

فلما رأيت الرِّعَاع<sup>(٣)</sup> من العالم يغترون بأفهامهم ، والمهيج من الناس يقتدون بأمثالهم ، دعاي ذلك إلى تصنيف كتاب خفيف ، يشتمل متضمنه على معنى لطيف ، مما يحتاج إليه العقلاء في أيامهم ، من معرفة الأحوال في أوقاتهم ، ليكون كالتذكيرة لدوى الحجبى<sup>(٤)</sup> عند حصرتهم ، وكالمعين لأولى النهى عند عيبتهم ، يفوق العالم به أقرانه ، والحافظ له أترابه ، يكون النديم الصادق للعاقل في الخلوات ، والمؤنس الحافظ له في الفوات ، إن خَصَّ به من يجب من إخوانه ، لم يفتقد من ديوانه ، وإن استبدَّ به دون أوليائه ، فاق به على نظرائه .

أُتِينَ فيه ما يُحَسُّ العاقل استعماله من الخصال المحسودة ، ويقبح به إتيانه من الخلال الذمومة ، مع القصد في لزوم الاختصار ، وترك الإمعان في الإكثار ، ليخفَّ على سامعه ، وتعيه أذن مستمعه ، لأن فنون الأخبار ، وأنواع الأشعار ، إذا استقصى المجتهد في إطالتها ، فليس يرجو النهاية إلى غايتها ، ومن لم يرجُ التحكُّن من الكمال في الإكثار ، كان حقيقاً أن يقنع بالاختصار .

والله الموفق للسداد ، وامسأدى إلى الرشاد ، وإياه أسأل لإصلاح الأسرار ، وترك المعاقبة على الأوزار ، إنه جواد كريم ، روف رحيم .

(١) الأنوك : أى الأحمق .

(٢) الازورار : الاتقياض والتباعد .

(٣) الرعاع : أى الجبهة والدعاء (٤) الحجبى — بالكسر مقصوراً — العقل .

والنهى : جمع نية — بالضم — وهى العن أيضاً

## ذكر الحث على لزوم العقل

وصفة العقول اللبيب

حدثنا محمد بن يوسف بن مصر حدثنا عبد الله بن أحمد بن شئونة حدثنا أحمد بن يوسف حدثنا فضيل بن عياض عن محمد بن تور عن مفر عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب مكارم الأخلاق ، ويكره سفاهة »<sup>(١)</sup> .

قال أبو حاتم : لست أحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم خبراً صحيحاً في العقل : لأن أبان بن أبي عياش ، وسلمة بن وردان ، وعنبر بن عمران ، وعلي بن زيد ، والحسن بن دينار ، وعدد بن كثير ، وميسرة بن عبد ربه ، وداود ابن الحثير ، ومنصور بن صفير ودويهم ، ليسوا ممن أحتج بأخبارهم ، فأخرج ما عندهم من الأحاديث في العقل<sup>(٢)</sup> .

وإن محبة المرء المكارم من الأخلاق وكرهته سفاهتها هو نفس العقل .  
فالعقل لا يكون الخلف ، ويؤس لفرة ، وينبغي العاقبة ، ولا مال أفضل منه ، ولا يتم دين أحد حتى يتم عقله .

والعقل : اسم يقع على المعرفة بسلوك الصواب ، والعلم باجتناب الخطأ ، فإذا كان المرء في أول درجته يسمى أدبياً ، ثم أريباً ، ثم لبيباً ، ثم عاقلاً . كما أن الرجل إذا دخل في أول حدة الدهاء قيل له : شيطان ، فإذا عتق في الطغيان قيل : مارد ، فإذا زاد على ذلك قيل : عبقرى<sup>(٣)</sup> ، وإذا جمع إلى حبه شدة شر قيل : عيريت .

(١) سفسافها . أي دنيتها وخسيسها (٢) أي أن هؤلاء الضعفاء والمجروحين رويوا أحاديث في فضل العقل لا يراها المؤلف حجة لسقوط روايتها

(٣) عبقرى : نسبة إلى عبقر . وهو مسكن الجن في زعم العرب ، وهم يسبون كل ما يتعاطونه ورونه فوق متناولهم إلى عبقر



وكذلك الجاهل ، يدل له في أول درجته : المائق ، ثم الرفيع ، ثم الأتوك ، ثم الأحق

وأفضل مواهب الله لعباده العقل ، ولقد أحسن الذي يقول :  
وأفضل قسم الله للمرء عقله      فليس من الحيرات شيء يقاربه  
إذا أكل الرحمن للمرء عقله      فقد كملت أخلاقه ومآربه  
يعبس القتي في الناس بالعقل ، إنه      على العقل يحري علمه وتجاربه  
يريد القتي في الناس جودة عقابه      وإن كان محظوراً عليه مكاسبه

أخبرنا محمد بن سيبويه بن فارس حدثنا أحمد بن سمار حدثنا حبيب الخلاب  
قال : قيل لاس المبارك « ما حير ما أعطى الرجل ؟ قال : غريرة عقل ، قيل :  
فإن لم يكن ؟ قال : أدب حسن ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : أخ صالح يستشير ،  
قيل : فإن لم يكن ؟ قال : صنت طویل ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : موت عاجل »  
أخبرنا محمد بن داود الرازي حدثنا محمد بن حميد حدثنا ابن المبارك قال  
« مثل عقير : ما أفضل ما أعطى لعدو ؟ قال : غريرة عقل ، قيل : فإن لم يكن ؟  
قال : فأدب حسن ، قال : فإن لم يكن ؟ قال : أخ شفيق يستشير ، قال : فإن لم  
يكن ؟ فطول صنت ، قال : فإن لم يكن ؟ قال : فوت عاجل »

قال أبو حاتم : العقل نوعان : مطبوع ومسموع ، فالمطبوع منها كالأرض ،  
والمسموع كالبدن والماء . ولا سبيل للعقل المطبوع أن يخلص له عمل محصول دون  
أن يرد عليه العقل المسموع ، فيبسه من رفدته ، ويطلقه من مكانته ، كما يستخرج  
البدن والماء ما في قعر الأرض من كثرة الرّيع .

فالعقل الطبيعي من باطن الإنسان بموضع عروق الشجرة من الأرض ، والعقل  
للمسموع من ظاهره . كتنشئ ثمرة الشجرة من فروعها .  
أشددى محمد بن إسحاق بن حبيب الوسطى :

رأيت العقل نوعين      فطبع ومسموع<sup>(١)</sup>  
ولا ينفع مسموع      إذا لم يك مطبوع  
كما لا تنفع الشمس      وضوء العين ممنوع

أخبرنا القطان بالرقعة حدثنا موسى بن مروان حدثنا بقية عن عبد الله بن حسان.  
حدثني ابن عامر، قال : قلت لسطام بن أبي رباح « يا أبا محمد ، ما أفضل ما أعطى  
العبد ؟ قال : العقل عن الله »

أنشدني أحمد بن محمد بن عبد الله الصنعاني لعبد الله بن عكراش :  
يَرِيْنُ الْفَتَى فِي النَّاسِ صِحَّةَ عَقْلِهِ      وَإِنْ كَانَ مُحْظُورًا عَلَيْهِ مَكَايِدُهُ  
يَشِيْنُ الْفَتَى فِي النَّاسِ خَفَةَ عَقْلِهِ      وَإِنْ كَرُمَتْ أَعْرَافُهُ وَمَنَاسِبُهُ  
قال أبو حاتم : فالواجب على العاقل : أن يكون بما أحيا عقله من الحكمة  
أَكَلَفَ<sup>(٢)</sup> منه بما أحيا جسده من القوت ، لأن قوت الأحساد الطعام ، وقوت  
العقل الحكم ، فكما أن الأجساد تموت عند فقد الطعام والشراب ، كذلك  
القول إذا فقدت قوتها من الحكمة ماتت .  
والتقلب في الأمصار والاعتبار بخلق الله بما يريد المرء عقلا ، وإن عَدَمَ المال  
في نفسه .

أنشدني عبد الرحمن بن محمد المقاتلي :  
إِنْ ذَا الْعَقْلِ يَرَى غِنَاهُ      عَدَمَ الْمَالِ ، إِذَا مَا الْعَقْلُ صَحَّ  
مَا عَلَى الْمَرْءِ يَعْدُمُ سُبَّةٌ      إِنْ وَفَا الْعَقْلُ ، وَإِنْ دِينَ صُلِحَ  
أخبرنا محمد بن المسيب حدثنا أحمد بن إسماعيل المدني قال : سمعت حاتم بن  
إسماعيل يقول « ما استودع الله عقلا عَدَا إِلَّا اسْتَنْقَذَهُ بِهِ يَوْمًا مَا »

(١) حفظي \* رأيت العقل عقليين \*

(٢) أكلف : أي أشد كلما ، وأكلف : الهبة

قال أبو حاتم : العقل دواء القلوب ، ومطية المجتهدين ، وبذر حراثة الآخرة ، وتاج المزمّن في الدنيا ، وعُدّة في وقوع النوائب ، ومن عدم العقل لم يزده السلطان عزا ، ولا المال برّفه قدراً ، ولا عقل لمن أغفله عن أخراه ما يجد من لذة دنياه ، فكما أن أشدّ الزّمانة الجهل ، كذلك أشدّ العاقبة عدم العقل .

والعقل والهوى متعاديان ، قالواجب على المرء : أن يكون رأيه مسخياً<sup>(١)</sup> ، وهواه مسوّف<sup>(٢)</sup> . وهذا اشتبه عليه أمران احتبأ أقربهما من هواه : لأن في محابته الهوى إصلاح السمائر ، وبالعقل تصلح الضائر .

أخبرنا محرو بن محمد الأنصاري ثنا<sup>(٣)</sup> محمد بن عبيد الله الجشمي حدثنا المدايني ، قال : قال معاوية بن أبي سفيان لرجل من العرب عمر دهرأ « أخبرني بأحسن شيء رأيته ، قال : عقل طُلب به مروءة مع تقوى الله وطلب الآخرة »

وأشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :  
إذا تم عقل المرء تمت أموره وتمت أيديه ، وتم ساؤه  
فإن لم يكن عقل تبين نقصه ولو كان ذا مال كثيراً عطاؤه  
أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو كامل الجحدري<sup>(٤)</sup> حدثنا عمران بن خالد الخراعي قال : سمعت الحسن<sup>(٥)</sup> يقول « ما تم دين عبد قط حتى يتم عقله »  
قال أبو حاتم : أفضل ذوى العقول مرّة أدومهم لنفسه محاسبة ، وأقلهم عنها فترة .

فالعقل تعمر القلوب ، كما أن بالعلم تستخرج الأحلام ، وعمود السعادة العقل ،

(١) مسخفاً : معينا مساعداً (٢) التسوييف : التأخير عن كسل (٣) ياض بالأصل (٤) اسمه : فضيل بن حسين (٥) هو ابن أبي الحسن المصري

ورأس العقل الاختيار ، ولو صور العقل صورة لأظلمت معه الشمس أنوره ، فقرب  
العقل مزحواً حيره على كل حال ، كما أن قرب الجاهل تخوف شره على  
كل حال .

ولا يجب للعقل أن يغم ؛ لأن اعم لا ينفع ، وكثرته تضرى بالعقل ،  
ولا أن يحزن ؛ لأن الحزن لا يرد المريرة <sup>(١)</sup> . ودوامه ينقص العقل .

والعقل يحسم الداء قبل أن يتلى به ، ويدفع الأمر قبل أن يقع فيه ،  
إذا وقع فيه رضى وصبر ، والعقل لا يخيف أحداً أبداً ما استطاع ، ولا يقم على  
خوف وهو يجد منه مدحياً ، وإذا خاف على نفسه الهوان طابت نفسه عما يمت  
من الطارف والتأله <sup>(٢)</sup> ، مع لروم العفاف ، إذ هو قطب شمس العقل .

أشدى المنتصر بن بلال بن المنتصر الأصارى :

أوست تأمر بالصفاء والتقى وإياه آل الأمر حين يؤول ؟  
فإن استطعت فخذ بعقلك فضة إن العقول يرى لها تفصيل

أخبرنا الحسين بن إسحاق الأصبهاني «لسكرج حدثنا محمد بن علي الطاحي  
حدثنا عمرو بن عثمان الخزاز الحراي حدثنا معصل بن صالح قال : قال علي <sup>(٣)</sup> « لما  
أهبط الله آدم من الجنة أتاه جبريل ، فقال : إني أمرت أن أخيرك في ثلاثة ، فأختر  
واحدة ، ودع اثنتين ، فقال آدم : وما الثلاث ؟ قال : الحياء والدين والعقل ، فقال  
آدم : فإني قد اخترت العقل ، قال : فقال جبريل للحياء والدين : انصرفا ودعاه ،  
فقالا : إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان ، ثم عرج جبريل وقال :  
شأنكم »

(١) النصية لقي ترزاً : أي تشغل الكاهل فينوء بها (٢) الحديد والقديم (٣) أي  
ابن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين

قال أبو حاتم : من حسن عقله وقبح وجهه فقد أفقد فضائل نفسه قبائح وجهه ، ومن حسن وجهه وقبح عقله فقد أذهب تحاسين وجهه نقائص نفسه ، فلا يجب للعاقل أن يغم إذا كان معدماً<sup>(١)</sup> ، لأن العاقل قد يرجى له النقي ، [ولا] يوثق للجاهل المكثّر ببقاء ماله ، ومال العاقل عقله وما قدم من صالح عمله . وآفة العقل الصّلف<sup>(٢)</sup> والبلاء المردي ، والرخاء المفرط ؛ لأن البلاء إذا تواترت عليه أهلكت عقله ، والرخاء إذا تواتر عليه أطره ، والعدو العاقل خير للمرء من الصديق الجاهل

أشدني على من محمد النسي :

عدوك ذو العقل أتى عليك من الجاهل الوابق الأحمق<sup>(٣)</sup>  
وذو العقل يأتي جميل الأمور ويقصد للأرشد لأرفق

أخبرنا محمد بن الحسين بن قتيبة بسفلاق حدثنا ابن أبي السري حدثنا داود أن الجراح وصبرة بن ربيعة عن خلود بن دعلج قال : سمعت معاوية بن قرة يقول « إن القوم ليحجون ويعتمرون ، ويحاهدون ويصلون ، ويصومون ، وما يعطون يوم القيامة إلا على قدر عقومهم »

سمعت محمد بن محمود بن عدي النساني يقول : سمعت علي بن خشرم يقول : سمعت حفص بن حميد الأكاف يقول : « العاقل لا يفتن ، والورع لا يفتن »

قال أبو حاتم : هذه انظة جامعة ، تشتمل على معان شتى ، فكما لا يفتن الاجتهاد بغير توفيق ، ولا الجمال بغير حلاوة ، ولا السرور بغير أمن ، كذلك لا يفتن العقل بغير ورع ، ولا الحفظ بغير عمل ، وكما أن السرور تبع للأمن ، والقراءة تبع للمودة ، كذلك الروءات كلها تبع للعقل .

(١) أي فقيراً (٢) أي الكبير (٣) الوامق : الهب ، ومق يق مقلة : أحب

وعقول كل قوم على قدر زماهم ، فالعاقل يختار من العمر أحسنه وإن قل ، فإنه خير من الحياة النكدية وإن طالت ، والعقل الموعى - غير المنتفع به - كالأرض الطيبة الخراب .

والعاقل لا يبتدىء الكلام إلا أن يسأل ، ولا يكثر التمازى <sup>(١)</sup> إلا عند القول ، ولا يسرع الجواب إلا عند التثبت .

والعاقل لا يستحقر أحداً : لأن من استحقر السلطان أفسد دنياه ، ومن استحقر الأنبياء أهلك دينه ، ومن استحقر الإخوان أفى مروءته ، ومن استحقر العام <sup>(٢)</sup> أذهب مياثته .

والعاقل لا يحفى عليه عيب نفسه : لأن من خفى عليه عيب نفسه خفيت عليه محاسن غيره ، وإن من أشد العقوبة للمرء أن يحفى عليه عيبه ؛ لأنه ليس يقطع عن عيبه من لم يعرفه ، وليس نائل محاسن الناس من لم يعرفها ، وما أبع التحارب لمبتدى .

أشدنى المنتصر بن بلال بن المنتصر الأصارى :

ألم تر أنت العقل زين لأهله وأن كمال العقل طول التجارب  
وقد وعظ الماضي من الدهر ذا النعمى <sup>(٣)</sup> ويرداد فى أيامه بالتجارب  
أحبرنا الحسن بن سفيان حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الحكم  
ابن عبد الله قال « كأت العرب تقول : العقل التجارب ، والحزم سوء الظن »  
قال أبو حاتم : لا يكون المرء بالمصيب فى الأشياء حتى تكون له خبرة بالتجارب  
والعاقل يكون حسن المآخذ فى صفه ، صحيح الاعتبار فى صباه ، حسن العفة عند

---

(١) التمازى : أى البعث والمهاورة (٢) العام : أى العوام والجمهور (٣) النعمى : جمع نهمية أى العقل

إدراكه ، رضى الشئائلى شئائه ، ذا الرأى والحزم فى كهولته يضع نفسه دون عايتة برودة<sup>(١)</sup> . ثم يحمل نفسه عايتة يقف عندها ، لأن من جاور الغاية فى كل شئ صار إلى النفس .

ولا يضع العقل إلا بالاستعمال ، كما لا تسمع الأعوان إلا عند الفرصة ، ولا يضع الرأى إلا بالاتصال<sup>(٢)</sup> ، كما لا تتم الفرصة إلا بمحضور الأعوان . ومن لم يكن عقله أغلب حصل الخير عليه أخاف أن يكون حقه<sup>(٣)</sup> فى أقرب الأشياء به .

ورأس العقل المعرفة بما يمكن كونه قبل أن يكون .

والوجوب على العاقل أن يحتب أشبه ثلاثة ، فإنها أسرع فى إفساد عقل من النارى يندى القوسج : الاستعراق فى الضحك ، وكثرة لثى ، وسوء التثبث : لأن العاقل لا يتكلف ما لا يطيق ، ولا يسعى إلا لما يدرى ، ولا يعد إلا عما يقدر عليه ، ولا يفتق إلا بقدر ما يستفيد ، ولا يظلم من الجزاء إلا بقدر ما عنده من الغناء<sup>(٤)</sup> ولا يفرح بما مال إلا بما أجدى<sup>(٥)</sup> عليه فعه منه

والعاقل يبذل لصديقه نفسه وماله ، ولمرفقه رفقه ومحضره ، ولعدوه عدله وبره ، وللعامه شرفه ونحيته ، ولا يستعين إلا بمن يجب أن يظفر حاجته ، ولا يحدث إلا من يرى حديثه مفه ، إلا أن ينله الاضطراب عليه ، ولا يدعى ما يحسن من العلم لأن قصائل الرجال ليست ما دنتوها ولكن ما سبها الناس . بهم ، ولا يبنى ما فاته من حطام الدنيا ، مع ما رزق من الحط فى العقل .

(١) فى القاموس - الرتوة . بالثاء الشاة - الخطوة (٢) الاتصال . الاستحلال .  
والتمحيص من نخل الطبعين لأحد حوار (٣) حقه . أى هلاكه (٤) اعتناء :  
الرفع (٥) أجدى : أى عاد عليه بالنفع .

أشدنى عبد الرحمن بن محمد المقاتلي :

فمن كان ذا عقل ، ولم يك ذا غنى      يكون كذى رجل ، وليست له نفل  
ومن كان ذا مال ، ولم يك ذا حِجى      يكون كذى حل ، وليست له رجل

قال أبو حاتم : كفى بالعقل فضلا وإن عدم المال : من تُصَرَّف مسدوى  
أعماله إلى المحاسن ، فتجعل البلادة منه حياء ، والمكر عقلا ، والهدر<sup>(١)</sup> بلاغة ، والحدة  
ذكاء ، والعي صمتا ، والعقوبة نأديبا ، والحرأة عزما ، والجبن نأبيا ، والإسراف حودا ،  
والإسكاد تقديرا ، فلا تكاد ترى عاقلا إلا موثرا للرؤساء ، ناصحا للأقران ، مواليا  
للأحوان ، متحرزا من الأعداء ، غير حاسد للأصحاب ، ولا محادع للأحباب .  
ولا يتحرش بالأشرار ، ولا يبعث في الغنى ، ولا يشره في الفاقة ، ولا يتقاد للهوى ، ولا  
يجمع في الفص ، ولا يفرح في الولاية ، ولا يتقنى مالا يحد ، ولا يكتنز إذا وجد ،  
ولا يدحل في دعوى ، ولا يشارك في مراء ، ولا يذني بحجة حتى يرى قاصيا ،  
ولا يشكو التوجع إلا عند من يرجو عنده البر ، ولا يمدح أحدا إلا بما فيه ؛ لأن  
من مدح رجلا بما ليس فيه فقد بالغ في هجائه ، ومن قبل المدح بما لم يفعله فقد  
استهدف للحرية .

والعقل يكرم على غير مال كالأسد يهاب وإن كان رابصا<sup>(٢)</sup> .

وكلام العقل يعتدل كاعتدال حصد الصحيح ، وكلام الجاهل يتناقض كاختلاط  
جسد المريض .

وكلام العقل وإن كان نررا<sup>(٣)</sup> خطوة عظيمة ، كما أن مقارنة اللائم وإن كان  
نررا مصيبة خفيفة .

ومن العقل الثبوت في كل عمل قبل الدخول فيه .

(١) الهدر : كثرة الكلام (٢) ربص الأسد : حزم (٣) نررا : قليلا



وآفة العقل المحب ، بل على العاقل أن يوطن نفسه على الصبر على جار  
اسوء ، وعشير اسوء ، وجليس اسوء ، فإن ذلك مما لا يحيط به على عمر الأيام .  
ولا يحب العاقل أن يحب أن يستي به ، لأن من عرف بالدهاء حذر ، ومن  
عقل العاقل دون عقله ما استطاع ، لأن الإذر وإن خفي في الأرض أياما فإنه لا بد  
ظاهر في أوانه ، وكذلك العاقل لا يحفى عقله وإن أحق ذلك جهده .  
وأول تمكن للمرء من مكارم الأخلاق هو لزوم العقل .  
أشدنى على بن محمد الباسم .

إن المكارم أبواب مَصْنُفَةٌ لعقل أولئك والصمت ثانيها  
والعلم ثالثها ، والحلم رابعها ، والجود خامسها ، والصدق سادسها <sup>(١)</sup>  
والصبر سابعها ، والشكر ثامنها ، واللين تاسعها ، والصدق عاشيها  
أخبرنا عمر بن عبد الله بن عمر الخجزي بالأبوة حدثنا عبد الله بن حبيب حدثنا  
موسى بن طريف قال شعيب بن حرب : قال لى شعبة « عقولنا قليلة ، فإذا  
جئت مع من هو أقل عقلا منا ذهب ذلك القليل ، وبنى لأدى رجل يحس  
مع من هو أقل عقلا منه فأمقته <sup>(٢)</sup> »

قال أبو حاتم : أول خصال الخير للمرء في الدنيا العقل ، وهو من أفصل  
ما وهب الله لعباده فلا يجب أن يدس نعمة الله بمجالسة من هو بصلها قائم .  
والواجب على العاقل أن يكون حسن السمات <sup>(٣)</sup> طويلا لصمت ، فإن ذلك  
من أخلاق الأنبياء ، كما أن سوء السمات وترك الصمت من شيم الأشراف .  
والعاقل لا يطول أمله ؛ لأن من قوى أمله ضعف عمله ، ومن أناه أجله  
لم يفعه أمله .

(١) سادسها : لغة في سادسها (٢) المقت : أشد الغضب (٣) السمات : أى  
الهيئة والنظر .

والعقل لا يقاتل من غير عُدَّة ، ولا يخاصم بغير حجة ، ولا يصارع بغير قوة ، لأن ما سئل تحيا النفوس ، وتنور القلوب ، وتمضي لأُمُور ، وتعمر لَدُنْيا والعقل يغيب ما لم ير من اللدني بما قد رأى ، ويضيف ما لم يسمع منها إلى ما قد سمع ، وما لم يصب منها إلى ما قد أصاب ، وما بقي من عمره بما مضى ، وما لم ينل منها بما قد أوتى ، ولا يتكلم على المال وإن كان في تمام الحال : لأن المال يحل ويرتحل ، والعقل يقيم ولا يبرح ، ولو أن العقل شجرة لكات من أحسن الشجر ، كما أن الصبر لو كان ثمرة لكان من أكرم الثمر .

وإذا برز به العاقل من عباء عقله هو التقرب من أشكاله ، والتقاعد من أصداده .

ولقد أخبرنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا أبو حمزة ابن ائمة أبي سعيد الثعلبي حدثنا محمد بن أبي مالك الغزي ، قال : سمعت أبي يقول « جالسوا لألباء : <sup>(١)</sup> أصدقاء كانوا أو أعداء ؛ فإن العقول تلقح <sup>(٢)</sup> العقول »

قال أبو حاتم : مجالسة العقلاء لا تحلو من أحد معنيين : إما تذكر الحالة التي يحتاج لها العقل إلى الانتباه لها ، أو الإفادة بالشيء الخطير الذي يحتاج الجاهل إلى معرفتها

فترى العاقل غم لأشكاله ، وغيبة لأصداده ، على الأحوال كلها . ولا يحب لمن نسي به أن يتدلل ، لا على من يحتمل دلاله ، ويقبل إلا على من يحب إقباله ، ولو كان للعقل أبوان لكان أحدهما الصبر ، والآخر التثبت . جعلنا الله بمن رُكِّب فيه حسن وجود العقل ، عسلك بتمام النعم مسلك الخصال التي تقربه إلى باربه ، في دارى الأمد والأمد : إنه الفعال لما يريد .

(١) الألباء : جمع لب ، واللبيب : ذو اللب وهو العقل

(٢) تميدها وتنورها .

## ذكر إصلاح السرائر بلزوم تقوى الله

أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى بن زهير - بقسّتر - حدثنا عمر بن شبة حدثنا مؤمل  
ابن إسماعيل حدثنا شعبة عن زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك قال : قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما كره الله منك شيئاً فلا تفعله إذا خلوت »  
قال أبو حاتم : الواجب على العاقل الحازم أن يعلم أن للعقل شعباً من  
المأمورات والمزجورات ، لابد له من معرفتها ، واستعمالها في أوقاتها ، لمباينة العام ،  
وأولئها الناس بها

وإني إذا كرت في هذا الكتاب - إن الله قصي ذلك وشاء - حسين شمة  
من شعب العقل من المأمورات والمزجورات ، ليكون الكتاب مشتملاً على حسين  
بأنه ، بناء كل باب منها على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تتكلم في  
عقيب كل سنة منها بحسب ما يمتن الله به من التوفيق لذلك إن شاء الله  
فأول شعب العقل هو لزوم تقوى الله ، وإصلاح السريرة ، لأن من صلح  
جواريه أصلح الله ترأثيه ، ومن فسد حواريه أفسد الله رأييه .

وقد أحسن الذي يقول :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ، ولكن قل على رقيب  
ولا تحسبن الله يفتل ساعة ولا أن ما يحق عليه يغيب  
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهباً وأن غداً للناظرين قريب ؟

أخبرنا عبد الله بن محمود بن سليمان السعدي حدثنا شعبة بن هيرة حدثنا  
جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال « اتخذ طاعة الله تجارة تأتلك الأرباح  
من غير بضاعة »

قال أبو حاتم : قطب الطاعات للمرء في الدنيا : هو إصلاح السرائر ، وترك إفساد الصنائع .

وللواجب على العاقل الاهتمام بإصلاح سريرته ، والقيام بحراسة قلبه عند إقباله وإدباره ، وحركته وسكونه ؛ لأن تكثّر الأوقات وسفّص الذات لا يكون إلا عند فساد

ولو لم يكن لإصلاح السرور سبب يؤدي العاقل إلى استعماله إلا إظهار الله عليه كيفية سريرته ، خيراً كان أو شراً ، لكان الواجب عليه قبة الإحصاء عن تعاهدها

أشدى عبد العزيز بن سليمان الأرش :

يُلبس الله في علانية العبد الذي كان يَخْتَفِي في السريرة حسناً كان ، أو قبيحاً سئداً كل ما كان ثم من كل سيئة فاستجرح الله أن تُرَوَّى للساس فإنّ الرياء بثس الذخيرة أخبرنا أبو يعلى حدثنا شريح بن يونس حدثنا عَمِيْدَةُ بن عَمِيْدٍ عن منصور عن عطاء بن أبي رباح عن أبيه قال : قال كعب « ولئذى فثق المحر لبي إسرائيل ، إني لأجد في التوراة مكتوماً : يا بن آدم ، اتق ربك ، وصلى رحمتك ، وبرّ والدك ، يُحَدِّثْكَ في عُمرِكَ ، وَيَسِّرْ لَكَ يُسْرَكَ ، وَيَصْرِفْ عَنْكَ عُسْرَكَ » .

حدثنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا محمد بن علي الشافعي حدثنا أبي حدثنا جعفر بن سليمان الصبي عن مالك بن دينار قال « إن القلب إذا لم يكن فيه حزن حرب ، كما يخرب البيت إذا لم يكن فيه ساكن . وإن قلوب الأبرار تغلّى بأعمال الخير ، وإن قلوب العُجَّار تغلّى بأعمال القصور . والله يرى هومكم ، فانظروا ما هومكم ؟ رحمكم الله »

أشدنى محمد بن عبد الله بن زحى البغدادى :

وَإِذَا أَعْلَنْتَ أَمْرًا حَسَنًا فَلْيَكُنْ أَحْسَنَ مِنْهُ مَا تُسِرُّ  
مُسِرُّ الْخَيْرِ مَوْسُومٌ بِهِ وَمُسِرُّ الشَّرِّ مَوْسُومٌ لَشَرِّ

أخبرنا أبو يعلى حدثنا شريح بن يونس حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم  
قال : « إن الرجل ليتكلم بالكلام ينوى فيه الخير ، فيلقى الله في قلوب السادة ،  
حتى يقولوا : ما أراد بكلامه هذا ، إلا الخير . وإن رجل ليتكلم بالكلام لشر  
لا ينوى فيه الخير ، فيلقى الله في قلوب الناس حتى يقولوا : ما أراد بكلامه هذا  
إلا الشر »

حدثنا محمد بن عمر البغدادى حدثنا القطوانى حدثنا سيار حدثنا حماد بن ريد  
عن أيوب قال : سمعت الحسن يقول : « إنكم وقوف هاهنا تنظرون آجالكم ،  
وعند الموت تَقَوُّونَ الخير ، فخذوا بما عندكم لما بعدكم » .

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن يأخذ مما عنده لما بعده من التقوى  
والعمل الصالح : بإصلاح السريرة ، ونفى البصاة عن حلال الصاعث عند إحالة  
القلب وإيائه . فإذا كان صحة السبل في إقباله موجوداً أمدّه بأعضائه . وإن  
كان عدم وجوده موجوداً كبحه عنها ، لأن صفاء القلب تصفو الأعضاء  
وأشدنى المتصر بن بلال بن المتصر الأنصارى :

وَإِنْ أَمْرًا لَمْ يَصُفْ لَهْ قَلْبُهُ أَيْ وَحْشٍ مِنْ كُلِّ نَظَرَةٍ طَرَفٍ  
وَإِنْ أَمْرًا لَمْ يَرْجُلْ مَضَاعَةٌ إِلَى دَارِهِ الْآخِرَى فَلَيْسَ بِتَاجِرٍ  
وَإِنْ أَمْرًا ابْتِغَى دُنْيَا بَدِينَهُ لِمَنْقَلِبٍ مِنْهَا بِصَفْقَةٍ خَاسِرٍ

أخبرنا أحمد بن الحسين بن عبد الجبار الصوفى ببغداد حدثنا أبو نصر التمار  
حدثنا أبو الأشهب عن خالد الرضى قال : « كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً ، فأمره  
سيده أن يذبح شاة ، فذبح شاة ، فقال : اثنتى بأطيب مُصْنَتَيْنِ فِي الشَّاةِ ، فَأَتَاهُ

باللسان والقلب، ثم مكث أياماً، فقال: اذبح شاة، فذبح، فقال: انتنى بأحب مصمتين في الشاة، فأبقى إليه اللسان والقلب، فقال له سيده: قمت لك حين ذبحت انتنى بأطيب مصمتين في الشاة، فأبقى باللسان والقلب، ثم قلت لك الآن حين ذبحت الشاة: انتنى بأحب مصمتين في الشاة، فألقيت اللسان والقلب؟ فقال: إنه لا أطيب منها إذا طاماً، ولا أحب منها إذا خثاً.

وأنشدني منصور بن محمد الكريري:

وما لمرء إلا قلبه ولانته إذا حصلت أحواره ومذاحله  
إذا ما رده المرء لم يترك طاهره فبهيات أن يُبقيه بالماء غاسله  
وما كل من نخشى يدك شره وما كل ما أملت أنه أنت نائله

أخبرنا أحمد بن عيسى بن السكيني - بواسط - حدثنا عبد الحميد بن محمد بن مستنم حدثنا محمد بن يزيد حدثنا صالح بن حسان التوفن قال: «دخلت على عمر ابن عبد العزيز، فسمعتة يقول: لا يتقى الله عبد حتى يجد طعامه الدل»

قال أبو حاتم: الماقل يفتش قلبه في ورود الأوقات، ويكبح نفسه عن جميع المزجورات، ويأخذها بالقيم في أنواع المأمورات، ولزوم الانقاء عند ورود العترة في الحسالات، ولا يكون المرء يشاهد ما قلنا فأما حتى يوجد منه حجة القنبت في الأعمال.

أنشدني علي بن محمد الباسمي:

وإذا بحثت عن التقى وحدته رجلاً يصدق قوله بفعله  
وإذا اتقى الله امرؤ وأطاعه فبده بين مكارم ومعال  
وعلى التقى إذا ترأسخ في التقى تاجان: تاج سكينه، وجمال  
وإذا تناسبت الرجال، فما أرى سباً يكون كصالح الأعمال

أخبرنا القطان بالرفعة حدثنا عبد الله بن رومي البراز عن أبيه قال : قلما دخلت على إسحاق بن أبي ربي الرافعي إلا وهو يقمّل بهذا البيت :

خيرٌ من السال والأيم مقيمة جيبٌ نقيٌّ من الآثام والدّس<sup>(١)</sup>

أخبرنا محمد بن عبد الله بن الجعيد حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله عن عبد الله أخبرنا الربيع عن الحسن قال « أفضل العمل الورع والتفكير »

قال أبو حاتم : العاقل يدر أحواله بصحة الورع ، ويمضي لسانه بلزوم التقوى ، لأن ذلك أول شعب العقل ، وليس إليه سبيل إلا صلاح القلب . ومثل قلب العاقل إذا لم رعاية العقل - على ما ذكرها في كتابنا هذا - إن الله قصي ذلك وشاء - كأن قلبه شريح بسكا كين التقيّة ، ثم ملّح بمليح الخشية ، ثم جفّف برّياح العظمة ، ثم أحى بماء الثمرة ، فلا يوجد فيه إلّا ما برضى المولى حل وعلا ، ولا يبالي المرء إذا كان بهذا الثمت أن يتّمع عند الناس ، ومحال أن يكون ذلك أبداً .

سمعت أحمد بن موسى واسط يقول « وجد [ت] على حب عطاء السّلس مكتوبا ، وكان حائكا » :

ألا إنما التقوى هو المز والكرم وفركك بالدنيا هو النذل والمدم  
وليس على عبد تقيّ قبيصة إذا صحح التقوى ، وإن حاله أو حجّم  
أخبرنا محمد بن ربحويه القشيري حدثنا عمرو بن علي حدثنا طريف بن سعيد حدثنا القاسم بن عبد الله الأصم عن محمد بن عليّ بن حسين قال « إذا بلغ الرجل أربعين سنة ناداه من السماء : ده الرحيل ، فعدّ راداً » .

وأشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

(١) غناء الحيب : كناية عن طهارة القلب

إذا انتسب الناس كان التقى يتقواه أفضل من يتسب  
ومن يتق الله يكتب له من الحظ أفضل ما يكتب  
ومن يتحد سداً لبعثة فإن تقى الله خير السب  
وأشدنى أحمد بن محمد بن عبد الله الصنعاني لابن عكراش :

ومها بئر لرب يبدؤ لربه وما ينسه الإنسان لا ينس كاتبه  
ومن كان غلاباً محمد وتجدد فدو الحظ في أمر المعيشة غابه  
وأشدنى أبو بكر أحمد بن خالد بن عبيد الله بن عبد الملك مجران :

يا نفس ، ما هو إلا صبر أيام كأن لذاتها أضغاث أحلام  
يا نفس ، حورى عن الدنيا مبادرة وحل عنها ، فإن العيش قدامى

أخبرنا الحسين بن إدريس الأنصاري أخبرنا سويد بن نصر أخبرنا عبد الله  
أخبرنا سفيان عن عمن قال . قال عبد الله : من عند القلوب شهوة وبقلا ،  
وإن له فترة وإدبراً ، تحذوها عند شهوتها وإقبالها ، ودعوها عند فترةها  
وإدبارها .

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن لا يسى تمامه قلبه وترك ورود  
السب لدى يورث القسوة عليه ، لأن صلاح ملت تصح الجنود ، وفساده  
تفسد الجنود ، فإذا اهتم بإحدى الخصلتين تحسب أقربهما من هواء ، ونوحى<sup>(١)</sup>  
أبعدهما من الردى .

ولقد أحسن الذى يقول :

وإذا تشاحر فى فؤادك مرة ، فاعتمد للأعف الأجل  
وإذا هممت بأمر سوء ، فاثبت ، وإذا هممت بأمر خير فاعقل

(١) نوحى : قصد ، والردى : الهلاك .



أخبرنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي بالبصرة حدثنا إبراهيم بن عذرة الشامي عن مسعر بن كدام عن غوث بن عبد الله قال : قال عمر بن الخطاب « جالسوا التوابين ، وبهم أرق أفئدة »

أخبرنا أبو يعلى حدثنا محمد بن عمرو بن حملة حدثنا محمد بن مروان حدثنا عطية الأزرق قال : قال رجل للحسن « يا أبا سعيد ، كيف أنت ؟ وكيف حالك ؟ قال : كيف حال من أمسى وأصبح ينتظر الموت ، ولا يدري ما يُصنع به » .  
وأشدني منصور بن عبد الكرّ ترى :

تخيّر فرياً من فصائل ، إن يرين الفنى في القدر ما كان يعمل  
فإن كنت مشغولاً بشيء ، فلا تكن بغير الذي يرمى به الله تشعل  
فلا بد بعد القبر من أن يُعذَّه ليوم يسألي المرء فيه ، فيسأل  
فمن يصحب الإنسان من قبل موته ولا بعده إلا الذي كان يعمل  
ألا إنما الإنسان صيغ لأهل يُقيم قليلاً بينهم ، ثم يرحل  
أخبرنا علي بن سعيد العسكري حدثنا إبراهيم بن الجعيد حدثنا محمد بن الحسين  
حدثنا إسماعيل بن زياد قال « قدم علينا عبد العزيز بن سليمان عبّاداً في بعض  
قدماته ، فأثبه تسلم عليه ، فقال لنا : صفوا للميعم قلوبكم ، تكفيكم المؤن عند  
همكم » ثم قال « لو خدمت مخلوقاً فأطاعت خدمته ، ألم يكن يرغى خدمتك  
حرمة ؟ فكيف عن يُعز عليك وأنت مُسيء إلى نفسك ، تتقلب في بغيه ،  
وتتعرض لنضبه ؟ هيئات هيئات ، هيئة البطالين ، ليس لهذا حليقتهم ، ولا هذا  
أمرهم ، الكيس الكيس ، رحمكم الله » وكان يقطر عى ماء البحر .

قال أبو حاتم : لن تصفو القلوب من وجود الدنّ فيها حتى يكون الهم  
في الله هما واحداً ، فإذا كان كذلك كفى الهم في الهموم إلا الهم الذي يؤول

مَتَّبِعُهُ<sup>(١)</sup> إِلَى رِضَا الْبَارِي حَلَّ وَعَزَّ ، بِزُومِ تَقْوَى اللَّهِ فِي الْخُلُوعِ وَاللَّاحِ ، إِذَا هُوَ  
أَفْضَلَ زَادِ الْعُقْلَاءِ فِي دَارِهِمْ ، وَأَجَلُ مَطِيَّةِ الْحُكَمَاءِ فِي حَالِهِمْ .

وَأَشَدُّنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ حَبِيبِ الْوَاسِطِيِّ :

عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ      بِحَدِّ غِيَّةِ يَوْمِ الْحِسَابِ الْمَطْوَلِ<sup>(٢)</sup>  
أَلَا إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ حَيْرٌ مَغْبِيَّةٌ      وَأَفْضَلُ زَادِ الظَّاعِنِ لِمُتَرَحِّلِ  
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : قَدْ ذَكَرْتُ هَذَا الْبَابَ بِكَمَالِهِ بِإِعْدَالِ وَالْحِكَايَاتِ فِي كِتَابِ  
مُحَاجَّةِ الْمُسْتَدْتِينَ بِمَا أَرْحُو الْقُنْيَةَ لِلنَّاصِرِ إِذَا مَا تَأَمَّلَهَا ، فَأَغْنَى ذَلِكَ عَنْ تَكَرُّارِهِ فِي  
هَذَا الْكِتَابِ .

### ذِكْرُ الْحَثِّ عَلَى لُزُومِ الْعِلْمِ وَالْمَدَاوِمَةِ عَلَى طَلْبِهِ

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ حَرْبَةَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ قَالَا :  
حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ عَامِرِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ عَنْ زُرَّارِ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ :  
« أَنْبَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ الرَّادِي ، فَقَالَ : مَا جَاءَ بِكَ ؟ قُلْتُ : جِئْتُ أَنْبِطَ الْعِلْمَ<sup>(٣)</sup>  
قَالَ : فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا مِنْ خَرَجٍ يَخْرُجُ مِنْ  
بَيْتِهِ يَطْلُبُ الْعِلْمَ إِلَّا وَصَّعَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ أَحْضَحَتَهَا رِضًا عَا بَصْعَ »

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : الْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ إِذَا فَرَغَ مِنْ إِصْلَاحِ سَرِيرَتِهِ : أَنْ يُثْنِيَ  
بِطَلْبِ الْعِلْمِ وَالْمَدَاوِمَةِ عَلَيْهِ ، إِذَا لَا وَصُولَ لِلْمَرْءِ إِلَى صِفَاء شَيْءٍ مِنْ أَسْبَابِ الدُّنْيَا

(١) مَتَّبِعُهُ - بِصَمِّ الْمَمِّ وَفَتْحِ التَّاءِ وَالْعَيْنِ ، وَتَشْدِيدِ الْقَافِ مَفْتُوحَةً - أَرَادَ  
عَاقِبَتَهُ .

(٢) الطَّوْلُ ، نَالِ الْكُسْرِ : عَاقِبَةُ الشَّيْءِ كَالْمَغْبِيَّةِ ، بِالْمَنْعِ

(٣) نَبَطَ الْعِلْمَ : اسْتَعْرَجَهُ ، وَالْأَصْلُ فِيهِ اسْتِنْبَاطُ الْمَاءِ مِنَ الْبَثْرِ وَنَحْوِهِ

إلا بصفاء العلم فيه ، وحكمُ العاقل أن لا يُقَصَّر في سلوك حالة توجب له سَطْرُ  
الملائكة أجنتها رضاءً بصفحه ذلك .

ولا يجب أن يكون متأملاً في معيه الدنو من السلاطين ، أو نوال الدنيا  
به ، فما أقبح بالعالم التذلل لأهل الدنيا ! .

حدثنا محمد بن إبراهيم الخالدي حدثنا داود بن أحمد الدمياطي حدثنا  
عبد الرحمن بن عَمَّان قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول « ما أقبح بالعالم يؤتى  
إلى مره ، فيقال : أيس العالم ؟ فيقال : عند الأمير ، أين العالم ؟ فيقال : عند  
القاضي ، ما للعالم وما للقاضي ؟ ما للعالم وما للأمير ؟ ينبغي للعالم أن يكون في  
مسجده يقرأ في مُحَدِّثِهِ » .

حدثنا أبو يعلى حدثنا غسان بن الربيع حدثنا سليم مولى الشعبي عن الشعبي  
قال « يا طلابَ العلم ، لا تطلبوا العلم سفاهةً وطيشاً ، اطلبوه سَكِينَةً وَرَقَارِ  
وَنُؤْدَةً » .

وأشدى محمد بن عبد الله بن رجبى البعدي :

وفي العلم والإسلام للمرء وارع وفي ترك طغابِ الفؤاد المتيمِّ  
بصائرُ رُشيدٍ للفتى مُسْتَنِينَةٌ وإخلاص صدق علمها ماتعلم  
أخبرنا إبراهيم بن نصر<sup>(١)</sup> حدثنا عبد بن حميد حدثنا سعيد بن عامر  
عن حميد بن الأسود عن عيسى بن أبي عيسى الحياطي قال قال الشعبي : « إنما  
كان يطلب هذا العلم من احتجعت فيه خصلتان : العقل ، والنسك ، فإن كان  
عاقلاً ولم يكن ناسكاً قيل : هذا أمر لا يناله إلا النساك ، فلم يطلبه ، وإن كان  
ناسكاً ولم يكن عاقلاً قيل : هذا أمر لا يناله إلا العقلاء ، فلم يطلبه » قال :

(١) يياص بالأص .

الشصى « فلقد رمت أن يكون بطلبه اليوة من لبس فيه واحدة منها ،  
لا عقل ولا نسل »

قال أبو حاتم : العاقل لا يبيع حظ آخره ، ما قصد في العلم لما يناله من  
حطام هذه الدنيا : لأن العلم ليس القصد فيه نفسه دون غيره : لأن المبتغى من  
الأشياء كلها معها لانفسها ، والعلم ونفس العلم شيئان ، فمن أعصى عن نفسه لم  
يبتغ بنفسه ، وكان كالذى يأكل ولا يشبع ، والعلم له أول وآخر .

كما حدثه أحمد بن علي بن المثنى حدث عمرو الناقد حدثنا يحيى بن النعمان  
قال : سمعت صفيان يقول « أول العلم الإنصات ، ثم الاستماع ، ثم الحفظ ،  
ثم العمل به ، ثم النشر » وأشدنى الأبرش :

علم فليس المرء بولد عالما وليس أحو عيم كمن هو جاهل  
وإن كبير القوم لا يمر عنده صغير إذا لفتت عليه المخاول

أخبرنا أبو يعلى حدثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني حدثنا جري عن  
بريد بن سنان عن سليمان بن موسى قال : قال أبو الدرداء « لا تكون عالما  
حتى تكون متعلما ، ولا تكون بالعلم عالما حتى تكون به عاملا » .

قال أبو حاتم : العاقل لا يشتغل في طلب العلم إلا وقصده العمل به ، لأن  
من سعى فيه لغيره وصف ارتداد ثورا وتعبيرا ، وللعين تركا وتضييعا ، ويكون  
قداده في التائبين به فيه أكثر من مسده في نفسه ، ويكون مثله كما قال الله تعالى  
( ١٦ : ٢٥ ) ومن أوزار الدين يفضلونهم بغير علم ، ألا ساء ما يزرون )

أخبرنا محمد بن إبراهيم الخالدي حدثنا داود بن أحمد حدثنا عبد الرحمن  
ابن عمان قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول « في جهنم أرحية تطحن العلماء  
طحنًا ، فقيل : من هؤلاء ؟ قال : قوم علموا فلم يعملوا »

أخبرنا عبد الله بن محمد السدي حدثنا محمد بن النضر بن مساور حدثنا جعفر

بن سبيان عن مالك بن دينار قال « إذا طلب الرجل العلم يعمل به سرّهُ علنه ،  
وإذا طلب العلم لغير أن يعمل به زده عليه حمراً »

أخبرنا محمد بن عمرو بن سليمان حدثنا محمد بن رافع حدثنا محمد بن بشر حدثني  
سليمة بن الخطاب عن عبد الحميد بن أبي جعفر القراء قال: قال الحسن « مَنْ أَحَبَّ  
الدنيا وسرته ذهب حرف الآخرة من قلبه ، ومن أراد علماً ثم يرداد على الدنيا  
حرصاً لم يردد من الله إلا بعداً ، ولم يزد من الله إلا نقضاً »

أخبرنا محمد بن أشدر بن سعيد حدثني أحمد بن إبراهيم الخدني حدثني إسماعيل  
ابن الحارث حدثني محمد بن الحسن لمديني حدثنا أبو عمرو « أن إبراهيم سمع  
صوت هاتف ، وهو يقول :

يا طالب الصلِّ يا نير الورع	وما بين النوم ، وحر الشَّعَا
ما صر عبداً صحت إرادته	أجاع يوماً في الله أو شيعا
ما صر عبداً صحت عرائمه	أين من الأرض ، أبا صدق (١)
ما طمعت نفس عائد فتوى	سؤال قوم إلا لهم حصا
يا أيها الناس ، ما لعالمكم	و بحر ماء الموت قد كرم (٢)
يا أيها الناس ، أنتم زرع	يمصده الموت كلك صلا

أخبرنا بن سالم حدثنا الحسين بن عسك الرحمن الاحتياطي حدثنا يحيى بن  
اليمان العجلي عن سبيان الثوري قال « العالم طبيب لدين ، والدرهم داء الدين ،  
فإذا اجتر الطبيب الداء إلى نفسه ، متى يداوى غيره ؟ »

أشدر أحمد بن محمد الصنعاني أشدر محمد بن عبد الله العراقي

(١) أو « أبا وقع » والمقع : الوقوع على الأرض اليابسة المستحجرة

(٢) كرم من الماء : عب وشرب

عُتُوا يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ شَبَابًا ، فَلَمَّا حَصَلُوهُ وَحَشَرُوا  
وَصَحَّحُوا فَمِنْ بِسْنَادِهِ وَأَصُولِهِ وَصَدَرُوا شَبُوحًا ضَمِيمَةً وَأَدْبَرُوا  
وَعَالُوا عَلَى الدُّنْيَا ، فَهَمَّ بِحُلِيِّهَا بِأَخْلَافِهَا مَفْتُوحَهَا لَا يُضَرَّرُ<sup>(١)</sup>  
فِيَا عِلْمَاءَ السُّوءِ ، أَيْنَ عَقُولُكُمْ ؟ وَأَيْنَ الْحَدِيثُ الْمُسْنَدُ الْمُنْتَخِرُ ؟  
أَحْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْهَمْدَانِيُّ - بِصُورَ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَغْلَبِيُّ قَالَ :  
سَمِعْتُ عَمِّي مُحَمَّدَ بْنَ زَيْدٍ قَالَ « كُنْتُ مَعَ ابْنِ الْبَارِكِ بَيْفُتَادَ ، فَرَأَى إِسْمَاعِيلُ  
ابْنَ عَلِيٍّ رَاكِبًا بَقِيَّةً عَلَى بَابِ السُّطَّانِ ، فَانْشَأَ يَقُولُ :

يَا جَاعِلَ الدِّينِ هَازِيًا يَصْطَادُ أَمْوَالَ السُّلَاطِينِ  
لَا تَتَّبِعِ الدِّينَ بِدُنْيَا ، كَمَا يَفْعَلُ ضُلَّالُ الرِّهَاطِينِ  
اِحْتَمَتِ لِلدُّنْيَا وَلَدَاتُهَا بِحِيلَةٍ تَذْهَبُ بِالْمَدِينِ  
وَصُرَتْ مَحْبُوسَةً بِهَا كَمَثَرِ نَوَاحٍ لِلْمَجَانِينِ  
صَكَرَ النَّاسُ جَمِيعًا بِأَنَّ رَكْلَ حِمَارِ الْعِلْمِ فِي الطُّغْيَانِ

أَحْبَرَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْحُسَيْنِ الْبَرْدِيُّ حَدَّثَنَا رُكْرِيَا بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا أَحَدُ بَنِي  
عَبْدِ اللَّهِ النَّسْرِيِّ قَالَ « لَأَوَّلَى ابْنِ عَلِيٍّ مَسَدَاتُ الْإِيلِ وَالْفِجْمِ بِالْبَصْرَةِ ، كَتَبَ  
إِلَيْهِ ابْنُ الْمُبَارَكِ كِتَابًا ، وَكَتَبَ فِي أَسْفَلِهِ :

يَا جَاعِلَ الدِّينِ نَهَارِيًا يَصْطَادُ أَمْوَالَ الْمَسَاكِينِ  
اِحْتَمَتِ لِلدُّنْيَا وَلَدَاتُهَا بِحِيلَةٍ تَذْهَبُ بِالْمَدِينِ  
يَا فَاضِحَ الْعِلْمِ وَمَنْ كَانَ ذَا لَبٍّ وَمَنْ عَابَ السُّلَاطِينِ<sup>(٢)</sup>

(١) أَخْلَافٌ : جَمْعُ خَلْفٍ ، وَهُوَ ثَدْيُ الشَّاةِ وَنَحْوُهَا مِنْ كُلِّ حَالٍ ، وَالتَّصْرِيحُ :  
جَمْعُ اللَّيْنِ وَاحْتِرَاقُهُ فِي الضَّرْعِ

(٢) قَدْ رَفَعَ هَذَا إِقْوَاءً : قَالَ فِي الْقَامُوسِ : أَقْوَى فِي الشَّعْرِ ، حَالَفٌ فِي قَوَائِهِ رَفَعَ  
بَيْتَ وَحَرٍّ آخِرَ ، وَقُلْتُ تَصِيدُهُ لَمْ يَلَا إِقْوَاءَ ، وَأَمَّا الْإِقْوَاءُ بِالنَّصْبِ فَقَلِيلٌ أَهْوَوْهُ  
تَكَرَّرَ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُقْبَلَ لَهُ

أين روايتك في سردها عن ابن عون وابن سيرين؟  
وزاد غير أحمد بن عبد الله :

إن قلت : أكرهت ، فماذا كذا زلَّ حصار العلم في الطين  
فلما قرأ ابن عُلَيَّةَ الكتاب بكى ، ثم كتب جوابه ، وكتب في أسفله :  
أفٍ لدنيا أبت تواتني إلا بنقضي لها عُرَى ديني  
عَنِّي لِخَتْنِي<sup>(١)</sup> تدير مقلتها نطلب ما سرَّها لتردني

أحضرنا محمد بن علي الصيرفي بالبصرة حدثنا العباس بن الوليد الترمسي حدثنا  
وهيب عن أيوب عن أبي قلابة عن ابن مسعود قال « عليكم بالعلم قبل أن يُقبَصَ  
وَقَبْصُهُ أَنْ يَذْهَبَ أَصْحَابُهُ ، وَإِسْكَمُ سَتَجِدُونَ أَقْوَامًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُدْعَوْنَكُمْ إِلَى  
كِتَابِ اللَّهِ ، وَقَدْ نَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعَمَلِ ، فَإِنْ أَحَدُكُمْ لَا يَدْرِي مَتَى  
يَمُتُّ ، أَوْ يُمْتَرُّ إِلَيْهِ عِنْدَهُ ؟ وَعَلَيْكُمْ بِالْعَمَلِ ، وَإِيَّاكُمْ وَالِدَعْ ، وَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ »  
حدثنا محمد بن رجوة القشيري حدثنا عمرو بن علي حدثنا أبو قتيبة حدثنا  
قمرة بن خالد عن عون بن عبد الله قال : قال ابن مسعود « ليس العلم بكثرة  
الرواية ، إنما العلم بالخشية » .

حدثني إسحاق بن إبراهيم القاضي ، حدثنا الحارث بن مسكين حدثنا ابن  
القاسم قال : سمعت مالكا يقول « ليس العلم بكثرة الرواية ، إنما العلم بالخشية »  
قال أبو حاتم : الواجب على العاقل : محاربة ما يندس علمه من أسباب هذه  
الدنيا ، مع القصد في لزوم العمل بما قَدَرَ عليه ، ولو استمال خسة أحاديث من  
كل مائتي حديث ، فيكون كأنه قد أدى زكاة العلم ، فمن عجز عن العمل بما جمع  
من العلم فلا يجب أن يَعْجِزَ عن حفظه .

وانقد أبا ابن قحطبة حدثنا حسين بن محمد الكوفي قال : سمعت محمد ابن شيرازي يقول :

أما لو أعي كل ما سمع وأحفظ من ذلك ما أجمع  
ولم أستعد غير ما قد جمه ت لقييل : هو العالم المتقنع<sup>(١)</sup>  
ولكن مسي إلى كل شيء من العلم تسمه ترغ  
وأحضر الجهل في مجلسي وعلى في الكتب مستودع  
فلا أما أحفظ ما قد جمعت ولا أما من جمعه أشيع  
ومن بك في علمه هكذا يكن دهره القهقري رجع  
إذ لم تكن حافظاً واعياً فجمعك للكتب لا ينفع  
وأشدني محمد بن عبد الله المؤدب :

جامع العلم تراه أبدأ غير ذي حفظ ولكن ذا عبط  
وتراه حسن الخط إذا كتب الخط بصيراً بالنقط  
فإذا نقشته عن علمه قال : على يا خليلي في السقط<sup>(٢)</sup>  
في كراريس جياذ أحكت ومخط أي خط أي خط  
فإذا قلت له : هت لنا حك نخيه جميعاً وأمتخط

أخبرنا محمد بن يعقوب الخطيب بالأهواز حدثنا حفص بن عمرو الرزالي<sup>(٣)</sup>  
حدثنا الحجاج بن بصير حدثنا عبد القدوس قال : سمعت وهب بن منبه يقول :  
« من تعلم علماً في حق وسنة لم يذهب الله عنه أبداً »

(١) شاهد مقنع كقعد : أي رضى يضع به

(٢) السفط - مخرجة كما في القاموس : كاحولق ، أو كالفقة .

(٣) الرزالي المتبحر والام : سعة إلى رمال اسم حده له لباب الأسباب



حدث عبد الله بن قحطبة حدث محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتز بن سليمان قال « كتب إلى أبي ، وأما بالكوفة : اشتر الصنف ، وكتب العلم : فإن لم يبق العلم يبقى »

حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى أبنا عبد الله بن المبارك ، قال « كتب حكيم من الحكماء ثلاثين صحيفة حكيم ، فأوحى الله إليه : إنك قد ملأت الأرض عفا ، وإن شئت لم يتقبل شيئا من عفاك »

قال أبو حاتم : فداء المرء عمره بكثرة لأسعار ، ومباينة الأهل والأوطار في طلب العلم دون العمل به ، أو حفظه ، ليس من سبب العقل ، ولا من رى الألباء ، وإن من أجود ما يستعين المرء به على حفظ الطمع الحيد ، مع الحكمة واجتناب المعصية ، وأشد الأثر :

سبح عون الحق الطلوع لعل أولبصر العقول صحة طلع  
هذا الصنف فاته طلع العلم وصار العفا في غير نفع  
سمعت إبراهيم بن نصر العبدي يقول : سمعت علي بن حشرم يقول سمعت ركبعا يقول « ستعينوا على حفظ ترك المعصية »

قال أبو حاتم : يحب على العاقل أن لا يطلب من العلم إلا أفضله ، لأن الزيادة من العلم تترى عند العاقل من الذكر بالعلم ، والحد من الرضا ، ومسجاة في الشدة ، ومن تعلم ارتداد ، كما أن من حنم سد ، وفصل العلم في غير حير مهلكة ، كما أن كثرة الأدب في غير رصوان الله مؤنفة ، والعاقل لا يسعى في فوه إلا عما أجدى عليه نفع في الدارين معا ، وإذا رزق منه الحظ لا يسجل بالافادة ، لأن أول ركة العلم الإفادة ، وما رأيت أحدا قط محل بالعلم إلا لم ينتفع به ، وكما

لا ينفع بالماء الساكن تحت الأرض ما لم ينفع ، ولا بالذهب الأحمر ما لم يُستخرج من معدنه ، ولا بالثوب النقيس ما لم يخرج من بخره ، كذلك لا ينفع بالعلم ما دام مكتوباً لا ينشر ولا يفاد .

أباًنا أحمد بن مضر الراملي حدثنا محمد بن سهيل بن عسكر حدثنا أبو صالح الفراء قال : سمعت ابن المبارك يقول « من محل الحديث يتلى بإحدى ثلاث : إما أن يموت فيذهب علمه ، أو ينسى ، أو يتلى بالسلطان »

حدثنا أبو يعلى حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا جرير عن يرد عن سليمان بن موسى قال : قال أبو الدرداء « الناس عالم ومتعلم ، ولا خير فيما بين ذلك » وأنشدني الكريزي :

أفد العلم ، ولا تبخل به      وإلى عمك علم فاستمد  
استفدما استطعت من علم وكن      عاملاً بالعلم والناس أقد  
مَنْ يَقدم يَجْردُ لهُ      وسيقتي الله عن مَنْ يقد  
ليس مَنْ نَاقَسَ فيه عاجِزاً      إنما العاجز من لا يجتهد

حدثنا محمد بن إسحاق بن حزيمة حدثنا عمر بن حفص الشيباني حدثنا حماد بن واقد عن هشام بن حسان عن الحسن قال « لأن يتعلم أرجل يابا من العلم فيعذب به ربه ، فهو خير له من أن لو كانت الدنيا من أوقها إلى آخرها له فوصفها في الآخرة »

قال أبو حاتم : قد ذكرت أسباب المتعلمين وأخلاق العلماء بعلمها في كتاب « العالم والمتعلم » ، بما أرجو أن يكون فيه غنية لمن أراد الوقوف على سرفتها ، فأغنى ذلك عن التكرار ؛ لأننا شرعنا في هذا المكتب الاختصار ، كراهية سلوك التطويل والإشادة إلى قصد نفس التحصيل .

## ذكر الحث على لزوم الصمت وحفظ اللسان

أخبرنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي - ببغداد - حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا أبو الأخوص عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل حبرا أو يسكت » قال أبو حاتم : الواجب على العاقل إذا ذكر المطيبتين - اللتين ذكرتهما قبل إصلاح السريرة ولزوم العلم : أن يبلغ مجهوده حينئذ في حفظ اللسان حتى يستقيم له ، إذ اللسان هو المورد للمرء - مورد العطب - والصمت يكسب الحجة والوفاء ، ومن حفظ لسانه أرح نفسه ، وأرحوع عن الصمت أحسن من الرجوع عن الكلام ، والصمت منام العقل ، والمطلق يقظته .

حدثنا محمد بن زنجويه حدثنا عبد الأعلى بن حماد ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أس أن قهان قال « إن من الحكيم الصمت ، وقليل فاعله » .  
وأشدني السكر بنزي .

أقلل كلامك واستعد من شره    إن البلاء ببعضه مقرون<sup>(١)</sup>  
واحفظ لسانك ، واحتفظ من غيئه    حتى يكون كأه مسجون  
وكل فؤادك للسان ، وقل له    إن الكلام عليك موزون  
فإنه وليك تحكما ذا فلة    إن البلاغة في القيل تكون

أخبرنا ابن قتيبة حدثنا حنظل بن سوح حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع قال : سمعت مالك بن أنس يقول « كل شيء يستع بفضلته<sup>(٢)</sup> إلا الكلام فإن فضله يضرب »  
أخبرنا الفطان حدثنا أحمد بن أبي الخوارى حدثنا مروان بن محمد عن سعيد

(١) عجز هذا البيت من قولهم في مثل « إن البلاء موكل باسطق » .

(٢) الفضل ههنا : الزيادة

ابن عبد العزيز قال : قال أبو الدرداء « لا خير في الحياة إلا لأحد رجلين : مُنْصِتٍ وَاِعٍ ، أو مُتَكَلِّمٍ عَالِمٍ »

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن لا يعالج الناس على كلامهم ، ولا يعترض عليهم به ؛ لأن الكلام وإن كان في وقته حظوةً جليلةً فإن الصمت في وقته مرتبةٌ عالية ، ومن حُملَ بالصمت عَنَى بانطق <sup>(١)</sup> . والإسنان إنما هو صورةٌ مثلةٌ أو صائلةٌ مهمة . ولا اللسان ، والله حل وعز رفع جارحة اللسان على سائر الخوارج ، فليس منها شيء أعظمُ أحرأً منه إذا أطلع ، ولا أعظمُ ديباً منه إذا حنى .

وأشدهى محمد بن عبد الله بن زبجي البغدادي .

لئن كان يحني اللومَ ما أتت فائِلٌ ولم يك منه النفع وصمتُ أسِرُ  
ولا تُدبِ قولاً من لسانك لم يَرَصْ مواءمةً من قِلْ ذاك انتكُرُ  
أخبرنا ابن قتيبة حدثنا هارون بن محمد بن بكار قال : سمعت أبا مسهر ينشد  
هذا البيت :

قد أرى كثرة الكلام قبيحا كلُّ قول يشينه إلا كثارُ  
أخبرنا محمد بن سعيد القرظي حدثني محمد بن داود بن سليمان ارملي حدثنا  
المسيب بن واضح قال : سمعت من المبارك يقول :

تعاهد لسانك إن اللسان سريع إلى المرء في قتله  
وهذا اللسان رَيدُ العواد يدلُّ الرجال على عقله  
أخبرنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا محمد بن علي الشقيق أنبأنا إبراهيم بن

(١) أي من وصفه الناس بالجهل لصحته كان منطقاً عيباً

الأشعث قال : سمعت المُصَيِّل بن عِيَض يقول « شَيْدُن يقْسِيَان القَبْ : كَثْرَةُ الكلام ، وكَثْرَةُ الأَكْل »

أَحْمَرُ بْنُ أَبِي يَعْلَى حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ الدَّقْدَقُ قَالَ : سَمِعْتُ بَحِيَّ بْنَ الْبَيَّانِ يَقُولُ : قَالَ سَمِيَّانُ الثَّوْرِيُّ « أَوَّلُ الْعِبَادَةِ الصَّمْتُ ، ثُمَّ طَلِبُ الْعِلْمِ ، ثُمَّ الْعَمَلُ بِهِ ، ثُمَّ خَفْضُهُ ، ثُمَّ شَرُّهُ »

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيُّ حَدَّثَنَا الْغَلَّابِيُّ حَدَّثَنَا الْعَتَبِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ الْأَخْضَفُ بْنُ قَيْسٍ « الصَّمْتُ أَمَانٌ مِنْ تَحْرِيفِ اللَّفْظِ ، وَعَصْمَةٌ مِنْ رَبْعِ الْمَذْقِ ، وَسَلَامَةٌ مِنْ فَضُولِ الْقَوْلِ ، وَهَيْبَةٌ لِمُصَاحِبِهِ »

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : الْوَجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَدُمَ الصَّمْتُ إِلَى أَنْ يَدْرِمَهُ التَّكَلُّمُ ، فَمَا أَكْثَرَ مَنْ نَدِمَ إِذَا نَطَقَ ، وَأَقْلَمَ مَنْ يَنْدِمُ إِذَا سَكَتَ ، وَأَطْوَلَ النَّاسُ شَقَاءَ وَأَعْظَمَهُمْ بَلَاءً مَنْ ابْتَلَى بِلِسَانٍ مُطَلَّقٍ ، وَفُؤَادٍ مُطَلَّقٍ .

وَاللِّسَانُ فِيهِ عَشْرُ خِصَالٍ يَحِبُّ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَعْرِفَهَا ، وَيَضَعُ كُلَّ خِصْلَةٍ مِنْهَا فِي مَوْضِعِهَا : هُوَ أَدَاةٌ يَصْهَرُ بِهَا الْبَيَّانُ ، وَشَاهِدٌ يَجْرِعُ مِنَ الصَّمِيرِ ، وَنَاطِقٌ يَرُدُّ بِهِ الْجَوَابَ ، وَحَاكِمٌ يَفْصِلُ بِهِ الْخُطَابَ ، وَشَافِعٌ يَدْرِكُ بِهِ الْحَاجَاتِ ، وَوَاصِفٌ يَعْرِفُ بِهِ الْأَشْيَاءَ ، وَحَاصِدٌ تَذْهَبُ الصَّغِينَةُ ، وَبَارِعٌ يَجْذِبُ الْمَوَدَّةَ ، وَمُسَلِّ يَدْكِي الْعُلُوبَ ، وَمُعَرِّ تَرُدُّ بِهِ الْأَحْزَانُ .

وَلَقَدْ أَحْسَنَ الَّذِي يَقُولُ :

إِنْ كَانَ يَجْجِبُكَ لِسْكُوتُ فَيَا	قَدْ كَانَ يَجْعَبُ قَبْلَكَ الْأَخْيَارُ
وَلَوْ نَدِمْتَ عَلَى سَكُوتِ مَرَّةٍ	فَلَقَدْ نَدِمْتَ عَلَى الْكَلَامِ مَرَارًا
بِالنَّسْكَوتِ سَلَامَةً ، وَلَوْ نَا	زَرَعَ الْكَلَامَ عِدَاوَةً وَضِرَارًا
وَإِذَا تَقَرَّبَ خَاسِرٌ مِنْ خَاسِرٍ	زَادَا بِدَاكُ حَسَارَةً وَتَسَارُ <sup>(١)</sup>

(١) التَّبَادُلُ الْهَلَاكُ .

أخبرنا محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا كثير بن عبد الله التيمي حدثنا العلاء  
ابن سعيد الكندي حدثني أبو حية قال : كنت أماشي سماعيل بن سهل ، وكان  
أحد الحكماء ، فقال لي : ألا أخبرك بيت شعر خير لك من عشرة آلاف  
درهم ؟ قال : نعم قال : أي أحب إليك ؟ نفسك أو عشرة آلاف درهم ؟ قال :  
قلت : نفسي ، فأشأ يقول :

اخفض الصوت إن نطقت ببيل والتفت بالنهار قبل المقال  
قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن يكون ناطقا كتيبي وعالما كجاهل ،  
وساكنا كناطق : لأن الكلام لا بد له من الجواب ، والجواب لو جعل له جواب  
لم يكن للقول نهاية ، وخرج المرء إلى عاتيس له غاية ، والمتكلم لا يسلم من أن  
يسبب إليه <sup>(١)</sup> الصلف والتكلف ، وانصلت لأيلين به إلا الوقار وحسن السمات .  
وقد أحسن أبي يقول :

حَتَفَ امرئ لسانه في حده ولمه  
بين اللها مقتله ركب في مركه <sup>(٢)</sup>

أخبرنا عمرو بن عمر الأصاري حدثنا القلابي حدثنا ابن عائشة حدثنا دريد  
ابن محاشع عن غالب القطان عن مالك بن دينار عن الأحنف بن قيس قال : قال  
عمر بن الخطاب « يا أحنف ، من أكثر كلامه أكثر سقطه ، ومن أكثر سقطه قلَّ  
حيائه ، ومن قلَّ حيائه قلَّ ورعه ، ومن قلَّ ورعه مات فيه »  
وأنشدني الأبرش :

ما زلَّ ذومست ، وما من مكثر إلا يرلُّ ، وما يُعيب صموتُ  
إن كان مطلق ناطق من فِضة فالصمت دُرٌّ زاه الياقوت

(١) الصلف : السكبر

(٢) اللها : جمع لهاة ، وهي لغة في صلف الحق ، أي حقه وهلاكه في لسانه  
وهو مما ينسب إليه صلى الله عليه وسلم « مقتل المرء بين فكيه »

أَبَانَا ابْن قَتِيبَةَ حَدَّثَنَا الْمُسَيْبُ بْنُ وَاضِحٍ قَالَ : سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ كَعْبٍ يَقُولُ :  
« جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ بَابَيْنِ ، وَجَعَلَ لِلنَّاسِ أَرْبَعَةَ : الشَّعَتَيْنِ مَصْرَاعَيْنِ ،  
وَالْأَسْنَانَ مَصْرَاعَيْنِ »

أَبَانَا بَكْرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ الطَّاحِيَّ بِالْبَصْرَةِ حَدَّثَنَا مَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجُمَيْصِيُّ  
أَبَانَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ خُنَيْسٍ عَنْ وَهَيْبِ بْنِ الْوَرْدِ « أَنَّ شَابَاكَ كَانَ يَحْضُرُ مَجْلِسَ  
عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَيُحَسِّنُ الْإِسْتِمَاعَ ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَكَلَّمَ ، فَخَطَّابٌ لَهُ  
عُمَرُ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ تَحْضُرُ مَجْلِسَهُ ، وَتُحَسِّنُ الْإِسْتِمَاعَ ، ثُمَّ تَنْصَرِفُ مِنْ قَبْلِ أَنْ  
تَتَكَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ الشَّابُّ : إِنْ أَحْصَرَ فَأَتَوْقُّ وَأَتَنْقُ ، وَأَصَحَّتْ فَأَسْمُ »

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ! - التَّوَّاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يُنْصَفَ أَدْبَاهُ مِنْ  
فِيهِ ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ إِنَّمَا جَعَلَتْ لَهُ أَدْنَانِ وَهَمٌّ وَاحِدٌ لِيَسْمَعَ أَكْثَرًا يَقُولُ : لِأَنَّهُ إِذَا  
قَالَ رُبَّمَا نَدِمَ ، وَإِنْ لَمْ يَقُلْ لَمْ يَنْدَمْ ، وَهُوَ عَلَى رَدِّ مَا لَمْ يَقُلْ أَقْدَرُ مِنْهُ عَلَى رَدِّ  
مَا قَالَ ، وَالْكَلِمَةُ إِذَا تَكَلَّمَ بِهَا مَلَكَتْهُ ، وَإِنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهَا مَلَكَتْهَا ، وَالْعَجَبُ  
مَنْ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ إِنْ هِيَ رُفِعَتْ رَفْعًا صَوْتُهُ ، وَإِنْ لَمْ تُرْفَعْ لَمْ تَصُرْ ، كَيْفَ  
لَا يَصُوتُ أَوْ رُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نَفْسَهُ ! »

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ قُرَيْشٍ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ السُّهْلِيُّ قَالَ :  
أَخَذَنِي رَجُلٌ مِنْ رِبِيعَةٍ :

سَمِعْتُكَ مَاشِيًا عِلْتَ مَكَاهُ      أَحَقُّ سَجْنٍ مِنْ لِسَانٍ مُدَلَّلٍ  
عَلَى عَيْكَ مِمَّا لَيْسَ بِعَيْنِكَ شَأْنُهُ      يَقُولُ وَثَبَقِي مَا اسْتَطَعْتَ فَاقْضِلِ  
قَرِيبَ كَلَامٍ قَدْ جَرَى مِنْ تُمَارَحٍ      فَسَانِ إِلَيْهِ سَهْمٌ خَفِيفٌ مَعْدِلِ  
وَلَلَصْتُ خَيْرٌ مِنْ كَلَامٍ بِمَآثِمِ      فَكُنْ صَامِتًا تَسْلَمُ ، وَرَفُوتًا وَعَدِلِ  
أَخْبَرَنَا أَبُو يَعْلَى حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ بَرْدٍ عَنْ سُلَيْمَانَ

ابن موسى قال : قال أبو الدرداء « كفى بك طالما أن لا تزال مخاصما ، وكفى بك  
آثما أن لا تزال بخاريا ، وكفى بك كاذبا أن لا تزال محدثا ، إلا حديثا في ذات  
الله تبارك وتعالى »

أخبر محمد بن سعيد أن زرار حدثنا معروف بن الحنف الكنانى حدث كثير  
ابن هشام عن عيسى بن إبراهيم عن سعيد بن أبي سعيد عن كعب قال « العافية  
عشرة أجزاء ، تسعة منها في الكوت »

أخبر الحسن بن سفيان حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثني يحيى  
القطان عن شعبة قال « من الناس من عقله بفنائه ، ومنهم من عقله معه ،  
ومنهم من لا عقل له ، فما الذى عقله معه فأنه يبصر ما يخرج منه  
قبل أن يتكلم ، وأما الذى عقله بفنائه فأنه يبصر ما يخرج منه بعد أن يتكلم ،  
ومنهم من لا عقل له ، لحدث به عبد الرحمن بن مهدي ، بعد ما رجع من عند  
يحيى ، فقال : هذه صفتها ، يعنى الذى عقله بفنائه ، واستحسن الكلام ،  
وقال لا ينبغي أن يكون هذا من كلام شعبة ، لانه سمعه من غيره »

وأشدنى الخدادى محمد بن عبد الله بن ربحى  
أنت من الصمت آمين الرائل ومن كثير الكلام و وحلى (١)  
لا نقل القول ثم تنبيهه ياليت ما كنت قلت لم أقول  
سمعت محمد بن السيب يقول : سمعت العباس بن الوليد بن زيد يقول : سمعت  
أبى يقول سمعت الأوزاعى يقول « ما على أحد في دينه بلاء أضر عليه من  
طلاقة لسانه »

سمعت محمد بن محمود السامى يقول : سمعت أبى أحمد بن أبى قديد يقول :

(١) ازل : السقوط ، والوجل ، الخوف ، وكلامهما بفتح أوله وثانيه



سمعت المباس بن عبد العظيم يقول : سمعت عازماً يقول : سمعت خالد بن الحارث يقول « الكوت زين للعقل ، وشين للجاهل »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لو لم يكن في الصمت خصلة محمد ، إلا برز زين العاقل ونشئ الجاهل به نكاح الواجب على المرء أن لا يفارقه الصمت ما وجد إليه سبيلاً ، ومن أحب السلامة من الآثام فليقل ما ينقل منه ، وليقل بما يقل منه : لأنه لا ينجى على الكلام الكثير إلا فائق أو مائق<sup>(١)</sup> ،

وقد ترك جماعة من أهل العلم حديث أقوام أكثروا الكلام فيما لا يليق بهم . من ذلك ما حدث به محمد بن الحسن بن مكرم بالبصرة حدثنا عمرو بن علي حدثنا أمية بن خالد عن سعيد قال : قلت للحكم : مالك لا تكتب عن رادان ؟ قال : كان كثير الكلام .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لسان العاقل يكون وراء قلبه ، فإذا أراد القول جمع إلى القلب ، فإن كان له قال ، وإلا فلا ، والجاهل قلبه في طرف لسانه ، ما أتى على لسانه تكلم به ، وما عقل ديه من لم يحفظ لسانه . واللسان إذا صلح تبين ذلك على الأعضاء ، وإذا فسد وكذلك .

أخبرنا محمد بن عبيد الله بن حميد حدثنا عبد الوهيد بن عبيد الله عن عبد الله أبا ناسف عن رجل قال « إني لأكذب الكذبة فأعرفها في عملي » أنسنا أبو عروبة يعقوب بن إبراهيم بن إسحاق حدثنا الفضل بن عبد الحارث حدثنا أبو إسحاق الطالقاني عن الويد بن مسر قال : قال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير أنه قال « ما صلح منطق رجل إلا عرف ذلك في سائر عمله » .

( ١ ) الفائق : المتفوق على القدرة على حسن التأتى وانضاض القول من واسع ما علم . فهذا يقسم على الكلام وانفاً متشأً فيفيد . والمائق : الأحمق السفه الذي لا يهجه أن يلقى بنفسه في كل ورطة ، وأن يزج نفسه في كل بلية لا خلاص له منها لأنه لا يقدر العواقب ، ولا يكر في المصائر .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : وعقل لا يتدى الكلام إلا أن يأتي ولا يقول إلا لمن يقبل ، ولا يجب إذا شئتم ، ولا يحارى إذا أسمع ؛ لأن الابتداء بالصمت وإن كان حسناً ، فإن السكوت عند القبيح أحسن منه .

وأشدني المنتصر من بلال بن المنتصر الأنصاري :

الصمت عند القبيح يسمه      صاحبُ صدقٍ بكل مصطب  
فأتر الصمت ما استطعت ، فقد      يؤثر قول الحكيم في الكتب  
وكان بعض الكلام من ورق      لكان حس السكوت من ذهب

أخبرنا بكر بن محمد بن عبد الوهاب القزاز حدثنا إسماعيل بن إبراهيم أبو بشر حدثنا أبي حدثنا المبارك بن فضالة عن المنيرة بن مسلم المجبى عن أسير ابن حارقال « ما رضعت عنزاً قط ، ولو قت لا أرضعها حفت أن يصير بي البلاء إلى أن أرضعوه ، إن البلاء مؤكل بالقول »

وأشدني الكريزي

استرايمى ما استطعت بصمت      إن في الصمت راحة للصوت

واجعل الصمت إن عيت جواباً      رب قول جوابه في السكوت

أبنا محمد بن المنذر حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور حدثنا عبد الرحمن ابن مهدي حدثنا سفيان عن يزيد بن حبان عن عيسى بن عتبة قال : سمعت ابن مسعود يقول « والله الذي لا إله غيره ما شيء أحق بطول سجن من لسان » قال أبو حاتم رضي الله عنه : العقل يحفظ أحواله من ورود الخلل عليها في الأوقات ، وإن من أعظم الخلل المفسد لصحة السرائر والمذهب لصلاح الصماثر : إلا كثار من الكلام ، وإن أبيع له كثرة النطق ، ولا سبيل للمعرة إلى رعاية الصمت إلا بترك ما أبيع له من النطق .

كما أبنا الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى حدثنا عبد الله عن

سفيان عن سسر بن دعلوق عن إبراهيم التيمي أحرق من صحب الربيع بن خثيم عشرين عاماً ثم يسمع منه كلمة تعاب .

أبناؤنا الجنيدي حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله عن عبيد الله أننا سفيان عن أبي طلحة عن رجل من الحلي قال : أتيت الربيع بن خثيم بمعنى<sup>(١)</sup> الحسين وقالوا : اليوم بتكلم مقنة ، فذوّه ومدّسها صوته ، ثم قال : اللهم وطّر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك بالحق فيما كانوا فيه يختلفون .

أبناؤنا عمرو بن محمد الأنصري حدثنا العلاءي حدثنا إبراهيم بن عمرو بن حبيب حدثنا الأصمعي قال « بدأ أنا أطوف بالمدينة إذا أنا بأعرابية تمشي وحدها على بعير لها ، فقلت : يا أمة الجبار من تطلبين ؟ فقالت : من يهد الله فلا مضل له ومن يصلل فلا هادي له ، قال : فعلت أمها فد أضلت أصحابها ، فقلت لها : كأنك قد أضلت أصحابك ؟ قالت : فمهماها سليمان ، وكلاً آتينا حكماً رعداً ، فقلت لها : يا هذه من أين أنت ؟ قالت : سمعان الذي أسرى عبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأنصبي الذي ياركنا حوله ، فعلت أمها مقدسية ، فقلت لها : كيف لا تتكلمين ؟ فقالت : ما يلقظ من قولي إلا نديه رقيب عتيد ، فقال حصي أمهاى : ينبغي أن تكون هذه من الخوارج ، فقالت : ولا تنفع ما ليس لك به علم إن السمع والنصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ، فيما نحن نماشيا إذ رفعت لنا قبيب وحيم ، فقالت : وعلامات وناجم هم يهتدون ، قال : فلم أظن لقولها ، فقلت : ما تقولين ؟ فقالت : وجاءت سيرة فارسوا وأردم فأدلى دلوهم قال يا بشرى هذا غلام ، قلت : بمن أصوت وبمن أدعو ؟ فقالت : يا يحيى خذ الكتاب بقوة ، يا زكريا إنا نبشرك ، يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ، قال : فإذا نحن بثلاثة أخوة كاللآلىء ، فقالوا : أما ورب السكعة أضلّكها منذ

ثلاث ، فقالت : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن رشا تقود شكور ، فأومأت إلى أحدكم فقالت : فاعثروا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة ، فليطراؤها أركى طعاماً دنياكم برزق منه ، فقلت : بها أمرتهم أن يروحوها ، فجاؤا بحبر وكحل ، فقلت : لا حاجة لنا في ذلك ، فقلت للفتية : من هذه منكم ؟ قالوا : هذه أمنا ماتكلمت منذ أربعين سنة إلا من كتب الله بحابة الكذب ، فدنوت منها فقلت : يا أمة الله ، أوصني ، فقالت : ما أسألكم عليه أجراً إلا اللودة في القبري ، فقلت أنها شيعية<sup>(١)</sup> ، فانصرفت .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : قد ذكرت ما شاكل هذه الحكايات في كتاب حفظ اللسان فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

فأجاب على العاقل أن يروض نفسه على ترك ما أبيع به من النطق ، فلا يقع في المزجورات ، فيكون خذفه في يخرج منه : لأن الكلام إذا كثر منه أوردت صاحبه التردد ضد الطاعات ، فإذا لم يوفق العبد لاستعمال اللسان فيما يُجدي عليه نفعه في الآخرة ، كان وجود الإمساك عن السوء أولى به .

وأشدن للنصر بن مائل الأنصاري :

ولن يهلك الإنسان إلا إذا أتى من الأمر ما لم يرصه بصحاؤه  
وأقل إذا ما قلت قرأاً ، فإنه إذا قل قول المرء قل خطأؤه

أبانا محمد بن الحسين بن الخليل حدثنا عبد الله بن أبي زياد القطواني  
حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سفيان حدثنا الملق بن زياد قال قال مؤرق المعجني

(١) إن صحت - فلها مقصد غير ما فهم ، وهي إنما توصيه أن يقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يؤذيه أهله ، وهو يبرهم ويحسن إليهم ، ويلفهم رسالة ربه ، رجاء نجاتهم من عذاب الله ، ورجاء سعادتهم في الدنيا والآخرة ، لما كان بينهم وبينه من القربى .

« أمر أن في طلبة منذ عشر سنين ، واست تارك طلبة . قال : وما هو يا أبا المعتمر ؟ قال . الصمت عما لا يعني . »

أبانا إبراهيم بن نصر الصنبري حدثنا علي بن الأدهم الرازي حدثنا ، إبراهيم ابن رستم قال : سمعت حارثة يقول « صحبت عبد الله بن عون خمس عشرة سنة فما أظن الملائكة كتبت عليه شيئاً » .

### ذكر الحث على لزوم الصدق ومجانبة الكذب

أحمد بن أحمد بن محمد بن حبيب الحنفي قال : حدثني محمد بن ونحوه حدثنا محاسن بن اللودع حدثنا الأعمش عن أبي سفيان قال قال عبد الله . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب له أجر ، وإن الرجل يكذب ، وإن الكذب يهدي إلى العجور ، وإن العجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب له عقاب »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن الله جل وعلا فعل السر على سائر الجوارح ، ورفع درجته ، وأمان فضيلته ، أن أطلقه من بين سائر الجوارح بتوحيده ، فلا يجب للعاقل أن يعوذ آله خلقها الله للنطق بتوحيده بالكذب ، بل يجب عليه المداومة برعايته بلزوم الصدق ، وما يعوذ عليه نفعه في داريه ، لأن اللسان يقتضى ما عوذ : إن صدقاً فصديقاً ، وإن كذباً فكذبا .

ولقد أحسن الذي يقول :

عوذ لسانك قول الخير تحفظ به    إن اللسان لما عوذت معتاد

موكل بضعى ما سئنت له    فاحترل نفسك ، وانظر كيف ترتاد

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا الفضل بن العباس البغدادي حدثنا الهيثم

ابن خارجه حدثنا الهيثم بن عمار قال : سمعت سماعيل بن عبد الله يقول :  
« كان عبد الملك بن مروان يأمرني أن أكتب بنيه الممن ، وكان يأمرني أن  
لا أطعم طعاماً حتى يبحر حوا إلى الرار ، وكان يقول : تعلم بي الصدق كما تعلمهم  
القرآن ، وجنهم الكذب وإن فيه كذا وكذا يعني القتل »  
وأشدى الأرض :

الكذب مُرديك ، وإن لم تخف والصّدقُ منحيك على كل حال  
فاسلق بب شت تجمد غيبه لم تُتخس وزنه مقال<sup>(١)</sup>  
أخبرنا أبو يعلى حدثنا أبو حنيفة حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سليم  
ابن حيان عن قتادة عن حميد بن عبد الرحمن الحميري أن عمر بن الخطاب قال « إن  
أما بكر قام فينا عام أول ، فقال : إنه لم يقسم بين الناس شيء أضر من المعافاة  
بعد اليقين ، ألا إن الصدق والبر في الجنة ، ألا وإن الكذب والفيجور في النار »  
أخبرنا أبو حنيفة حدثنا أبو الوليد الطحاوي حدثنا عكرمة بن عمار حدثني  
طيسلة بن عيسى السهلي قال « كنت مع ابن عمر يوماً في أصول الأرائك يوم عرفة ،  
وبين يديه رجل من أهل العراق ، فقال له الرجل : يا ابن المدفق . قال : المنافق ،  
- ونحك ! - الذي إذا حدث كذب ، وإذا وعد لم يسجر ، وإذا أوفى لم يؤد » .  
سمعت أحمد بن محمد بن الأزهري يقول : سمعت محمد بن خلف بن أبي الأزهري  
يقول : سمعت لمضيل بن عياض يقول « ما من مضعه أحم إلى الله من لسان  
صدوق ، وما من مضعه أبعس إلى الله من لسان كذوب »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : كل شيء ستمار ليتجمل به سهل وجوده ،  
خلا اللسان ، فإنه لا ينفي إلا عما عود ، والصدق ينحي ، والكذب يردى ،

(١) عب الشيء : عافته ، ولم يتخس : معاه لم تنقص .

ومن غيب لسانه أمره فومه ، ومن أكثر الكذب لم يترك لنفسه شيئاً يصدق به ، ولا يكذب إلا من هانت عليه نفسه

حدثنا أحمد بن محمد بن ربحويه حدثنا جعفر بن أبي عثمان الطيالسي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا أس بن عياض عن صالح بن حسان عن محمد بن كعب القرظي قال « إنما يكذب الكاذب من مهانة نفسه » وأشددي الكريري .

كذبت ، ومن يكذب فإن جزاءه إذا ما أتى بالصدق أن لا يُصدق  
إذا عرف الكذاب بالكذب لم ير لدى الناس كذاباً ، وإن كان صادقاً  
ومن آفة الكذاب حين كذبه وتلقاه ذا فقه إذا كان حاذقاً  
قال أبو حاتم : لو لم يكن للكذب من الشين إلا إبراهيم صاحبه بحيث ين  
صدق لم يُصدق ، لكان الواجب على الخلق كافة لزوم التثبت بالصدق الدائم ،  
وإن من آفة الكذب أن يكون صاحبه نسياً ، فإذا كان كذلك كان كالمنادي  
على منة بالحري في كل لحظة وطرفة .

سمعت أحمد بن محمد بن الأزهري يقول سمعت نصر بن علي الجهضمي يقول  
« إن الله أعانتنا على السكدين بالسيور » وأشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

إذا ما المرء أحطه ثلاث بهمه ، ولو بكف من رماه  
سلامة صدره ، والصدق منه ، وكتل السرائر في القواد

أنبأنا بكر بن أحمد الطاحي بالبصرة حدثنا إبراهيم بن عذرة حدثنا سفيان  
ابن عيينة عن معمر قال قال الزهري « لو رأيت طاووساً نعلت أنه لا يكذب »  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : اللسان سبع عفور ، إن صغره صاحبه سلم ،  
وإن حنى عنه عقره ، وبعمه يفتضح الكدوب ، فالعاقل لا يشتغل بالخوض فيما  
لا بعد فيمتهم فيما يعم ، لأن رأس الذنوب الكذب ، وهو يبدى المضامح وبكتم

الحاسن ، ولا يجب على المرء إذا سمع شيئاً يعيبه أن يحدث به لأن من حدث عن كل شيء أزدى رأيه ، وأفقد صدقه .

ولقد أباؤنا أبو خديعة حدثنا ابن كثير أنباءً ، سمعان الثوري عن أبي إسحاق عن الأحوص عن عبد الله قال « حَسْبُ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْكُذْبِ أَنْ يَحْدِثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ » .

أما الحسن بن سفيان ، حدثنا حبان بن موسى ، أمانا عند الله أمانا سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد قال قال عيسى بن مريم عليه السلام « طُوبَى لِمَنْ حَرَّمَ لِسَانَهُ ، وَوَسَّعَ يَدَهُ ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ »  
أشدى محمد بن إسحاق الواسطي :

وإذا الأمور تراوحت فالصدق أكرمها نقاشاً  
الصدق يقد فوق رأ من خديقه بالصدق تاج  
والصدق يقدح رده في كل ناحية سراج

أبانا القطان بارقة حدثنا نوح بن حبيب حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن منصور عن ربيعة قالوا « من ذكرت يا أبا سفيان ؟ قال : ذكرت ربيعة ، وتذرون من كان ربي ؟ كان رجلاً من أشجع ، زعم قومه أنه لم يكذب قط ، فسمي به ساع إلى الحجاج ، فقال : ها هنا رجل من أشجع ، زعم قومه أنه لم يكذب قط ، وإنه يكذب لك اليوم ، فإني ضربت على ابنه البعث قفصاً ، ومها في البيت ، وكان عقوبة الحاجج للعاصي ضرب السيف ، قال : فدعاه ، فإذا شيخ منحرف ، فقال له : أنت ربي ؟ قال : نعم ، قال : ما فعل ابنك ؟ قال : هاهنا ذان في البيت . قال : فغمله وكساه وأوصى به خيراً »

أمانا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا عبيد الله بن محمد التميمي عن أبيه قال « كان عمر بن الخطاب يمتحن ، فطش ، فأتته إلى عبور ، فاستقاه ماء .



فَقَالَتْ : مَا عِنْدَنَا ، فَقَالَ : لَيْسَ ، فَقَالَتْ : مَا عِنْدَنَا ، فَبَدْرَتْ حَارِيَّةَ فَقَاتَ لَهَا :  
سَكْدِيَيْنَ ، وَمَا نَسْتَحْبِبُ ؟ ثُمَّ قَالَتْ لِعَمْرٍ : هَذَا السَّقَاءُ فِيهِ لَيْسَ ، فَسَأَلَ عَمْرٌ عَنْ  
الْحَارِيَّةِ فَبَدَأَ أَبْوَهَاتُفِي فَنَظَّيَهَا عَلَى عَاصِمِ بْنِ عَمْرِ ، فَزَوَّجَهَا بِهِ ، فَوَلَدَ لَهُ مِنْهَا  
أُمَّ عَاصِمٍ ، فَزَوَّجَهَا عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ فَوَلَدَتْ لَهُ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ  
مَرْوَانَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ١ .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الصَّدَقُ يَرْفَعُ الْمَرْءَ فِي الْبُيُوتِ ، كَمَا أَنَّ الْكُذْبَ  
يَهْوِي بِهِ فِي الْحَالِيْنَ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنِ الصَّدَقُ حَصْلَةَ تَحْمِيدٍ إِلَّا أَنَّ الْمَرْءَ إِذَا عَرَفَ بِهِ  
قَبْلَ كُذْبِهِ ، وَصَارَ صَدَقًا عِنْدَ مَنْ يَسْمَعُهُ - لَسَكَانَ الْوَاحِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَبْلُغَ  
مَجْهُودَهُ فِي رِبَاطَةِ لِسَانِهِ ، حَتَّى يَسْتَقِيمَ لَهُ عَلَى الصَّدَقِ وَمَحَاسِنِ الْكُذْبِ ، وَالْعَمَلُ  
فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ خَيْرٌ مِنَ النُّطْقِ ؛ لِأَنَّ كُلَّ كَلَامٍ أَخْطَأَ صَاحِبُهُ مَوْضِعَهُ فَانْهَى  
خَيْرٌ مِنْهُ

أَشَدُّهُ اسْتِصْرَافُ لَالٍ :

تَحَدَّثْ بِصَدَقٍ إِنْ تَحَدَّثْتَ ، وَلَيْكُنْ لِكُلِّ حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِكَ حِينٌ  
فَمَا الْقَوْلُ إِلَّا كَالْتِيَابِ ، فَبَعْضُهَا عَيْنُكَ ، وَبَعْضُهَا فِي التَّخُوتِ مَعْصُونٌ (١)  
وَأَنْشَدَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْأَبْرَشُ :

كَمْ مِنْ حَسِيبٍ كَرِيمٍ كَانَ ذَا شَرَفٍ

قَدْ شَاءَ الْكُذْبُ وَسَطَ الْحَيِّ إِنْ عَدَا

وَأَخْرَجَ ، كَانَ صُفُوْكَا ، فَشَرَّفَهُ

صَدَقَ الْحَدِيثُ وَقَوْلُ جَانِبِ الْقَدَا

مَصَارَ هَذَا شَرِيفًا هُوَ صَاحِبُهُ

وَصَارَ هَذَا وَصِيْعًا نَحْتَهُ أَبَدًا

(١) النُّحُوتُ : جَمْعُ نَحْتٍ ، وَهُوَ كُلُّ مَا يَحْصُطُ فِيهِ الثِّيَابُ

أبانا أبو خليفة حدث محمد بن كثير ، أبانا سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت ، عن ميمون بن أبي شبيب ، قال : قال عمر « لا يجد عبد حقيقة الإيمان حتى يدع لمراء وهو نحق » ، وبدع الكذب في المزاج وهو يرى أنه لو شاء لعذب »

أبانا ابن سعيد القزاري ، حدثني يوسف بن سعيد بن مسلم حدثنا علي بن بكار عن يوسف بن عبيد ، عن حميد بن هلال ، عن عبد الله بن عمرو قال « دُرُ ما لست منه في شيء ، ولا تنطق فيها لا بعينيت ، وآخرن لك كما تخزن دراهمك » وأشدني محمد بن المنذر بن سعيد الهروي :

القول كالسبين المخلوب ، ليس له ردٌ وكيف يردُّ الخالبُ اللبنا في ضربه ، وكذلك القول ليس له في الجوف ردٌ فيحيا كان وحسا قال أبو حنيفة رضي الله عنه : «واحب شئ العاقل ترك إعصاء عن عهد اللسان : لأن من كثر كلامه كثر سقطه ، والسقطات تعدى غيره فيهلك في ورثة لا حية له في التخلص منها ، لأن اللسان لا يندمل جرحه ، ولا يلتئم ما قطع به ، وكلمة تقول إذا وصل إلى القلب لا يزاع إلا بعد مدة طويلة ، ولم يستخرج إلا بعد حيلة شديدة ، ومن الناس من لا يكتم إلا للسانه ، ولا يهان إلا به ؟ فالواحب على العاقل أن لا يكون ممن يهان به .

أبانا عبد الله بن محمد الأماطي أمداني ، حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا عبد الله بن الحسين العقيلي ، حدثنا أبو سلمة الخزازي ، حدثنا شبيب بن شبة ، قال : سمعت ابن سيرين يقول « الكلام أوسع من أن يكذب فيه ظريف » ذكر الحث على لزوم الحياء وترك القصة<sup>(١)</sup>

أبانا الفضيل بن الحباب الحنفي ، حدثنا القمني عن شعبة ، عن منصور ، (١) القصة - بكسر القاف وفتحها - مصدر قولهم : وقع الرجل - بالضم - إذا قل جياؤه .

عن ربيع ، عن ابن مسعود : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن مما أدرك  
الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستحي فاصنع ما شئت »  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الحياء لأنه أصل العقل  
وبذر الخير ، وتركه أصل الجهل وبذر الشر ، والحياء يدل على العقل كما أن عدمه  
دال على الجهل ، ومن لم ينصف الناس منه حياؤه ، لم ينصفه منهم قبحته ، ولقد  
أحسن الذي يقول :

وليس بمسبوب إلى العبد والنهي      فتى لا تترى فيه خلأ تلق أروع  
فوحدة : تقوى الإله التي بها      يمال حليم الخير والفصل أجمع  
وثانية : صدق الحياء فيه      طباع عليه ذو المروءة يطعم  
وثالثة : حم إذا الجهل أطلعت      إليه حبايا من فخور تسرع  
ورابعة : جسود تلك يمينه      إذا نابه الحق الذي ليس يدفع  
وأشدنى محمد بن عبد الله البغدادي .

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه      فلا خير في وجه إذا قل ماؤه  
حياءك فاحفظه عليك ، فاعلم      يدل على وجه الكريم حياؤه  
أسانا أبو خليفة حدثنا ابن كثير حدثنا سميان التوري عن أبي إسحاق عن  
أبي الأحوص عن عبد الله قال « الأم شيء في المؤمن العجش » .  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحياء اسم يشتمل على محبة المسكروه من الخصال  
والحياء حياآن : أحدهما : استحياء العبد من الله جل وعلا عند الاهتمام<sup>(١)</sup>  
بمباشرة ما حظر عليه .

والثاني : استحياءه من المخلوقين عند الدخول فيما يكرهون من القول  
والفعل معاً .

(١) الاهتمام : أراد به الهم بالشئ ولعزم على فعله

والحياء آن حياءً محمودان ، إلا أن أحدهما فرضٌ والآخرَ فصل ، فزوم الحياء عند محاربة مذهبى الله عنه فرض ، ولزوم الحياء عند مقارفة ما كره الناس فضل .  
وأشدنى محمد بن المنذر بن سعيد عن محمد بن حلف النيسى قال : أشدنى رجل من خراعة :

إذا لم تخش عاقبة الليالى ولم تستحي فاصنع ما تشاء  
فلا والله ، ما فى العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء  
يبش المرء ما استحي بخير ويبقى الموت مابقى اللحياء

حدثنا إسحاق بن إبراهيم القاضى حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث بن سعد عن عقيل عن الزهرى : أن أبا بكر الصديق قال يوماً وهو يخطب « أيها الناس ، استحيوا من الله ، فوالله ما خرجت لحاجة منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد العائط إلا وأما تمسح رأسى حياءً من الله » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحياء من الإيمان ، وللزوم فى الحياء ، والبذاء من الجفاء ، والجفاف فى النار ، إلا أن يتفضل الله عليه برحمته فيخلصه منه .  
فإذا زوم المرء الحياء كانت أسباب الخير منه موجودة ، كما أن الوقح إذا لزم البذاء كان وجود الخير منه معدوماً ، وتواتر الشر منه موحوداً ؛ لأن الحياء هو الحائل بين المرء وبين المزعجرات كلها ، فبقوة أحياء يضعف ارتكابه إياها ، ويضعف الحياء تقوى مباشرته إياها .

ولقد أحسن الذى يقول :

ورب قبيحة ما حال بينى وبين ركوبها إلا الحياء  
فكان هو الدواء لها ، وسكن ، إذا ذهب الحياء فلا دواء  
وأثبتنا محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا عمر بن شبة حدثنا عبد الأعلى .

ابن عبد الأعلى حدثنا هشام عن محمد عن كثير بن أبلح عن زيد بن ثابت قال :  
« من لا يسحب من الدماء يسحب من الله »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواحد على العاقل أن يموت نفسه لزوم الحياة  
من الدماء ، وإن من أعظم ركنه حريصة النفس ركوب الخصال المحمودة  
ومحاشية لحلال المدمومة ، كما أن من أعظم ركة الحياة من الله القور من النار  
مدوم الحياة ، عند محاربة ما بهى الله عنه : لأن ابن آدم مطبوع على الكرم  
واللؤم معا في نعمة الله وبين الله والعشرة سنة وبين المخلوقين ، وإذا قوى  
حياؤه قوى كرمه ، وصعب ثوبه ، وبذ صعب حياءه وقوى ثوبه ، وصعب  
كرمه ، ولقد أشدنى على بن محمد لى :

إذا ررق الفتى وخم وقاحا      تقب في الأمور كما يشاء  
ولم يلك للدواء ولا لشيء      يعالجه به فيه غشاء  
فمالك في معاتبة الذى لا حياء      لوحه إلا العناء

قال أبو حاتم : إن المرء إذا اشتد حياؤه صار عرضه ، ودفن مساويه ،  
ونشر محاسنه ، ومن ذهب حياؤه ذهب سروره ، ومن ذهب سروره هان على  
الناس وميت ، ومن ميت أودى ، ومن أودى حزن ، ومن حزن قد علقه ،  
ومن أصيب في عقله كان أكثر قوله عليه لاله ، ولا دواء لمن لا حياء له ،  
ولا حياء لمن لا وفاء له ، ولا وفاء لمن لا إياء له ، ومن قل حياؤه صنع ما شاء  
وقال ما أحب .

وأشدنى عبد العزيز بن سليمان الأرش :

إذا لم تصن عرضاً ولم تخش خالقاً      وتستحي مخلوقاً فثنت فاصنع  
إذا كنت تأتى المرء عظيم حقه      ويجهل منك الحق فالصرم أوسع

أباًنا محمد بن سعيد القزاز حدثني عبد الله بن مسعود النعسي باليمن حدثنا  
أحمد بن زيد بن السكن الحنذي عن سفيان بن عيينة قال : قال يحيى بن حمدة  
« إذا رأيت الرجل قليل الحياء فاعلم أنه مدحول في سبه »

### ذكر الحث على لزوم التواضع ومجانبة التكبر

أبناًنا أبو خليفة حدثنا موسى بن إسماعيل التبوذكي حدثنا إسماعيل بن جعفر  
عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « نقصت صدقة من مال ، ولا زاد الله علماً بفوق إلا عزاً  
ولا تواضع أحدثه إلا رفعة لله » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل لزوم التواضع ومجانبة  
التكبر ، ولو لم يكن في التواضع حصة محمد إلا أن المرء كلما أكثر تواضعه أزداد  
ذلك رفعة لكان الواجب عليه أن لا يتزناً بغيره .

والتواضع تواضعان : أحدهم محمود ، والآخر مذموم . والتواضع المحمود :  
ترك التصاوير على عبد الله ، والإعزاز بهم . والتواضع المذموم : هو تواضع للمرء  
لذي الدنيا رعية في دنيته

فالعاقل يلزم مفارقة التواضع المذموم على الأحوال كلها ، ولا يعارق التواضع  
المحمود على الجهات كلها .

ولقد أباننا الحسن بن سفيان ، حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن ابن  
عجلان عن بكير بن عبد الله ، عن عبيد الله بن عدي أن عمر بن الخطاب قال « إن  
الرجل إذا تواضع لله رفع الله حكته » <sup>(١)</sup> وقال : اتعش نفسك الله ، فهو في

(١) الحكمة - يحتاج - حديدة في اللجام تكون على أمت الفرس وحكمة تمنعه عن  
مخالطة راكمه ، ومنه حديث عمر « إن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكته » ورسمها  
كناية عن الإعزاز ، لأن من صفة الدليل تكبس رأسه

نفسه صغير ، وفي أعين الناس كبير ، وإن تكبر العبد وعد طوره وهسه الله إلى الأرض ، وقال : أخس ! أحسك الله ، فهو في نفسه كبير ، وفي أعين الناس صغير »  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : التواضع يرفع المرء قدراً ، ويعظم له خطراً ،  
ويريده نبلاً .

والتواضع لله جل وعز على ضربين :

أحدهما : تواضع العبد لربه عند ما يأتي من الطاعات غير معتب بفعله ، ولا راء له عده حلة يوجبها أسباب الولاية ، إلا أن يكون المولى حال وعز هو الذي يتفضل عليه بذلك ، وهذا التواضع هو نسب الذائع ليس لعجب عن الطاعات والتواضع الآخر هو ازدراء المرء نفسه واستحقاقه إياها عند ذكره ما ذرف من المآثم حتى لا يرى أحداً من المسالم إلا ويرى نفسه دونه في الطاعات وفوقه في الحنانيات .

كما أنبأنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي ببعداد ، حدثنا يحيى بن معين حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن عبد الله بن بكر بن عبد الله المزني قال : قال أبي « يا بني لو لم أحضر الموسم رحوت أن نفر لهم » .

أنبأنا عبد الرحمن بن يحيى بن معاذ الزاز ، حدثنا هشام بن عمر ، حدثنا ابن سميع ، حدثنا زهير بن محمد عن بن حريج عن مجاهد في قوله ( كانوا لنساء خاشعين ) قال « متواضعين »

قال أبو حاتم رضي الله عنه . العاقل يدرم بحاجبة التكبر ، لما فيه من الخصال المنعومة

إحداها : أنه لا يتكبر على أحد حتى يعجب بنفسه ، ويرى لها على غيرها الفضل

ولثنية : ازدرأوه بالعالم ، لأن من لم يستحقر الناس لم يتكبر عليهم ، وكفى  
بالمستحقرين أكرمه الله بالإيمان طعيانا

ولثالثة : منارعة الله جل وعلا في صفاته ، إذ لكبرياء والعظمة من صفات  
الله جل وعلا : فمن نازعه إحداهما ألقاه في الدار ، إلا أن يتفضل عليه بعموه .  
ولقد أحسن الذي يقول :

التيه مفسلة للدين ، منقصة للعقل ، مهتكة للعرض ، فاقبه  
لا أشترهن : فإن الدل في الشره والعز في الحزم لا في البطش والسفه

سمعت محمد بن محمود السائي يقول : سمعت أبا داود السنجي يقول : سمعت  
الأصمعي يقول : سمعت يحيى بن خالد البرمكي يقول « الشريف إذا تقرأ <sup>(١)</sup>  
تواضع ، والديء إذا تقرأ تكبر »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يمتنع من التواضع أحد ، والتواضع بكسب  
سلامة ، وبورث لألفه ، ويرفع الحقد ، ويذهب الصد ، وثمره التواضع المحبة ،  
كما أن ثمره الفتحة الراحة ، وإن تواضع الشريف يزيد في شرفه ، كما أن تكبر  
الوضيع يزيد في ضعفه ، وكيف لا يتواضع من خلق من بطة مذرة ، وآخره  
يعود حبة فذرة ، وهو بينهما يحمل المذرة ؟

سمعت أبا يحيى يقول : سمعت إسحاق بن أبي إسرائيل يقول : سمعت ابن  
عينة يقول : لو قيل أخرجوا خيار هذه القرية لأخرجوا من لا يعرف .  
وأشدنى الكبريزي :

ولا تمس فوق الأرض إلا تواضعاً      فكم تحتها قوم ثم منك أرفع  
فإن كنت في عز وخير ومنعة      فكم مات من قوم هم منك أمتع ؟



أشدنا أبو عروبة أو ابن قتيبة ، أشدنا لمسيب بن واضح عن يوسف بن أسباط :  
وكفى بملتص التواضع رفعةً وكفى بملتص العلو سملًا  
أنا ابن خزيمة ، حدثنا محمد بن هشام المروزي ، حدثنا حمص بن عياث  
عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال « حج الحسين بن علي عشر حجج ماشياً  
ومُحِبُّهُ <sup>(١)</sup> تقاد إلى جنبه »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : أفضل الناس مَنْ تواضع عن رفعة ، وزهد عن  
قدرة ، وأنصف عن قوة ، ولا يترك المرء التواضع إلا عند استحكام التكبر ، فلا  
يتكبر على الناس أحد إلا ينجأه بنفسه ، وعجب المرء بنفسه أحد حاد عقله ،  
وما رأيت أحداً تكبر على مَنْ دونه إلا ابتلاه الله مائدة لمن فوقه .

وأشدني محمد بن أبي علي الخلابي :

ودع التباهي والعُيُوس على الناس فإن العُيُوس رأس الخماقة  
كل شئت أن تعادى عدو - ست صديقاً وقد تفر الصداقة  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : ما استحدثت لبعضه بمثل لتكبر ، ولا اكتسبت  
الحبة بمثل التواضع ، ومن استطاع على الإخوان فلا يثقن منهم بالصفاء ، ولا  
يجب لصاحب الكبر أن يطمع في حن الثناء ، ولا تكاد ترى ثائها إلا وضيعاً  
فالعقل إذا رأى من هو أكبر سناً منه تواضع له ، وقال : سبقي إلى  
الإسلام ، وإذا رأى من هو أصغر سناً تواضع له ، وقال : سبقته بالديوب ، وإذا  
رأى من هو مثله عده أخاً ، فكيف يحسن تكبر المرء على أخيه ، ولا يجب استحقار  
أحد ، لأن العود النبوذ ربما انتفع به فحكاً لرحل به أذنه .

أخبرنا محمد بن المسيب بن إسحاق ، حدثنا العباس بن الوليد بن مزينة ،

(١) محب - بضم الهمزة والهمزة - جمع محب ، وهو الجمل

قال : سمعت محمد بن شعيب بن شابور يقول « دخل رجل الحمام وزيد بن أبي حبيب فيه ، وكان أسود ، فقال له : يا أسود قم فاغسل رأسي ، قال : قمام فشد عليه إزاره ففسل رأسه ، وذلك حسده ، فلما فرغ قال له الرجل : كثر الله في أسودان مثلك ، قال : أحببت أن يكثر من يخدمك »

أخبارنا محمد بن زنجويه القشيري ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله المدائني ، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال « لو سعى جيل على جيل لذلك الله الباعى منهما . »

أخبارنا الحسن بن سميان ، حدثنا نصر بن علي ، حدثنا روح بن قيس عن أخيه عن قتادة قال : « مانسبت شيئاً قط » ثم قال لغلامه « ناولني نعلين ، قل : نعلك في رجلك »<sup>(١)</sup>

أخبارنا عبد الله بن محمد بن عمر ، أسأنا علي بن حشرم ، قال : سمعت الفضل بن موسى يقول « كان مالك بنسني ، فقال قهرمان<sup>(٢)</sup> : اشتر لي غلاماً وسمه باسم خفيف حتى لا أساء ، قال : فاشتري له غلاماً ، وأدخله عليه ، فقال : اشتريت لك هذا الغلام ، وسميته باسم خفيف ، قال : ما سميته ؟ قال : فرقد ، قال : فطر إلى الغلام ، وقال : احلس يا واعد »

ذكر استجباب التحجب إلى أناس من غير مقارفة المأثم<sup>(٣)</sup>

أخبارنا أحمد بن الحسين بن عبد الجبار ببغداد ، حدثنا يحيى بن معين ، حدثنا عمدة بن سليمان عن هشام بن عروة ، عن موسى بن عقبة ، عن عبد الله بن عمرو

(١) السرة في هذا : أنه أسى ما لا يصح أن ينسب ، فكان دليلاً على فساد دعواه

(٢) قهرمان : الخادم . ومالك : هو ابن أسير إمام دار الهجرة

(٣) أي مع التحفظ والخبر أن يدور مما فيه إثم وخطيئة تعصب الله

الأزدى ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يحرم على النار كلُّ هينٍ ليسَ قريبٍ سهْلٍ »<sup>(١)</sup>

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يتحسب إلى الناس مبروم حسن الخلق ، وترك سوء الخلق ؛ لأن الخلق الحسن يديب الخطايا ، كما تديب الشمس الجليد ، وإن الخلق السيئ يفسد العمل ، كما يفسد الخل العسل ، وقد تكون في الرجل أخلاقٌ كثيرةٌ صالحة كلها ، وخلق سيئ ، يفسد الخلق السيئ الأخلاق الصالحة كلها . وأشدنى بغدادى :

خلق ناسٍ بخلق حسن لا تكن كلاً على الناس يهرُ  
وأنتهم منك بشر ، ثم صنَّهم عرصك عن كل قدر

أبانا حامد بن شعيب اللخى ببغداد ، حدثنا سريج بن يونس ، حدثنا سفيان عن إبراهيم عن ميسرة عن طاوس قال : سمعت ابن عباس يقول « إن الرحم تُقطع ، وإن النعم تُكفر ، ولم أرَ مثل تقارب القلوب » .

أبانا الخلالدى ، حدثنا محمد بن لمية الوهلى ، ثنا عبد العزيز بن ميثب حدثنا إبراهيم بن الأشعث ، قال : سمعت الفصيل بن عمار يقول « إذا خاطبت فخالط حسن الخلق ، فإنه لا يدعو إلا إلى خير ، وصاحبه منه في راحة ، ولا تخالط سيئ الخلق فإنه لا يدعو إلا إلى شر . وصاحبه منه في عناء ، ولأن يصحبنى فاجرٌ حسن الخلق أحبُّ إلى من أن يصحبنى قارىء سيئ الخلق ، إن العاسق إذا كان حسن الخلق عاش بعمله وحف على الناس وأحبوه ، وإن لعابد إذا كان سيئ الخلق ثقل على الناس ومقتنوه » .

(١) هين : ليس بافرأ مستعصياً ، لين الجانب ليس حشواً ، قريب الخلق ليس شكماً

وأشدني محمد بن الناهر العدل ، أشدني محمد بن إبراهيم اليمري :  
حافظ على الحق الجليل ومُرَّ به ما بالجيل وبالقبيح حفاء  
إن ضلقتك فالتقته ما بشر منك إذ يحين لقاء  
أبنا الحسين بن إسحاق الأصبهاني ، حدثنا يحيى بن حكيم القزويني ، حدثنا  
الخليل بن عبد العزيز ، قال : سمعت حماد بن سلمة يقول « الصوم في البستان من  
الثقل »<sup>(١)</sup>

قال أبو حاتم رضي الله عنه : حسن الخلق بذرا اكتساب المحبة ، كما أن سوء  
الخلق بذور استجلاب البغضة ، ومن حسن خلقه صدق عرضه ، ومن سوء خلقه  
هتكت عرضه ؛ لأن سوء الخلق يورث الضغائن ، والضغائن إذا تمكنت في القلوب  
أورثت العداوة ، والعداوة إذا ظهرت من غير صاحب الدين أهوت صاحبها إلى  
النار ، إلا أن يتداركه الولي بفصل منه وغفر .

أبنا محمد بن المنذر ، حدثنا أبو حاتم الرازي ، حدثنا أبو عمير النخاس ،  
حدثنا صمرة ، عن رجاء بن أبي سلمة عن الزهري قال « وهل يُنتفع من السيئ  
بخلق شيء ؟ »

وأشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

للخير أهل لا ترا ل وجوههم تدعو إليه  
طوبى لمن حرت الأمور ر الصالحات على يديه  
مأم يضيق خلق الفتى فالأرض واسعة عليه

أبنا أبو يعلى ، حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ، حدثنا مهدي بن ميمون ،

(١) أي صوم التنفل مع وجود الرقعة الدين خرجوا فترهه والتفرج في بستان  
كثير العاكهة التي قلما يالها طلاب العلم ، فمن سام كذلك كان منتظما

عن موسى بن عبيد ، عن ميمون بن مهران قال « التوّدّد إلى الناس نصفُ لعقل ، وحسن المسألة نصفُ العلم واقتصادك في معيشتك يُنقّي عنك نصف المؤونة » قال أبو حاتم رضي الله عنه : النحب إلى الناس أسهل ما يكون وجهاً ، وأظهر ما يكون بشراً ، وأخصر ما يكون أمراً ، وأرق ما يكون مهياً ، وأحسن ما يكون خلقاً ، وألين ما يكون كُفّاً ، وأوسع ما يكون يدّاً ، وأدفع ما يكون أدّى ، وأعظم ما يكون حقّاً ؛ فإذا كان المرء بهذا العت لا يَحْزَنُ من مُحبّه ولا يَفْرَحُ من يَحْذَرُه ؛ لأن من جعل رصده تبعاً لرضا الناس <sup>(١)</sup> ، وعاشرهم من حيث هم استحق الكمال بالسؤدد . وأشدني على بن محمد السامي :

أعشر مَعَشَرِي في كل أمرٍ    أحسن ما أُرِيتُ وما رَأِيتُ  
وأحسب التّجَاحِجَ حيث كانت    وأترك ما هَوِيتُ وما قَرِيتُ <sup>(٢)</sup>

قال أبو حاتم رضي الله عنه : حاجة المرء إلى الناس مع محبتهم إياه خير من عناه عنهم مع إعصاهم إياه ، والسبب الداعي إلى صَدِّ محبتهم له : هو التصديق في الأخلاق ، وسوء الخلق ؛ لأن من ضاق خلقه سنمه أهله وحيرانه ، واستثقله إخوانه ، فحينئذ تَمَنُّوا الخلاص منه ، ودعوا بالهلاك عليه .

سمعت عمر بن سعيد بن سمان الطائي يقول : سمعت أبا الحسن الرهاوي يقول : سمعت يزيد بن هارون يقول :

تَهَدَّتْ ثَقَالُ النَّاسِ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ    فَيَارِسِي لَا تَعْفِرِي لِكُلِّ ثَقِيلٍ

(١) على شرط أن لا يرضيهم بما يعصب الله ، ويعنى بذلك أن يكون موطأ الكف يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ .

(٢) وما قرئت : أي ما أثبت من الأعمال العجيبة . يقال « فلان يرى القرا » إذا كان يأتي بالمعجب . اهـ من لسان العرب

أبينا أحمد بن محمد بن الحسن البلخي حدثنا محمد بن إدريس الحافظ حدثنا  
محمد بن عبيد الله بن إسرائيل قال : سمعت عمرو بن الحارث يقول : تسخين  
الدين النظر إلى من نكره<sup>(١)</sup>

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الاستقلال من الناس يكون سببه شيئين :  
أحدهما - مفارقة المرء ما نهى الله عنه من المآثم ؛ لأن من تعدى حرمان الله  
أبغضه الله ، ومن أبغضه الله أبغضته الملائكة ، ثم يوضع له البغض في الأرض ،  
فلا يكاد يراه أحد إلا استقله وأبغضه .

والسبب الآخر هو استعمال المرء من التخلص ما يكره الله من منه ، فإذا  
كان كذلك استحق الاستقلال منهم . رأيتني الكريزي :

ليتني كنت ساعة ملك الموت ، فأفنى الثقال حتى يبيدوا  
ولو أني وأنت في جنة الخلد لقلت : لخروج منها أريد  
لدهول الجحيم أهون من جنة خلد ، أراك فيها تروء  
أبنا ما عمر بن حفص الغزاز بخنديزاور حدثنا إسحاق بن الضيف حدثنا  
أبو مسهر حدثنا هشام بن يحيى قال « كان نقش حاتم أيك - يعني أبا أبي مسهر -  
أرمت<sup>(٢)</sup> قم ، قال : فكان إذا جلس إليه الرجل فشاقل حرك خاتمه ، وقال :  
قرأ نقش حاتم ، وكان إذا فراق قام »

أبنا أحمد بن محمد بن الحسن حدثنا محمد بن إدريس حدثنا موسى بن  
إسماعيل حدثنا موسى بن رباح قال : سمعت مخلداً أبا أبي عاصم يقول : إذا  
أبغضت الرجل أبغضت شقي الذي يليه .

(١) من قولهم « أسخ الله عيه » أي أحزنه . كما قالوا « أفر الله عيه » إذا  
دموا - أن يسه الله ويفرحه

(٢) تقول : أوم الرجل إيماما : أي أضجره وأمله وأسامه .

سمعت محمد بن السري البغدادي يقول : سمعت أبا بكر المروزي يقول :  
سألت أحمد بن حنبل عن الثقلاء ، فقال : سألت عنهم بشراً الخافى ، فقال :  
النظر إليهم سُخْنَةٌ العين ، قلت لأحمد : من الثقلاء ؟ قال : أهل البدع .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الذى قال أحمد بن حنبل رحمه الله عليه  
هو استئصال الخاص : إذا عرف أحدكم من بعض الناس ثلماً في السنة <sup>(١)</sup> أمضه  
على بدعته ، فإما العام <sup>(٢)</sup> فلا يكادون يصادون ويوالون إلا على المحبوب من  
الخصال ، والمكروه من الفعال ، ألا ترى لمقتع الكندي حيث يقول لبص  
من صممه :

ألا يا مَرَكَبَ اللِّقْتِ الذى أَرَسَى ، فلا يدرخ  
ويا من سكرات اللو ت من طلعت أروخ <sup>(٣)</sup>  
لقد صُورَتْ فى فكرى فلا أدرى لما تصلح ؟  
فلا تصلح أن تهجى ولا تصلح أن تمدح  
بلى ، تصلح أن تُقتل أو تصب أو تدبح

سمعت أحمد بن محمد البلخي الدهلي يقول : قال محمد بن أبي الورد قال يحيى  
ابن ماسويه : النظر إلى الثقل حَتَّى تَمُوتَ بين الجُلْدَيْنِ .  
حدثنا أحمد بن عمر بن يزيد يقول : سمعت سلمة بن شبيب يقول : سمعت  
أبا أسامة يقول : انتوى عَسْتَمَلٍ خفيف على القواد ، إيى والثقلاء ، إيى والثقلاء  
أنبأنا أحمد بن محمد بن الحسن حدثنا عباس بن أبي طالب حدثنا إبراهيم

(١) الثلثة : فرجة المكسور والمهدوم ، ويعنى به التجافى عن السنة

(٢) أى العامة والجمهور من الناس

(٣) من الراحة ، أى أكثر راحة

ابن المنذر حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن ابن سيرين قال : سمعت رجلا من  
أهل لبادية يقول : نظرت إلى ثقيل مرة ، فعضي على  
وأشددني استصر بن بلال :

وأنت على مودتنا حريص ولكن لا تخف على الفؤاد  
وأثقل من رجا يزر علينا<sup>(١)</sup> كأكلك من بقايا قوم عاد

حدثنا إبراهيم بن مضر بن عبيد حدثنا يوسف بن عيسى حدثني وكيع  
حدثنا أبو سهل عن إبراهيم بن بكير قال : كان أبو هريرة إذا استثنى جليسا له  
قال « اللهم اغفر لنا وله ، وأرحنا منه في عافية »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل بجانب الخصال التي تورثه  
استئصال الناس إياه ، وسلازمة الخصال التي تؤديه إلى محبتهم إياه .

ومن أعظم ما يتوسل به إلى الناس ، ويستجلب به محبتهم : البذل لهم مما  
يملك المرء من خُطام هذه الدنيا ، واحتماله عنهم ما يكون منهم من الأذى ،  
فلو أن المرء صحبه طائفتان : إحداهما تحبه ، والأخرى تبغضه ، فأحسن إلى التي  
تبغضه ، وأساء إلى التي تحبه ، ثم أصابته نكبة فاحتاج إليهما ، لكان أسرعها  
إلى خذلانه وأسدها عن نصرته الطائفة التي كانت تحبه ، وأسرعهما إلى نصرته  
وأبعدهما عن خذلانه الطائفة التي كانت تبغضه ، لأن الكلب إذا شبع قوى ،  
وإذا قوى أمثل ، وإذا أمل تبع المأمول ، وإذا حاح ضعف ، وإذا ضعف أيسر ،  
وإذا أيسر ولى عن التبوع .

---

(١) أي الرحي إذا طحن حب الثور الرطب بخلاف الرحا يطحن بها ما يعد  
بالتجفيف للطعام



فمن عدم انما فليست وجهه للناس<sup>(١)</sup> فان ذلك يقوم مقام بدل المعروف ،  
إذ هو أحد طرفيه

أما محمد بن المهاجر المعد حدثنا هارون بن عبد الخالق المديني قال : سئل  
ابن المبارك عن حسن الخلق ، فقال « هو وسط الوجه ، وبذل المعروف »  
أما الحسن بن سفيان حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث حدثنا محمد  
ابن القاسم الأسدي عن مسحة بن عمرو قال « خرج غلام لنا بقميمة الدار ، أو بكفاسة  
الدار ، عريان ، وسعيد بن جبير على الباب ، فقال : يا خبيث ارفع إزارك » .

أما محمد بن إبراهيم البدرى بالبصرة حدثنا إبراهيم بن شاذان الرمادي  
حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي عمير عن مجاهد قال : إذا لقي لمسلم أخاه  
فصاحه وكثر<sup>(٢)</sup> في وجهه نحاتت ذنوبه ، كما تحبب العِدق من السُّخلة . فقال  
رجل لمجاهد : يا أبا الحجاج ، إن هذا من العمل اليسير . فقال مجاهد : ( ٨ : ٦٢ )  
هو الذي أيدك نصره والمؤمنين وأُف بين قلوبهم لو أنبت ما في الأرض جميعاً  
ما أنبت بين قلوبهم ) ففسر هـ ؟

### ذكر استعمال لزوم المداراة ، وترك المداهمة مع الناس

أما محمد بن قتيبة اللخمي بصقلان وعمر بن سعيد بن سنان الطائي  
تسبيح قالوا . حدثنا ابن واضح حدثنا يوسف بن أسباط حدثنا سفيان عن محمد  
ابن المسكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مداراة الناس  
صدقة » .

(١) أي يسعون بشره وحسن أخلاقه ، حيث لم يسعهم عاله ، فإن في الأثر  
« إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعونهم بأخلاقكم »  
(٢) كثر : تبسم وصحك ، لأنه يقال : كثر عن أسنانه أي أداها .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يلزم المداراة مع من دفع إليه في الشرة من غير مقارفة المداينة \* إذ المداراة من اللداری صدقة له ، والمداينة من اللداهن تكون حطية عليه ، والفصل بين المداراة والمداينة : هو أن يجعل المرء وقته في الرياضة لإصلاح الوقت الذي هو له مقيم بلزوم المداراة ، من غير تلم في الدين من جهة من الجهات ، فتق ما تخفق المرء بحلق شاة<sup>(١)</sup> بسن ما كره الله منه في تحلقه ، فهذا هو المداينة ، لأن عاقبتها تصير إلى غل ، ويلزم المداراة ؛ لأنها تدعو إلى صلاح أحواله . ومن لم يدار الناس منوه كما استدلني علي بن محمد البساس :

دلر من الناس ملاحم      من لم يدار الناس ملو  
ومكرهم الناس حبيب لهم      من أكرم الناس أحبوه

أبنا محمد بن أحمد بن أبي عون المرياني حدثنا أحمد بن منيع حدثنا ابن المبارك عن الحسن بن عمرو عن منذر الثوري عن ابن الحنفية قال « ليس بحكيم من لم يمارس بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدءاً ، حتى يأتيه الله به بالفرج أو المخرج . »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يداري الناس مداراة الرجل الساج في الماء الجاري ، ومن ذهب إلى شرة الناس من حيث هو كدّر على نفسه عيشه ، ولم تصف له مودته ؛ لأن وداد الناس لا يستجيب إلا بمساعدتهم على ما هم عليه إلا أن يكون مأثماً ، فإذا كانت حالة ممصبة فلا سمع ولا طاعة ، والبشر قد ركب فيهم أهواء مختلفة وطباع متباينة ، وكما يشق عليك ترك ما حُببت عليه ، فكذلك يشق على غيرك مجانبته مثله ، فليس

(١) أى : حاله . يقال : شاة الدين ماء ، أى حلقه .

إلى صفو ودادهم سبيل ، إلا معاشرتهم من حيث هم ، والإعصاء عن مخالفتهم في الأوقات. أشدنى الأرض :

وقالت ، وهزت رأسها ونصاحت : على الود تحفَى ، أم على العهد توصل ؟  
فقت : فم أفعل ، فقالت : تُريده فقت : فلم أفعل ، فقالت : ستفعل  
أبناؤنا ابن قحطبة حدثنا أحمد بن المقدم حدثنا حرم<sup>(١)</sup> قال : سمعت حبيب  
ابن الشهيد يقول : سمعت الحسن يقول « يا ابن آدم ، أحب الناس بأى خلق  
شئت يصحبوك عليه » وأشدنى الكريزى :

تحفَى علي بما قد جنى وبُعظ في القول ، بن لنت له  
ويسبق بالعذل لى طالما كأن الصواب له لآلية  
كما قال فى متلٍ عالمٌ خذ اللص بالذنب لا تفعله<sup>(٢)</sup>  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : من التمس رضا جميع الناس التمس مالا يُدرك ،  
وسكن يقصد العاقل رضا من لا يجد من معاشرته نداء ، وإن دعه الوقت إلى  
استحسان أشياء من العادات كان يستقبحها ، واستقبح أشياء كان يستحسنها ،  
ما لم يكن مأثما ؛ فإن ذلك من المداواة ، وما أكثر من دارى فلم يسلم . فكيف  
توجد السلامة من لا يدارى ؟ أشدنى محمد بن عبد الله البغدادى :

يا ذا الذى أصبح لا والد له على الأرض ولا والده  
قد مات من قبلهما آدم فأى نفس عده خالده ؟  
إن حثت أرضاً أهلها كلهم غورٌ ، فقمض عينك الواحد

(١) فى الخلاصة فى ترجمة أحمد بن مقدم : وردى عن حماد بن زيد ،  
وجزم القطيعى — بالجيم والزاي  
(٢) من أمثال العرب « خذ اللص قبل يأخذك »

أبياً أبو يعلى ، حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ، حدثنا مهدي بن ميمون  
حدثنا معاذ بن سعد الأعور قال « كنت جالساً عند عطاء بن أبي رباح حدث  
رجل بحديث ، فعرض رجل من القوم في حديثه ، قال : فغضب ، وقال : ما هذه  
الطباع ؟ إن لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعم به ، فأريه كما ينبغي لأحسن منه  
شيئاً »

أبياً محمد بن الماهر ، حدثنا محمد بن محمد الصيداوى ، حدثنا حماد بن إسحاق  
عن المدائنى ، قال : قال معاوية « لو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت ،  
قيل : وكيف ؟ قال : لأهم إن مدوها حلفتُها ، وإن حادوها مدحتها »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من لم يعاشر الناس على لزوم الإغضاء عما يأتون  
من المكروه ، وترك التوقع لما يأتون من المحبوب ، كان إلى تكدير عيشه أقرب  
منه إلى صفائه ، وإلى أن يدفعه الوقت إلى العداوة والبغضاء أقرب منه إلى أن  
ينال منهم الوداد ، وترك الشُّحْفاء ، ومن لم يدارِ صديق السوء كما يدارى صديق  
الصدق ليس بحازم . ولقد أحسن الذى يقول :

تجنب صديق السوء واصرمُ حباله      وإن لم تجد عنه تحيصاً فداره  
وأحبب حبيب الصدق ، واحذر مراده      تنلُ منه صفو الودِّ ما لم تدره  
أبياً الحسن بن سفيان ، حدثنا إبراهيم الحوراني ، حدثنا أبو مسهر ، حدثنا  
سهل بن هاشم عن إبراهيم بن أدهم قال : قال أبو الدرداء لأُم الدرداء « إذا  
غضتُ قرصينى ، وإذا غضبتِ رصيتك ، فإذا لم تكن هكذا ما أسرع ما سترق »  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الماقل إذا دفعه الوقت إلى صحبة من لا يثق  
بصداقته ، أو صداقة من يثق بأخوته ، فرأى من أحدهما زلةً فرفضه لزمه ،  
بقى وحيداً لا يجد من يعاشر ، فريداً لا يجد من يخادع ، بل يُنفض على الآخر

الصادق زلاته ، ولا يناقش الصديق السيء على عثراته : لأن المناقشة تلممه في تصحيح أصل الوداد أكثر مما تنزله في مرعه .

ومن أنواع المداواة : ما حدثني الحسن بن سفيان ، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثنا الحسن بن واقع ، حدثنا ضمرة عن ابن شاذب قال « كانت لرجل جارية ، فوطئها سرا ، فقال لأهله : إن مريم كانت تغتسل في هذه الليلة ، فاغتسوا ، فاغتسل هو واغتسل أهله ، قال ابن شاذب : وكانت مريم تغتسل في كل ليلة »

وأشدني منصور بن محمد الكري :

أعص عيني عن صديقي ، كأني      به يب يأتي من القبح جاهل  
وما بي جهل ، غير أن خليقتي      تطيق احتمال الكرم فيما أحاول  
متى ما يربني مفصل ففطمته      بقيت ومالي في نهوضي مفصل<sup>(١)</sup>  
وسكن داريه ، وبن صبح كدني      فإن هو أعبا كان فيه نحامل<sup>(٢)</sup>

أبانا محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلي عن أبي السائب قال : قال علي « لاتعامل بالخديعة ، فيها خلق اللثام ، والمحض أخاك الصبيحة حسنة كانت أم قبيحة ، وساعده على كل حال ، وزل معه حيث رال »

(١) يقول : لو أني كل رأي من صديقي أمر بسبب فصد ما يسا من مودة لم أجد عدا احتياجي إلى من ينهض بي عند عثري صديق . كما قال بشر بن برد :

إذا كنت في كل الأمور معاتبا      صديقك لم تلق الذي لاتعانه  
صحت واحداً ، أو صل أحاك فإنه      مقارف ذنب مرة ومحابة

(٢) يقول : إن من الحكمة أن أداري صديقي وأغض عن زلاته ، حتى إذا صح وده قويت به ، وأعطاني شدة في أمري ، وإن صحف وعجز وجدت منه بعض ما يتعامل به من قوة أنفع بها

## ذكر استحباب إفشاء السلام ، وإظهار البشر والتبسم

أبانا أحمد بن صالح الطبري ، حدثنا الفضل بن سهل الأعرج ، حدثنا محمد ابن جعفر المدائني ، حدثنا ورقاء عن الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن السلام اسم من أسماء الله ، وصحة في الأرض ، فأفشوه بينكم : فإن الرجل المسلم إذا مَرَّ «انقوم مسلمٌ عليهم فردُّوا عليه كان له عليهم فضل درجة بتدكيره إياهم بالسلام ، فإن لم يردوا عليه ردَّ عليه مَنْ هو خير منهم وأطيب »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يلزم إفشاء السلام على العام : لأن من سلم على عشرة كان له عتق رقبة ، والسلام مما يذهب إمشاؤه بالسكن من لشحناء<sup>(١)</sup> ، وما في الخلد من البعضاء ، ويقطع الهجران ، ويصافي الإحوان

والنادى بالسلام بين حسنتين : إحداهما : تفضيل الله عروجه بآء على المسلم عليه بفصل درجة ، لتدكيره إياهم بالسلام ، وبين ردَّ الملائكة عليه عند تحننهم عن الرد .

ولقد أبانا عمرو بن محمد الأنصاري ، حدثنا الغلابي ، حدثنا شعيب بن واقد حدثنا جرير ، قال : قال زبيد اليامي<sup>(٢)</sup> « إن أحوذ الناس من أعطى مالا لا يريد حزناء ، وإن أحسن الناس عفواً من عفا بعد قدرة ، وإن أفضل الناس من وصل من قطعه ، وإن أمحل الناس من بخل بالسلام » .

(١) السكن : ما أكله لصير قحفاء . والشحناء : الحصومة . والخلد : جتمع الخاء واللام - البال والتذب والنفس . وجمعه : أخلاذ . يقال « وقع ذلك في حلقى » أي في روعي وقلبي (٢) هو زيد - مصفرا - بن الحارث ، اليامي ، ويقال : الإيامي -

أخبره أبو حنيفة ، حدثني محمد بن كثير ، أبا ناس سفيان عن أبي إسحاق عن  
 صلة بن زهر العنسي ، قال حدثنا عمار بن ياسر قال « ثلاث من جمعهن جمع  
 الإيمان : الإنفاق من الإقتار ، والإصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم »  
 قال أبو حاتم رضي الله عنه : ألوجب على المسلم إذا تقي أخاه المسلم أن يسلم  
 عليه متبسما إليه ، فإن من فعل ذلك تحات عنها خطاياها كما تحات<sup>(١)</sup> ورق  
 الشجر في الشتاء إذا تبس ، وقد استحق الحجة من أعطاهم بشر وجهه .  
 وقد أخبرني محمد بن المهاجر للعدل ، حدثنا إبراهيم بن عبد السلام العنبري ،  
 حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا إسرائيل بن حماد عن إسعبد بن الحسن  
 قال قيل له « ما أشكت ؟ قال : إنه يقوم على رحيص<sup>(٢)</sup> وأشدني الأبرش :  
 أحو الشر محبوب على حسن شره وإن يعدم البغضاء من كان عاصيا  
 ويسرع بحمل الرء في هتك عرضه ولم أر مثل الجود لفره حارسا  
 قال أبو حاتم : البشاشة إدام العلماء ، وسجية الحكماء ، لأن البشريطىء نادر  
 المعادة ، ويحرق هيحاح الماعصة ، وفيه تحصين من الباغى ، ومنحة من  
 الساعى<sup>(٣)</sup> ، ومن شئ للناس وجهاً لم يكن عندهم دون الباذل هم ما يمتك .  
 أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا إبراهيم بن محمد العبادي حدثنا سويد عن  
 علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه قال « أخبرت أنه مكتوب في الحكمة :  
 يا بني ، إيسكن وجهك سطاً ، ولتسكن كلتك طسة - تكن أحب إلى الناس  
 من أن تعطيههم العطاء » .

(١) تحات . سقط لجماعه ويسد .

(٢) يقول : إن البشاشة رحيصة لا تكلفه مالا ولا جهدا ، وإنها غالية وقيمة ،  
 لأنها تجذب القلوب ، وتقتلع أساب البغضاء .

(٣) الذي يسمى بالوقية ليفرق بين الأحبة .

وأشدنى الخلاوى أشداً أحمد بن مكر بن حاتم اليربدي سعيد بن  
عبد الطائي :

إلقِ بالبشر من لقيت من الناس جميعاً ، ولا قِمْ بالطلاقة  
تجنّ منهم جَنَى ثَمَارِ ، فخذها طيباً طامعاً لذيذ المذاقة

أخبرنا محمد بن صالح الطبري حدثنا محمد بن حميد حدثنا حكام بن مسلم  
عن سعيد بن عبد الرحمن اليربدي قال « يعجبني من القراء كل سَمَلٍ طَلَّقَ  
يُضْحَك . فَمَا مِنْ تَلَقَّاهُ عَشْرَ وَيَلْقَاكَ تَعْبُوسٌ يَمْنُنُ عَلَيْكَ بِعَمَلِهِ ، وَلَا أَكْثَرُ اللَّهِ  
فِي الْقِرَاءِ ضَرْبَ هَذَا <sup>(١)</sup> »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب على العاقل إذا رزق السلوك في ميدان  
طاعة من الطاعات إذا رأى من قَصَّرَ في سلوك قصده أن يُعَيِّرَ عِيَهُ بِعَمَلِهِ  
وَجَهَهُ ، بَلْ يُظْهِرُ الْبَشَرَ وَالْبَشَاةَ لَهُ ، فَلَعَلَّهُ فِي سَابِقِ عِلْمِ اللَّهِ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى صَحَّةِ  
الْأُوبَةِ إِلَى قَصْدِهِ مَعَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ لَهُ عَلَى مَا وَقَّعَهُ لخدمته ،  
وَحَرَّمَ عَلَيْهِ مِثْلَهُ .

أخبرنا محمد بن أبي علي الخلاوى أخبرني محمد بن موسى السمرى أن حماد  
بن إسحاق أشدهم :

فَتَى مِثْلَ صَفْوَلَاءَ ، أَمَا لِقَاؤُهُ فَيَشْرُ ، وَأَمَا وَعْدُهُ فَخَيْلُ  
يَسْرُ مُقْتَرَأُ ، وَيَشْرُقُ وَجْهُهُ إِذَا اعْتَلَّ مَذْمُومُ الْفِعَالِ بِخَيْلِ  
عَمِيٍّ عَنِ الْقَحْشَاءِ ، أَمَا لِسَانُهُ فَتَّ ، وَأَمَا طَرَفُهُ فَكَلِيلُ

---

(١) الضرب والضرب : المثل في الشكل والتقدير والحق . ويقال « فلان  
ضرب فلان » أى نظيره وشبيهه . والجمع ضروب وضرائب .



وأشدى منصور بن محمد الكريزي :  
 لن نستمر جيلاً أت فاعده لا وأت طيق الوجه بهول  
 ما أوسط الخبره سطر حيث به وكن كذت دون الشر مغول  
 أنباء محمد بن الماهر العدل حدثنا الدارمي حدثنا موسى بن إسماعيل  
 حدثنا أبو عوانة عن إسماعيل بن سالم عن حبيب بن أبي ثابت قال « من حسن  
 خلق ترحل أن يحدث صاحبه وهو ينسى »

ذكر ما أيسر من المراح للمرء ، وما كره له منه

أنباء أحمد بن علي بن الحسين حدثنا هدية بن خالد حدثنا همام بن يحيى حدثنا  
 قتادة عن أس أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان له خادوم يقال له : أحمشة ،  
 وكان حسن الصوت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أحمشة لا تكسر  
 القوارير <sup>(١)</sup> » قال قتادة : يسمي صممة النساء .  
 قال أبو حاتم روى الله عنه : الواحب على العاقل أن يستميل قلوب الناس  
 إليه بالمزاح . وترك التعس .

والمزاح على ضربين : مزاح محمود ، ومزاح مذموم .  
 فالأمر بالمزاح المحمود : فهو الذي لا يشوه <sup>(٢)</sup> ما كره الله عز وجل ، ولا يكون  
 بآثم ولا فطنة رجم  
 وأما المزاح المذموم : فالذي يُثير العداوة ، ويُذهب النباه ، ويقطع الصداقة ،  
 ويُجريء الذي عليه ، ويُحقد الشريف به

أخبرنا محمد بن المنذر حدثنا إبراهيم بن محمد الرقي حدثنا أبو موسى الأصبهاني

(١) كان أحمشة روى الله عنه يحدو الإبل ويشتط في سير بحميل موه ،  
 فقد في الرسول صلى الله عليه وسلم « يا أحمشة رققا القوارير » (٣) يشوه : يخالطه  
 ٦ - روضة معلاء

حدثنا بكر بن سليم قال : سمعت ربيعة يقول « يا كم والمزاح ، فإنه يُفسد المودة ، ويُعِلُّ الصدر » .

أبانا محمد بن سعيد القزاز حدثنا الفصيل بن الخضر التميمي حدثنا عبد الله بن حبيب قال : كان يقال « لا تمارح الشريف ، فيحقد عليك ، ولا تمارح اوضيع ، فيجتري عليك »

وأشدى محمد بن عبد الله :

أكرم جليسك ، لا تمارح بالأذى      إن المزاح تُرى به الأضغان<sup>(١)</sup>

كم من مزاح جَدَّ حَبْلَ قرينه      فتجذمت من أجله الأقران<sup>(٢)</sup>

قال أبو حاتم رضي الله عنه : المزاح في غير طاعة الله مُسَبِّةٌ للبهاء ، مَقْطَعَةٌ للصداقة ، يورث الصُّنْ ، ويبت الغل

وإعاسى المزاح مراح لأنه زاح عن الحق ، وكم من افتراق بين أحوين ، وهجران بين متآلمين ، كان أول ذلك المزاح .

أبانا محمد بن أحمد بن الحسين القرشي حدثنا الأسود بن عامر عن أبي إسرائيل عن الحكم قال : كان يقال « لا تمارِ صديقك ولا تمازحه ، فإن محامداً كان له صديق ، فمارحه ، فأعرض كل واحدٍ منهما عن صاحبه ، فزاده عن السلام حتى مات »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : وإن من المزاح ما يكون سبباً لتهييج المرء ، والواجب على العاقل احتتاه ؛ لأن المرء مذموم في الأحوال كلها ، ولا يخلو المأري

(١) ترى : إيمان الرؤية ، معناه : تتكشف وتظهر به الأضغان ، وإيمان الورى . ومعناه تقدح به شرارة العداوة ، وتشتعل به نار البغضاء .

(٢) حذ الحبل وجنمه : قطعه ، غير أن الجذ يستعمل كثيراً في الثمار والزروع لأن فيه معنى الاستئصال ، والجذم في القطع مع سرعة .

من أن يموت أحدرجلين في المراء : إما رجل هو أعلم منه ، فكيف يحادل من هو حونه في العلم ؟ أو يكون ذات أعلم منه ، فكيف يخارى من هو أعلم منه ؟ .  
ولقد سمعت حصص بن عمر البزاز يقول : سمعت إسحاق بن الضيف يقول :  
سمعت جعفر بن عون يقول : سمعت مسعر بن كدام يقول لأمه كُدام .

إني نخلك<sup>(١)</sup> يا كدام نصيحتي فاسمع مقال أبي عبدك شقيق  
أما المزاخه والمراء فذعها حلقن لا أرضاها لصديق  
إني نكوتهما ، فلم أخدما لجاور جاراً ، ولا لشقيق  
والخيل يُزرى بالقتى في قومه وعروقه في الناس أي عروق  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : المراء أحو الشان<sup>(٢)</sup> ، كما أن المناقشة أحت  
العداوة ، والمراء قليل نفعه ، كثير شره ، ومنه يكون السباب ، ومن السباب  
يكون القتال ، ومن القتال يكون هراقة الدم<sup>(٣)</sup> وما ماري أحد أحداً إلا وقد  
غير المراء قبيهم ، ولقد أحسن الذي يقول :

وإياك من حلو المزاج ومراء ومن أن يراك الناس فيه ماري  
وإن مراء المراء يُحلق<sup>(٤)</sup> وجهه وإن مزاج المراء يمدى التشايبا  
دعاه مزاج أو مراد إلى التي بها صار مقلّي الإحباء وقالها<sup>(٥)</sup>  
أخبرني محمد بن المنذر حدثني كثير بن عبد الله التميمي حدثني إسماعيل  
ابن محمد الطلحي حدثنا أبو الأحفش السكندري أنه قال لأبن له :

(١) إما أن يكون بلقاء العجمة ، من نحل الدقيق : صفاء ، و مستخلص نقيه ،  
يقصد أني استحسنت لك أصدق نصيحة وأصفها ، وإما من الحلة - الحلاء المهمة -  
وهي اعطية الخالصة على ود وتكريم (٢) الشان : شدة البعس واعداء  
(٣) « هراقة » أصله إرواقه ، ويقال : أراق ، وهراق ، وأهراق ، عني سفع  
وأسال (٤) أخلفت الثوب : أبلت حدته ، وأذهبت رواقه وبهجه  
(٥) « القلى » اسم معول « من قليت : عني هجرت وأضمت .

أَبَى لَا تَكُ مَا حَبِيتَ عَمَرِيًّا      وَدَعِ السَّفَاهَةَ ، سَهْ لَا نَنْفَعُ  
لَا تَعْمِينَ صَغِيَةً لِقَرَانَةٍ      إِنْ الصَّغِيَةَ لِلْقَرَانَةِ نَقْطَعُ  
لَا تَحْسِنَ الْحِلْمَ مِنْكَ مَدَلَهُ      إِنْ الْحَبِيمِ هُوَ لَا عَزَّ الْأَمْعُ

أخبرنا محمد بن إبراهيم الخالدي الهروي حدثنا العباس بن الوليد بن مريد  
قال : سمعت أبي عن الأوزاعي قال : قال بلال بن سعد « إِذَا رَأَيْتَ الرَّحْمَنَ  
جُلُوجًا عَمَرِيًّا مَعْتَمًا بِرَأْيِهِ ، فَقَدْ نَمَتْ حَسَارَتُهُ »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : المراح إذا كان فيه إثم فهو يسود الوجه ،  
ويُدْمَى القلب ، ويرث لبغضاء ، ويحى الصغية ، وإذا كان من غير معصية  
يُسَلَّى الهم ، ويرقع الحلة<sup>(١)</sup> ، ويحيى النعوس ، ويذهب الحشمة ، فالواجب  
على العاقل أن يستعمل من المراح ما سب فعله إلى اخلاوة ، ولا يهوى به أذى  
أحد ، ولا سرور أحد بمساءة أحد .

أخبرنا عبد الله بن محمد بن عائذ - كان بهرة - حدثنا أحمد بن عبد الله  
ابن حكيم العرياني - قرية من قرى مَرَوْ - حدثنا سهل بن يحيى عن أبيه عن  
الأعمش عن إبراهيم قال « لَا يَمَازِحُكَ إِلَّا مَنْ يَحْكُكَ »

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا إبراهيم بن الجنيد حدثنا الصدوق  
ابن مسعود حدثني ابن عينة قال : أظنني سمعته من داود بن شبور ، عن محمد  
ابن مسكندر قال : قالت لى أمى وأما غلام « لَا تَمَازِحِ الْعُلَمَاءَ ، فَتَهُونَ عَلَيْهِمْ ،  
أَوْ يَحْتَرُّوا عَلَيْكَ »

حدثنا عمرو حدثنا العلاءي حدثنا ابن عائشة حدثنا دريد بن محاشم عن  
عالم القصاص عن مالك بن دينار قال : قال عمر بن الخطاب « مَنْ كَثُرَ ضَحْكُهُ

(١) الحلة ، ضم الحاء : الصداقة ، أى يرقع ويصنع من الصداقة والمهبة  
ما مرته الملاة والسأم .

قَالَتْ هَيْبَتُهُ ، وَمَنْ مَزَحَ اسْتُجِفَ هـ ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ هـ «  
أَسَدُ الْحَسَنِ بْنِ سَمِيانَ حَدَّثَنَا أَبُو الْوَدُودِ حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الطَّائِفِيُّ عَنْ مُبَشَّرِ  
ابْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ رَاشِدِ بْنِ أَبِي قَبِيلٍ قَالَ « اسْتَقَى سَعِيدُ بْنُ حَمِيرٍ ، فَأُيِّنَتْهُ  
بِسُورِيقٍ تَحْلِيٍّ ، فَقَالَ : يَا رَاشِدُ شَكَرَ أَرَدَسْتُ شِيرِينَ <sup>(١)</sup> »

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ مَارَحَ رَجُلًا مِنْ غَيْرِ حَسَنَةٍ مِنْ عِيهِ  
وَاحْتِرَأَ عِيَهُ ، وَإِنْ كَانَ الْمَرَاخَ حَقًّا ، لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ لَا يَحِبُّ أَنْ يَسْلُكَ بِهِ غَيْرَ  
مَسْلُكِهِ ، وَلَا يَظْهَرُ إِلَّا عَدُوَّهُ

عَنِ أَبِي أَكْرَهَ سَتَعَانَ لِمَرَحٍ مُحْصَرَةِ الْعَامِ ، كَمَا أَكْرَهَ مَرَكَةَ عَبْدِ حُصُورِ  
الْأَشْكَالِ

وَقَدْ أَخْبَرَنَا كَامِلُ بْنُ مَكْرَمٍ حَدَّثَنَا رِبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ الْحِمْيَلِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ  
ابْنُ عَبْدِ الْخَبَرِ الْجُبَارِيُّ قَالَ : قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجُ « كَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَمَ  
يُحَدِّثُ ، وَيَتَحَكَّمُ ، وَإِذَا رَأَى غَيْرًا قَالَ : هَذَا حَاسُوسٌ »

### ذِكْرُ اسْتِحْبَابِ الْإِعْتِرَالِ مِنَ النَّاسِ عَامًّا

أَبْنَاءُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ سَنَمٍ - بَيْتِ الْمَقْدَسِ - حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ  
ابْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ عَنْ الزَّهْرِيِّ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ الْهَيْثَمِيِّ  
عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ ( قَبِيلٌ : نَارِسُولُ اللَّهِ ، أَيُّ الْأَعْمَلِ أَهْضِلُ ؟ قَالَ :  
الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَالَ : تَمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : رَحِلْ فِي شَرِّهِ مِنَ الشَّعَابِ يَتَقَى اللَّهَ ،  
وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ »

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ لُزُومُ الْإِعْتِرَالِ عَنِ النَّاسِ

---

(١) بِالْفَارِسِيَّةِ - الشُّكْرُ - الْكُرْ - أَر - مِنْ - دَسْتُ : يَدٌ - شِيرِينَ : حُلُوٌ - وَبَعْدَهُ  
السُّكْرُ يَكُونُ مِنْ يَدِكَ حُلُوًا

عاماً ، مع توقي محالطتهم : إذ لا عتزال من الناس لو لم يكن فيه حصلة تُحمد  
إلا السلامة من مفارقة الماتم لكان حقيقاً بالمرء أن لا يُكدر وحوود السلامة  
بازوم السبب المؤدى إلى المناقشة

ولقد أخبرني الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى ، أبا ناس عبد الله ، أخبرنا  
شعبة عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن عمر بن الخطاب قال :  
« خذوا بحظكم من العزلة »

أبا ناس عمرو بن سعيد بن منان الطائي حدثنا حماد بن يحيى البصري قال :  
سمعت سفيان بن عيينة يقول « رأيت الثوري في المنام ، فقلت له : أوصني ،  
فقال : أقل معرفة الناس ، أقل معرفة الناس ، أقل معرفة الناس »

أبا ناس القطان بالرقعة حدثنا المروزي قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول  
« رأيت ابن السكك يكتب إلى أخ له : إن استطعت أن لا تكون لغير الله عبداً  
ما وجدت من العبودية بداً ، فاصل » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يستعبد نفسه لأمثاله بالقيام في رعاية  
حقوقهم ، والتصبر على ورود الأذى منهم ، ما وجد إلى ترك الدخول فيه سبيلاً ،  
لأنه إذا حسم عن نفسه ترك الاحتلاط بالعالم ، والتماطلة بهم تمكن من صفاء  
القلب ، وعدم تكدر الأوقات في الطاعات .

وقد استعمل المُرَّة جماعة من المتقدمين مع العام والخاص معاً .

كما أخبرنا محمد بن إبراهيم الخالدي حدثنا داود بن أحمد بن سليمان  
الدمياطي حدثنا عبد الرحمن بن عوف قال : سمعت ابن المبارك يقول « عادَ مُضِلُّ  
داود الطائي ، فغلق داود الباب ، وجلس فضيل خارج لباب يبكي ، وداود  
داخل البيت يبكي »

أُتِيَاهُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّفْحِيِّ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمَدَرِ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ :  
سَمِعْتُ بُكَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْعَدْبِيَّ يَقُولُ : قَالَ لِي دَاوُدُ الطَّائِيُّ « يَا بُكَرُ ، اسْتَوْحَشْ مِنَ  
النَّاسِ كَمَا تَسْتَوْحَشُ مِنَ السَّبْعِ »

أَبَانَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحَدِ بْنِ الْمَرْجِ الْبَغْدَادِيِّ بِالْأَبْلَةِ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمَادٍ بْنُ زِيَادٍ  
حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ « رَأَيْتُ إِلَى جَنْبِ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ كَلْبَ عَظِيمٍ  
ضَخْمٍ أَسْوَدَ رَانَصٍ ، قَبِيلَ لَهُ : يَا أَبَا بَحِيٍّ ، أَلَا تَرَى هَذَا الْكَلْبَ إِلَى جَبِيكَ ؟  
قَالَ : هَذَا خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ » <sup>(١)</sup>

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : هَذَا لَدَيْ ذَهَبٍ إِلَيْهِ دَاوُدُ الطَّائِيُّ وَضُرْبَاؤُهُ مِنَ  
الْقُرَّاءِ مِنْ لُزُومِ الْإِعْتِزَالِ مِنَ الْخَاصِّ ، كَمَا يُلْزِمُهُمْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِّ - أَرَادُوا سَلَكَ  
عِنْدَ رِيَاضَةِ الْأَنْفُسِ عَلَى التَّصَبُّرِ عَلَى الْوَحْدَةِ ، وَإِيَّانَ ضِدِّ الْخُطْطَةِ عَلَى الْمَعَاشِرَةِ ،  
فَإِنْ الْمَرْءُ مَتَى لَمْ يَأْخُذْ نَفْسَهُ بِتَرْكِ مَا أُبِيحَ لَهُ فَأَنَا خَائِفٌ عَلَيْهِ الرَّقُوعَ فِيمَا  
حَظَرَ عَلَيْهِ .

(١) إِنْ مَا يَمْدَحُونَهُ مِنَ الْعِزْلَةِ وَالْإِحْتِبَاءِ عَنِ الْحَيَاةِ الْعَامَّةِ لَا يَحْجُورُ أَنْ يَكُونَ  
حَالُ أَهْلِ الْخَيْرِ جَمِيعًا ، وَإِنَّمَا هُوَ حَالُ الصَّغِيرِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ  
مَا يَصَابُ بِهِ مِنْ شُرُورِ الْمَجْتَمَعِ . وَمَنْ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ حَالُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَلَا خَالِ وَرَثَتِهِمْ  
الْمُتَصَادِقِينَ كِبَارِ الْفُؤُوسِ أَوْلَى الْعِزْمِ وَالْإِحْتِمَالِ . وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ « الْمُؤْمِنُ  
الْقَوِيُّ خَيْرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ » خَيْرٌ لِنَفْسِهِ ، لِأَنَّهُ يَرُدُّادُ إِيْمَانًا وَقَوًى بِأَمْرِهِمْ وَنَهْيِهِمْ ،  
وَيَزِدُّادُ يَقْطَعُ وَقُوَّةً وَصَلَاحًا بِتَحَبُّبِ مَا يَرَى وَيَعْلَمُ مِنْ فُسَادِهِمْ وَنَحْمِ أَهْوَائِهِمْ فِي عَقُولِهِمْ  
وَدِينِهِمْ ؟ فَإِنَّ التَّزَمَّ أَهْلِ الْخَيْرِ جَمِيعًا الْعِزْلَةَ مِنَ النَّاسِ يُلْقِيهِمْ عَنِ اللَّهِ إِذَا اسْتَكْشَرَ  
الَّذِينَ يَقُولُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ إِنْهُمْ صَالِحُونَ ؟ وَمَنْ يَنْكُرُ الْكُفْرَ دَاخِرًا مِنْ الْبِدَائِنِ  
مَنْ يَزْعُمُونَ أَنْفُسَهُمْ أَنَّهُمْ الْمُتَّقُونَ ؟ أَلَيْسَ بِهَذِهِ الْعِزْلَةِ وَالْإِنْكَشَافِ بِمَجْدِ شَيْطَانِ  
الْفَسَادِ الْبِدَائِنِ خَالِيًا فَيَتَغْلِبُوا حَتَّى عَلَى مَنْ زَعَمُوا أَنْفُسَهُمْ هَارِيينَ وَهَارِيينَ بِالْعِزْلَةِ مِنَ  
الْبِدَائِنِ ، وَخَيْرُ الْمُهْدَى هَدًى مَجْدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وأما السب الذي يوجب الاعتزال عن العالم كله : فهو ما عرفتهم به من وجود دَفْن الطير ، وشر التمر ، يدفنون الحسنة ، ويظهرون السيئة . فإن كان المرء عالمًا بدعوه ، وإن كان جاهلاً بغيره ، وإن كان فوقهم حسدوه ، وإن كان دونهم حقروه ، وإن سطق قالوا : مهذار ، وإن سكت قالوا : عيبى ، وإن قسر قالوا : مَقَرَّ ، وإن سمح قالوا : مبذر ، فالنادم في العواقب ، المخطوط عن المراتب ، من اغتر بقوم هدَّعتهم ، وغرَّه ناس هذه صفتهم .

ولقد أنانا محمد بن المهاجر المذلل أخبرني أحمد بن محمد بن بكر الأباوى عن داود ابن رشيد ، قال : حدثني إبراهيم بن شماس قال : قال لي الأكاف حفص بن حميد صاحب بن مبارك مرو « يا إبراهيم ، صحبتُ السَّخِينِ سة ، فلم أجد أحداً ستر لي عورة ، ولا وصني إذا قطعت ، ولا أمنتني إذا غصب ، فلا اشتعال هؤلاء بحق كثير »

وأشدى محمد بن المهاجر المعدل لعل بن حجر السعدى :  
 زمانك ذا زمان دخول بيت وحفظ للسان ، وخفض صوت  
 فقد مرَّجتَ عهد الناس إلا أقلمهم ، فبادر قبل قوت<sup>(١)</sup>  
 فما يبقى على الأيام شيء وما حلق امرؤ إلا الموت  
 أحرنا يعقوب بن إسحاق القاصى حدث محمد بن يحيى قال : وفيما قرأت على نافع عن مالك بن أنس « أنه سمع عن أبي ذر قال : كان الناس ورعاً لا شوك فيه ، هم اليوم شوك لا ورع فيه »

أبانا محمد بن أبي علي الخلابى حدثنا حميد بن حكيم الدقاق حدثنا سليمان ابن أبي شيخ قال : كان القحذمى ينشد كثيراً :

ذَهَبَ الحُسْنُ والجمال من الناس ، ومات دين كانوا ملاحا

(١) مرحت : اختلطت ، لم يدر صادق العهد من مائه



وَبَقِيَ الْأَسْمَحُونَ مِنْ كُلِّ رِصْفٍ إِنَّ فِي الْمَوْتِ مِنْ أَوْلَئِكَ رَاحًا<sup>(١)</sup>  
 قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يعلم أن البشر محبوبون على أخلاق  
 متباينة ، ورشيم مجتمع ، فكل واحد يحب رِباع مبادئه ، وترك مبادئه ، ففى  
 رام من أحبه ضد ما وطن نفسه عليه فلاه<sup>(٢)</sup> ، وإذا نسين له منه خلاف ما أضر  
 عليه قلبه لله ، ومن لئال يكون الاستقلال ، ومن الاستقلال يكون الغرض ، ومن  
 الغرض تهيج العداوة ، فالاشتغال بمن هذا سعة للعاقل حق .

ولقد أحسن النبأ حتى حيث يقول :

أرفص الناس ، وكل مشقة قد محل الناس بمثل حر دله

\* لا تسأل الناس وسئل من أمت له \*

وأشدنى ابن أبي علي قال . أشدنى محمد بن يعقوب العبدى :

إذا قلت : هذا صاحب قدر صيته وقربت به عيالى ، بدلت أحرأ

وذلك : أنى لا أصحب صاحباً من الناس إلا خالى وتعبيراً

أخبرنا عبد الله بن محمد بن مسلم حدثنا أحمد بن أبى الحوارى حدثنا أبو  
 مسهر عن سعيد بن عبد العزيز قال : قال مكحول « من كان فى مخالطة الناس  
 حيرة لعزلة أسلم » .

أنبأنا علي بن سعيد العسكري حدثنا شعيب بن يحيى حدثنا أحمد السائى  
 حدثنا يحيى بن عبد الأعلى أن مالك بن دينار كان يقول « من لم يأس يحدث  
 الله عن حديث المخلوقين فقد قلَّ عليه ، وعيى قلبه ، وضع عمره »

أبانا القطان حدثنا أحمد بن أبى الحوارى حدثنا محمد بن روح قال : سمعت

(١) بقى : هذه لغة طيء ، يفتحون ما اكسر قلب الآخر من « عمل فسقلب

ناؤه ألماً ، فيقولون : رضى ، وبقى ، وقى ، وما أشبه ذلك .

(٢) قلاه : كرهه ، ومضارعه يقلوه ويقبله .

إبراهيم البخاري يقول : « دخلت للمسجد الحرام بعد المغرب ، فإذا أفضيل جالس ، فجلست ، فجلست إليه ، فقال : من هذا ؟ فقلت : إبراهيم ، قال : ما جاء بك ؟ قلت : رأيك وحدك ، فجلست إليك ، قال : تحب أن تفتب ، أو تترين ، أو تراهي ؟ قلت : لا ، قال : قم عني »

### ذكر استحباب المؤاخاة للمرء مع الخاص

أبانا أحمد بن عيسى بن المثنى بالموصل حدثنا قطن بن نسير حدثنا حمفر بن سليمان حدثنا ثابت عن أنس قال « آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي البرداء ، وآخى بين عوف بن مالك وبين الصَّعْب بن جَثَامَة <sup>(١)</sup> » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن لا يفُتِل عن مؤاخاة الإخوان ، وإعداده إياهم للنوائب والخذائان ؛ لأن من تعرَّى عن موضع سلوته يأخيه عند المصوم والعموم ، كان عقله إلى التقدح أقرب ، ومن التماء أنقص .

ولقد أبانا محمد بن المنذر حدثنا الفضل بن عبد الصمد الأصبهاني حدثنا يزيد ابن خالد الرملي حدثنا سهيل أبو عمرو قال قال محمد بن واسع « لم يبق من العيش إلا ثلاث : الصلاة في الجماعة ، تروق فضلاً ، وتكفي سهوها . وكفاف من معاش ليست لأحد من الناس عليك فيه بئنة ، ولا لله عليك فيه تَبعة <sup>(٢)</sup> . وأنح محسن العشرة ، إن رُغِتَ قَوْمُكَ » .

أبانا عبد الرحمن بن عبد المحسن بمرجان حدثنا محمد بن عبد الله القصار

---

(١) روى البخاري ومسلم وأبو داود عن أنس قال « حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار في دارنا مَرَيْنِ أو ثلاثاً » (٢) أى : تبعة كبيرة وإلا فكل نعمة من نعم الله متهما رأيتهما صغيرة ، فإن الله يحاسب عليها ( فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره )

أبانا عبد الرزاق عن ابن المقفع قال « ثلاث من اللذات : محادثة الإخوان ، وأكل القديد ، وحلُّ الجرب »<sup>(١)</sup> .

أبانا محمد بن أبي علي حدثنا محمد بن هريم الشيباني أنشدنا محمد بن عمران الضبي :

وما المرء إلا بإخوانه كما تقبض الكف بالمعصم  
ولا حير في الكف مقطوعة ولا حير في الساعد الأجذم  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن لا يبعد في الأوداء إخوانه من لم يؤات به الضراء ، ولم يشاركه في السراء ، ورب أخى إخوان حير من أخى ولادة . ومن أتم حفظ الأخوة تفقد الرجل أموراً من بونه .  
والودد الصحيح هو الذى لا يميل إلى قمع ، ولا يفسده منع ، والودة أمن ، كما أن النقصاء خوف .

ولعلل لا يؤاحى إلا من خالفه على الهوى ، وأعاناه على الرأى ، ووافق سره علانيته ، لأن خير الإخوان من لم يناقش ، كما أن خير الثناء ما كان على أفواه الأسيار ، والمسترحم<sup>(٢)</sup> لا يؤلف كما أن غير الثقة لا يؤد ، فتى ما آخى لمرء من لم يصاد به بالوفاء يجب الاستظهار عليه من يسليه عنه ؛ لأن التودد ممن لا يؤد يمدد متفقا ، ولا يموت الإنسان فى الأخوة أحد رجلين : إما أريب فقصر فى حقوقه فاعتاله بمكر ، وإما جاهل لم يصادفه فيؤذيه سوء معاشرته ، وصيانة الأخوة ليست إلا فى الاستعانة عن الإخوان .

(١) أما محادثة إخوان الصفاء والصدق فتعم ، وأما أكل القديد فلا يكون لذيذة إلا عند الحمصة والعقر ، ونعمود نافع من الفقر ، وأما لجرب ففساد الله العافية ، فماذا فى هذين من لذة ؟

(٢) الأرض الوحيدة والوخمة : الرديئة الساح السبخة التربة . لى لا يجمع كلوها .  
ورحل وحيم : ردىء الطبع ثقيل النفس سوء الخلق .

ولقد أحسن العباس بن عميد بن يعيش حيث يقول :

كم من أحبك لم يلبه أوكا      وأح أبوه أوك قد يحفوكا  
صاف الكرام، داردت إحامهم      وعلم بن أحد الحفاط أحوكا  
كم إحوة لك لم عندك أومهم      وكذا، آناؤهم ولدوكا  
لو كنت تحمدهم على مكروهة      تخشى الخوف<sup>(١)</sup> بها، حذوكا  
وأقارب لو أنصروك معدنا      بباط قلبك تم ما نصروكا  
الناس ما استغفيت كنت أنكلمهم      وإذا افتقرت، ليسهم فصحوكا

أخبرنا القطان بالرقعة حدثنا أحمد بن إسماعيل السني حدثنا عبد الرزاق عن  
مسر قال « دخلت على قتادة وأنا ظن أن ، وفي الحجرة حب<sup>(٢)</sup> ماء ، فقلت :  
أشرب من ماءكم هـ . قال : أنت ما صدق . »

قال أحمد : قال عبد الرزاق : يتأول القرآن (أو صدقكم) يقول لا يستأذن .  
أبانا محمد بن سعيد القزاز حدثنا عيلان بن المغيرة البصري حدثنا عمرو  
الناقد حدثنا ابن عيينة عن أيوب السخيتي أنه قال « يزيدني حرصاً على الحج  
لقاء إخواني لي لا ألقاهم بغير لموسم »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يعلم أن العرض من  
للمواخاة ليس الاجتماع والمواكلة والمشاركة ، والسراق يداحلون الرجال على  
التعارف<sup>(٣)</sup> ، ولا يزدادون بذلك مودة ، ولكن من أسباب المواخاة التي يجب

(١) الخوف : لئلا والمهلك ؛ واحدها حتب ، بفتح فسكون

(٢) الحب - بكسر الحاء، المهمله - الجرة الكبيرة

(٣) التعارف : أى على قصد الإثم والعدوان

على المرء رؤيته منشئ القصد<sup>(١)</sup> وحسن الصوت ، وقلة الإحجاب ، وزوم التواضع ، وترك الخلاف .

ولا يجب سره . أن يكثر على إخوانه لتؤنث فيهمهم<sup>(٢)</sup> : لأن المرصع إذا كثر مخنه رما صجرت أمه فتتقيه .

ولا ينبغي من قدر أن يمنع أحاه شيئا يحتاج إليه ليجر به مصيبته ، أو يفرج به كربته .

والعاقل لا يؤاخي لثما ؛ لأن اللثيم كالحية الصم<sup>(٣)</sup> لا يوجد عندها إلا اللدغ والشم ، ولا يصل اللثيم ، ولا يؤاخي إلا عن رغبة أو رهبة ، والكريم يؤد الكريم على ثمة واحدة<sup>(٤)</sup> ، ولو لم يلتصقا بمدى أدا .

واقعد أخبرنا محمد بن المدر حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن يوسف حدثنا إسماعيل ابن محمود عن ابن المبارك عن سفيان عن يوسف بن عبيد « أنه أصيب بمصيبة فقيل له : ابن عوف لم يأنك ، فقال : إنا إذا وثقا عمدة أحيانا لم يضره أن لا يأتينا » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل يتفقد ترك الجلاء مع الإخوان ، وراعى نحوها إن بدت منه ، ولا يجب أن يستضعف الخفوة اليسيرة : لأن من استضعف الصغير يوشك أن يجمع إليه صغيرا ، فإذا الصغير كبير ، بل يبلغ مجهوده في نحوها

---

(١) أي لوسط ، الذي وصف الله به عباد الرحمن بقوله ( ٢٥ : ٦٣ الذين يمشون على الأرض هونا ) والذي ذكره الله من وصايا لقمان بقوله ( ٣١ : ١٩ ) واقصد في مشيك واعضض من صوتك ) والذي حذر الله من ضده في وصايا الحكمة بقوله ( ١٧ : ٣٧ ) ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تحرق الأرض ولن تلع الحبال طولا )

(٢) يرهمهم : يعلهم ويستمهم .

(٣) الصماء : التي لا تستجيب لرؤية الراقي .

(٤) اللقية : المرة من اللقاء .

لأنه لا حير في الصديق إلا مع الوفاء ، كما لا حير في الفقه إلا مع الورع ، ومن  
من أخرق الخلق الخائن المرء الإخوان بغير وفاء ، وطلب الأجر بالرياء ، ولا شيء  
أصعب من مودة تمنح من لا وفاء له ، وصنيعة تصطبغ عند من لا يشكرها .  
وأشدني الخلاص قال : أشدني محمد بن محمد البكري :

احذر مودة ماديق<sup>(١)</sup> حط المرارة بالخللاوة  
يحصى بدنوب عنك أيام الصداقة فاسدوة  
وأشدني محمد بن إبراهيم البصري - بصور - نفسه :

لا يقرنك صديق أبدا لك في النظر ، حتى تحبزه  
كم صديق كنت منه في عمي غراني منه زمانا منظره  
كان يلقاني موحه طلق وكلام كاللآلئ ينثره  
إذا مشتته عن عييه لم أجده ذاك لود يضره  
قدع الإخوان إلا كل من يضر الود كما قد يظهره  
إذا فزت بمن يجمع ذا فاحملنه لك دحرا تذخره

أبانا القطن بالرفقة حدثنا هشام بن عمار حدثنا إبراهيم بن موسى المكي عن  
يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن سعيد بن السبب قال : « وضع عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه للناس ثمانية عشر كلمة ، كلها حكم ، قال : يا كافأت من يعصى الله  
فيك بمثل أن تطيع الله فيه ، وضع أمر أخيك على أحسنه ، حتى يأتيك منه  
ما ينيلك ، ولا تظن بكلمة خرجت من مسلم قرأ ، وأنت تجد لها في الخير محملا ،  
ومن تعرض للثمة فلا يلومن من أساء به الظن ، ومن كنم سره كانت الحيرة<sup>(٢)</sup> »

(١) الماديق : الذي لا يخلص الود ، بل يمزجه عافيات ومقاصد شخصية

(٢) الحيرة - بوزن عبة - ما يختاره بمشيئته ، يقصد : أنه إذا نكس سره كان  
أمره يد من أفشاء إليه ، لا يبدء هو ، فلم يكن له مشيئة

في يديه ، وعليك يبحون الصدق فحش في أكافهم<sup>(١)</sup> ، فيهم رينة في الرخاء ،  
وعُدَّة في البلاء . وعليك بالصدق وإن قذبت الصدق ، ولا تعرَّضن لما لا يعينك ،  
ولا سأل عما لم يكن . فإين هما كان شغلا عما لم يكن ، ولا تطلبن حاجتك إلى  
من لا يحب لك مجراها ، ولا تصحبن العاقر فتعلم تجوره ، واعتزل عدوك ، وحذر  
صديقك إلا الأمين ، ولا أمين إلا من حشى الله ، وتخشع عند القول ، وذلل عند  
الطاعة ، واعتصم عند المعصية ، واستشر في أمرك الدين يخشون الله ؛ فإن الله  
يقول ( ٣٥ : ٢٨ ) إنما يحشى الله من عباده العلماء .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل لا يؤاخي إلا ذا فضل في رأى والدين  
والعلم والأخلاق الحسنة ، ذا عقل شامع الصالحين ؛ لأن صحبة سيد نشأ مع  
العقلاء خير من صحبة لبيب نشأ مع الجهال .

ورأس المودة الاسترسال ، وأقمتها للملافة ، ومن أصابع تتمدُّ الود من إخوانه  
حُرِّمَ ثمرة إخوانهم ، وآبس الإخوان من نفسه ، ومن ترك الإخوان مخافة تعاهد  
الود يُوشك أن يبقى بغير أخ ، كما أن من ترك نزع الماء إشفاقا على ريشائه<sup>(٢)</sup>  
يُوشك أن يموت عطش .

والعاقل يستخير أمور إخوانه قبل أن يؤاخيهم ، ومن أصحَّ اختيرة للمرء  
وجود حاله<sup>(٣)</sup> بعد هيجان الغضب .

أنبأنا عمرو بن محمد الأصمري حدثنا العلابي حدثنا عبد الله بن الضحاك  
أهدأى حدثنا هشام بن محمد عن عوامة بن الحكم قال : قال لقمان لابنه « يا بُنَيَّ  
إذا أردت أن تؤاخي رجلا فأغصبه قبل ذلك ، فإن أنصبتك عند غضبه  
وإلا فدهه » .

(١) الأكفاف : جمع كنف ، وهو الجانب والداخل .

(٢) الرشاء : الحبل الذي يخرج به الدلو من البئر .

(٣) يعنى وجود حاله في الود بعد هيجان الغضب كحالته فيه عند الرضا .

أبنا محمد بن صالح الطبري حدثنا أبو هاشم الرافعي حدثنا داود بن يحيى ابن اليمان عن أبيه عن سفيان قال « اصحب من شئت ، ثم أعضبه ، ثم دس إليه من يسأله عنك »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : من لم يصدقك عند عصبه لم تودك <sup>(١)</sup> أيامه ، وليس الصديق كالأرأة يطبقها المرء إذا شاء <sup>(٢)</sup> ، والخارية بينهما متى أحب ، لكنه عرسه ومروته : فالتثبت ولائها أولى به من التهاجر والافطع ، ومن عاب عنه أخوه فلا يقب عما يحب له عليه ، ويكثر مهم عدّة لشدائد ، لأن الشعر مع دقته إذا جمع غمّل منه الحبل الغليظ الذي يقهر القيل المعتم <sup>(٣)</sup> ، ولا يصح أن يكون رفيقاً من لم يردد ريقاً .

(١) كذا بالأصل . وأعله يقصد لم يأتك من أيامه ما توده ونريده من الإخاء  
(٢) على الشيخ في الحصة من منزلة الزوج ، وكيف ومن لم يتخذ الزوجة على الصداقة والودة ، فلم يزوج كما شرع الله إلهام سبحانه يقول ( ٣٠ : ٢١ ) ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ) وأكد في كثير من آي الذكر الحكيم من حق الزوج ما لم يؤكد من حق الصديق ، وابن الصديق من الزوج التي يقول فيها ( ٢ : ١٨٧ ) من لباس لكم وأنتم لباس لهن ) ويقول ( ٤ : ٢١ ) وقد أفصى عنكم إلى بعض وأحدن منكم ميثاقاً غيباً ) والزواج أحق أن تكون عرس الرجل ومروته ، ويسير عليك أن تستبدل صديقاً بصديق ، وأعرس العسر أن تستبدل زوجاً مكان زوج . وقد ارتبطتا بعلائق من الأولاد وغيرها . ما لا يوجد مثلهما ولا معصا في الصديق . فوجب لعقل : أن يتأني ويتفحص ويتثبت في اختيار الزوج ما لا يدرم فيه في اختيار لصديق ، والسعادة بالزوج الرقية الصالحة الثالثة الحفظة للرب أضعاف أضعاف السعادة بأولي الأصدقاء . وأخلص الأوداء

(٣) الاغتراب : شدة تورط الشهوة في العجل للصراب ، وتشتد دراسة أهيل وغيره من لقول عد ذلك .



وَأَشَدُّى خِلَافَى قَالِ أَشَدُّى مُحَمَّد بن مُحَمَّد المَكْرِى لِعَالِمِى  
عَبْدِ الْمَدْرِى (١).

إِذَا كَانَ وَدَّ لِمَرْءٍ بَسَّ رَنَدٌ عَلَى «مَرْحَبًا» أَوْ «كَيْفَ نَت؟» وَحَالِكَا  
وَأَقُولِ «بِى وَنَقِ لَكَ، حَافِظُ» وَقَعَلَهُ شَدَى لَنَا غَيْرَ دَسَا  
وَلَمْ يَكْ إِلَّا كَثِيرًا أَوْ مَحْدَةً وَفَى لَوَجْهِى بَسَّ إِلَّا كَدَسَا  
وَلَكِنْ إِخَاءُ الْمَرْءِ مَنْ كَانَ دَائِمًا لَدَى الْوَدِّ مِنْهُ حَيْثَا كَانَ سَالِكَا  
أَخْبَرَنَا أَبُو بَسَّى حَدَّثَنَا عَنْ بِنِ الْحَمْدِ حَدَّثَنَا مَفِيذُى انْثَوْرِى عَنْ شَعْبَةَ قَالَ :  
حَرَجَ صَدَّقَهُ بِنِ مَسْعُودٍ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ « أَنْتُمْ حِلَاءُ حَرَبِى »

أَخْبَرَنِى مُحَمَّد بن سَعِيدٍ الْقَزَّازُ حَدَّثَنَا هَلَالُ بن الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بن الضَّيْفِ  
عَنْ شَيْبَةَ بنِ أَبِي مَسْرُورٍ عَنْ الْحَكَمِ بنِ هِشَامٍ قَالَ خَالَى مُحَمَّد بن صَمُوَءَ « لَمْ يَبْقِ مِنْ  
لَدَاتِ الدُّنْيَا إِلَّا ثَلَاثُ : مَجَالِسَةُ النِّسْوَانِ ، وَتَمُّ الْوُلْدَانِ ، وَلِقَى الْإِخْوَانِ »

حَدَّثَنَا مُحَمَّد بن الْمُنْذِرِ حَدَّثَنَا مَسْعُودَةُ بن حَازِمِ الْمَصْرِى حَدَّثَنَا حَالِى هَارُونَ  
ابْنِ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا خَالِدُ بن زُرَّارٍ حَدَّثَنَا مَفِيذُى عَنْ مُوسَى بن عَقْبَةَ قَالَ « إِنْ كُنْتُ  
لَا لِقَى الْأَحْ مِنْ إِخْوَانِى فَأَكُونُ بَلَقِيَّةً عَاقِلًا أَيْمًا »

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَدْ ذَكَرْتُ مَا يَشَاكُلُ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ فِي  
كِتَابِ « مِرَاعَةِ الْعِشْرَةِ » فَأَعْنِ ذَلِكَ عَنْ تَكَرُّرِهَا فِي هَذَا الْكِتَابِ .

فَوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ يَمَسُّ مِنَ السَّرُورِ شَيْءٌ يَغْدِلُ حُبَّ الْإِخْوَانِ ،  
وَلَا غَمَّ يَغْدِلُ غَمَّ قَدَمٍ ، ثُمَّ يَنْتَوِي حَبْدَهُ مُقَاسِدَةً مِنْ صَافَاءَ ، وَلَا يَسْتَرْسِلُ بِإِيهِ فِيمَا  
يَشْبَهُهُ ، وَخَيْرُ الْإِخْوَانِ مَنْ إِذَا غَضَبَتْهُ صَانَتْكَ ، وَلَا يَغِيْبُ أَحَاةَ عَلَى الزَّيَّةِ : فَإِنَّهُ  
شَرِيكُكَ فِي الصَّبِيْعَةِ ، بَلْ يَصْفَحُ ، وَيَتَنَكَّبُ بِحَاسِدَةِ الْإِخْوَانِ ؛ لِأَنَّ الْحَسَدَ لِلصَّدِيقِ  
مِنْ سَمِّ الْمَوَدَّةِ كَمَا أَنَّ الْجُودَ بِالْمَوَدَّةِ أَكْثَرُ الْبَذْلِ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَفْضَرُ وَدَّ صَحِيحٍ مِنْ قَبْلِ  
سَقِيمٍ ، وَلِيَحْذَرُ الْمَرْءُ فِي إِخَانِهِ أَلَمَ التَّشْفِيلِ عَلَى أَحِيهِ ؛ لِأَنَّ مَنْ تَهَلَّ عَلَى صَدِيقِهِ

(١) سَجِيدُ أَوْلَادِهِ وَثَالَتُهَا مَعَ يَتِيمَيْنِ آخَرَيْنِ فِي ص ١١١ .

خَفَّ عَلَى عَدُوهِ ، وَبَنَ مِنْ أَكْثَرِ الْمَعُونَةِ عَلَى تَسْبِيَةِ الْهَمِّ الْأَرْضَ بِاتِّقَاءِ ، وَلَقِيَ  
الْإِخْوَانَ .

أَبَانَا مُحَمَّدُ بْنُ هَالَلٍ الْعَقْبِيُّ حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْعَرِيُّ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ  
ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَدَنِيُّ عَنْ سَعِيدٍ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ « مَا مَاءُ الْعَبْسِ » قَالَ « تَقْدِيرُ الْإِخْوَانِ »  
حَدَّثَنَا الْقَطَّانُ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَّارِيِّ حَدَّثَنَا الْمُسَيَّبُ بْنُ وَاصِحٍ عَنْ  
ابْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ قَالَ سَعِيدَانِ : « لَرَمَّا لَقِيتُ الْأَنْخَ مِنْ حَوَائِ ، فَتَقِيمُ شَهْرًا  
عَاطِلًا لَمَلَّةً لَهُ » .

وَأَشَدُّنِي عَبْدُ الْمَزِيرِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْأَرَشِي :  
حَتَّكَرْتَنَ مِنْ الْإِخْوَانِ إِيَّاهُمْ حَيْثُ كَانُوا كَثِيرًا مِنَ السَّهْبِ  
كَمْ مِنْ أَحَدٍ لَوْ رَأَيْتُكَ نَائِمَةً وَجَدْتَهُ لَكَ خَيْرًا مِنْ أَحَدٍ مِنَ السَّهْبِ  
وَأَشَدُّنِي الْكَرْبَرِيُّ :

مِنْ خَيْرٍ مَا حَزَنَتْهُ وَدَّ لَدَى كَرَمٍ يَحْزَنُكَ مَا عَشَتْ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا  
نَلَقَى نَشَاشَتَهُ فِي قَرْيَةٍ ، وَإِذَا أَنَا لَكَ مِنْهُ الْبَرُّ مَا كَانَا  
أَبَانَا الْقَطَّانُ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَّارِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ أَمَّا سُلَيْمَانَ يَقُولُ  
« كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى أَخٍ مِنْ إِخْوَانِي بِالْعِرَاقِ ، فَأَعْمَلَ عَلَى رُؤْيَيْهِ شَهْرًا » .

حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ سَعِيدَانَ حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ عُبَيْدٍ  
أَبُو فَرَّاسٍ قَالَ : قَالَ رُبَيْعَةُ « الْمَرْوَةُ مَرْوَةٌ ثَانٍ : فَلَسَعَرُ مَرْوَةٍ ، وَلِلْحَضَرِ مَرْوَةٌ ؛  
عَاطِلًا مَرْوَةُ السَّفَرِ فَبِذَلِكَ الزَّادِ ، وَقَالَةُ الْخِلَافُ عَلَى أَصْحَابِكَ ، وَكَثْرَةُ الْمَزَاحِ فِي  
غَيْرِ مَسَاطِطِ اللَّهِ ؛ وَأَمَّا مَرْوَةُ الْحَضَرِ فَالْإِدْمَانُ إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَكَثْرَةُ الْإِخْوَانِ فِي  
اللَّهِ ، وَنَلَاوَةُ الْقُرْآنِ »

### ذِكْرُ كَرَاهِيَةِ الْمَادَّةِ لِلنَّاسِ

أَبَانَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ - بَيْرُوت - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ

مصعب وحدثني ابن المبارك عن عمرو بن واقد عن سماعة بن عبيد الله عن أم الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أول شيء يهدي عنه ربي - بعد عبادة الأوثان - لعن الحبيب ، وبالأحبة الرجال »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لو أحبب على العالم أن يعلم أن من يزداد لم يحده ، ومن لم يحده لم يعده ؛ فيكون للعدو المكاييم أشد حذراً منه للعدو المبذور ، ومن وجد عنده معتزاً ، وكان ممن لا يفتور ، ثم لا ينصف منه ؛ أوصاته التداية ، وثراوى إذا كان من الأريب كان أبيع في هلاك العدو من العدد الكثير من الجرد ، وترك المداوة على الأحوال كلها أحوط للعاقب من الخوض في سركها .

أما الحسن بن سعيد حدثنا حبان بن موسى أخيراً عبد الله بن هارون هو الأعور عن إسماعيل قال : « لا تشتري عداوة رجل بمائة ألف رجل »

وأشدد عمرو بن محمد قال : حدثنا العلاء ، قال : أشد من مهدي من سابق : تكثر من الأحوال ما استقامت إسمه عماذ إذا استجدتهم وظهور وليس كثيراً ألف رجل لصاحب وإن عدواً واحداً أكثر قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يحب على اسفل أن يكافى شريكه ، وأن يتخذ اسن والشم على عدوه سلاحاً ؛ إذ لا يستعين على العدو على إصلاح العيوب ، وتحصين المورات ، حتى لا يجد العدو فيه سيلاً .

واسفل لا يرحم من يحميه ، ولا يترك إحصاء معائب العدو ، ويفقد عثراتهم مع السكوت عن أسبه ، ولا يستضعف عدواً بحيلة ؛ فإن من استضعف الأعداء اغتر ، ومن اغترم يسل ، ظهر إلا أن يكون العدو ذليلاً ؛ فإذا كان كذلك عطف عليه بالإغصاء ؛ لأر العدو دابل أهل أن يرحم ، كما أن المستجير الخائف أهل أن يؤمن ، والمداوة للعاقب خير من اللصافة للجاهل .

وَأَشْدَى الْخِلَادَى أَشْدَى أَحَدٌ مِنْ مُحَمَّدٍ الْبَكْرِى :  
 وَمَنْ يَصَادَى عَاقِلًا حَيْرٌ لَهُ      مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحَقُّ  
 فَارْغَبْ سَمْسَكَ أَنْ تَصَادِقَ أَحَقًّا      إِنْ الصَّدِيقَ عَلَى الصَّدِيقِ مُصَدِّقُ  
 وَأَنْشَدَنِى مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْحَى الْبَغْدَادَى :  
 أَحْبَبْتُ بَذَى الصَّدْرِ أَنْ يَحْفَظَنِى بِحَاجَتِهِ      وَمُدُّ مِنْ الْقَرَعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَ  
 أَصْبِرْ لِرَجْلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْصِمَهَا      فَمِنْ عِلَاقَةٍ عَنْ رِغْرَةٍ زِلْجًا<sup>(١)</sup>  
 قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْعَاقِلُ يَبْصُرُ مَوَاضِعَ خَطَوَاتِهِ قَبْلَ أَنْ يَضْمَحَهَا ،  
 ثُمَّ يَقْرُبُ عَدُوَّهُ بَعْضَ الْمَقَارِبَةِ ، لِيُنَالِ حَاجَتَهُ ، وَلَا يَقَارِبَهُ كُلَّ الْمَقَارِبَةِ فَيُجْتَرَأَ  
 عَلَيْهِ ، وَالْعَاقِلُ لَا يَعَادَى مَا وَجَدَ إِلَى الْحُبَّةِ سَبِيلًا ، وَلَا يَعَادَى مَنْ لَيْسَ لَهُ مِنْهُ بَدٌّ ،  
 وَلَا الْعَدُوَّ الْحَنِقَ الَّذِى لَا يَطُوقُ : فَإِنَّهُ لَيْسَ لَهُ حِيلَةٌ إِلَّا الْمَرْبُ مِنْهُ ، وَحِيلَةُ السَّبِيلِ  
 إِلَى الْقُدْرَةِ عَلَى الْعَدُوِّ وَجُودُ الْمَرَّةِ فِيهِ ، وَأَنْ يَرَى الْعَدُوَّ أَنَّهُ لَا يَتَخَذُهُ عَدُوًّا ،  
 ثُمَّ يَصَادِقُ أَصْدِقَاءَهُ ، فَيَدْخُلُ بَيْتَهُ وَبَيْنَهُمْ .  
 وَأَحْزَمُ الْأُمُورِ فِي أَمْرِ الْعَدُوِّ : أَنْ لَا يَذْكُرَهُ بِسُوءٍ إِلَّا عِنْدَ الْفُرْصَةِ ، وَإِنْ مِنْ  
 أَسْرِ الظَّنِّ بِالْأَعْدَاءِ اشْتِمَالُ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ، وَإِنْ مِمَّا يَسْتَعِينُ بِهِ الْمَرْءُ عَلَى عَدُوِّهِ :  
 مَحَابَّةٌ مِنْ بَعَاضِهِ ، وَيَصْحَبُ عَدُوَّهُ .  
 أَحْبَرَنِى مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْقَزَازِ حَدَّثَنِى أَحْمَدُ بْنُ زَهْرَبْنِى حَرْبٌ قَالَ : سَمِعْتُ  
 يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ يَقُولُ : قَالَ ابْنُ السَّيِّكِ « لَا تَحَفَّ مِنْ تَحَدُّرٍ ، وَلَكِنْ احْذَرْ  
 مِنْ تَأْمَنِ » .  
 وَأَنْشَدَنِى عَلَى بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَسَامَى :

(١) يَقُولُ : إِنْ مِنْ يَمْشِى عَلَى غَيْرِ تَبَصُّرٍ ، لَهَا بَلْعٌ مِنَ الْعُلُوِّ وَلَوْ إِلَى قَلَّةِ الْحَبْلِ  
 وَهِيَ قَتْلُهُ فَلَا بَدَّ أَنْ تَزُلْ قَدَمُهُ ، فَيَحْرُ ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَتَحَطَّمُ .

سمعتُ أن أُنقِى معنًى ، وأن أرى على من يسو جى تدرى الدور (١)  
 فيصبح محدوداً ، ومضى سناً إلى الله دعى ما كلفه ، صر  
 سمعت محمد بن محمود يقول . سمعت علي بن خشرم يقول : سمعت مصل  
 ابن موسى الشيباني يقول « كان صيد يصطاد العصفير في يوم ريح ، فذ : فجمعت  
 الرياح تدحرج في عيينه العدر ، فتدري فان ، فكلها صاد عصفوراً كسر حناجه  
 وألقاه في ناموسه ، فقال عصفور صاحبه : ما أرفقه عينا ، ألا ترى إلى دموع  
 عيينه ؟ فقال له الآخر : لا تنظر إلى دموع عيينه ، ولكن اطر إلى عمل يديه »  
 قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يأمن عدوه على كل حال ، إن كان  
 بعيداً لم يأمن مغادرته ، وإن كان قريباً لم يأمن موافقته ، والعاقل لا يحاطر بنفسه  
 في الانتقام من عدوه : لأنه إن هلك في قصده قيل : أصاع نفسه ، وإن ظفر  
 قيل : الفصاء فله .

والمعاداة ضد الحياء فاحشة عظيمة ، لا يليق بالعاقل ارتكابها وإن دعه الوقت  
 إلى ركوها تركه للصلح موصفاً .

وأشدنى بعض أهل الأدب لأبي الأسود الدؤلى :

وأحب إذا أحببت حباً مقاربا فإنك لا تدري : متى أنت نازع ؟  
 وأنص إذا أنصت غير محاسب فإنك لا تدري : متى أنت راجع ؟  
 وكن معداً للعلم ، واضفح عن الأذى فإنك راء ما عملت وسامع  
 وأشدنى منصور بن محمد الكريزى :

(١) يناوىب : يناوئى . والناوأة : الخاصمة . يقول : إنه طالما تحى أن يعيش معافى  
 وأن يرى دوائر الهلاك تدور على أعدائه ومساوئيه . والخلق بالثؤمن : أن يتبعى الخير  
 والعافية والصلاح لنفسه وأحبائه وأعدائه ومساوئيه . كما كان النى صلى الله عليه وسلم  
 قول في شأن أعدائه - وهم حريصون على قتله - « اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يفلحون »

إذ أنت عادت مرءى بعد حنة      فدع في غدٍ للقرود والصلح موضعاً  
فأنت إن بدت من زنة زلة      ظلت وحيداً لم تجد لك منزلاً  
أبو محمد بن سحاق الثقفي حدثنا أبو همام حدثنا ابن وهب أخبرني يونس  
ابن يزيد عن ابن شهاب قال « اجتمع مروان بن الحكم وابن الزبير يوماً عند  
عائشة ، فحبس في حجرها ، وبيتها وبينهما الحجاب ، فأتا عائشة شعراً وحديثاً ،  
ثم قال مروان :

ومن شد الرحمن يخفضُ بقدره      وليس لمن لم يرفع الله رافعُ  
وقال ابن الزبير :

وقوض إلى الله الأمور إذا اعترت      وبالله لا بالآخر بين تدافع<sup>(١)</sup>  
وقال مروان :

ودار ضمير القلب بايرً وتقى      ولا يستوى قبان قاسٍ وخاشعُ  
وقال ابن الزبير :

ولا يستوى عبدان : عبدٌ مكرمٌ      غنلٌ ، لأرحام الأقارب قاطع  
وقال مروان :

وعبد يحاي حبه عن فراشه      يبيت يناجي ربه وهو راكع  
وقال ابن الزبير :

وللحير أهل يعرفون هديهم      إذا اجتمعت عند المخطوب المجمع  
وقال مروان :

وللشر أهل يعرفون بشكلمهم      تشير إليهم بالتمجور الأصابع  
قال : فكنت ابن الزبير ، فلم يحب مروان بشي .

(١) في الأصول « تدافع » ولا تستقيم قافيته مع قافية حية الأبيات ، وعجسه  
محرراً عما أثبتناه .

فقلت عائشة : « يا عبد الله ، مالك لم تجب صاحبك ، والله ما سمعتُ تحاور  
 وحلين تحولا نحو ما حاولتا فيه أعجب إلى من محاولتكما »  
 قال ابن الزبير : إني حست عول<sup>(١)</sup> القول ، فكفمت .  
 فقالت عائشة : « إن مروان في الشعر ما ليس لك »  
 أسأنا محمد بن لندر ، حدثنا عصام بن الفضل الداري ، حدثني الزبير بن مكر  
 عن محمد بن حرب ، قال : قال عبد الله بن حسن لاسنه محمد « إياك ومأذاة لرجال  
 فإنها لا بعدمك مكر حليم ، أو مأذاة<sup>(٢)</sup> جاهل »  
 قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يعادى على الحالات كلها ، لأن العداوة  
 لا تخلو من أن تكون لأحد رجبين : إما حليم لا يؤمن مكره ، أو جاهل لا يؤمن  
 شتمه ، ولا يجب على العاقل - إذا عادى - أن يعرّه إحسانه إلى عدوه ما يرى  
 من سكونه إليه ، فإن الماء وإن أطيل إسخذه ، ليس يسمع ذلك من إطفاء النار  
 إذا صب عليها ، ولا يجب أن يعظم عليه حمله عدوه على عاتقه إذا وثق بحسن  
 عاقبته ، لأن اللين والمكر أنكى في العدو من القضاظة والمسكارة . ألا ترى  
 النار مع حرها لا تحرق من الشجرة إلا ما ظهر ، والله مع رده ولينه يستأصلها ،  
 ومحابة المرء عدوه في عشرة أحد<sup>(٣)</sup> الأعموان عليه عند الفرصة .  
 كما أسأنا عمرو بن محمد الأصارى ، حدثنا ثعلابي ، حدثنا العتيبي عن أبيه  
 قال : قال الأحنف بن قيس « من جالس عدوه حفظ عليه عيوبه » .  
 وأنشدني الأبرش :

لأتحافن إن رمالك عدو عيوب ، إذا تكون رباً  
 إنما العيب أن يكون محققاً في الذي قاله ، ولست نقيماً

(١) العول : الليل في الحكم إلى الخور . والعول : نقصان أيضاً .

(٢) الباداة : بباءة والسفه بالسلب والشم .

فإذا كان كاذباً كنتَ باسداً ق على العائب الكدوب حرياً  
ولقد يُذَرَّق العدو بحسب السر عيب تحمله مَكُوناً

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يعبره إلرف العدو به العيوب والقبائح .  
لأن ذلك لا يكون له وقع ، ولا سكرته نيات ، ولا يلذذ المرء ما كان عدوه باقياً  
كما لا يجد السقيم طعم النوم والطعام حتى يبرأ .  
وأشد مكيذة العدو ما يعمل فيك من سبيل بأمنك ، والقال باشر مغلوب  
وإن من أعظم الأعوان على الأعداء تعاهد المرء وأده وعياله وخدمه ، وتوقيه  
إياهم على المعائب والزلات .

أبى الحسن بن سميان ، حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا الوليد عن الأوزاعي  
عن يحيى بن أبى كثير قال : قال سليمان بن دود لابنه « يا بني إذا أردت أن  
تعيط عدوك فلا ترفع عن يمين العصا »

### ذكر لحت على صفة الأخيار والرجز عن عشرة الأشرار

حدثنا الحسن بن سعيد السائي ، حدثنا عبيد الله بن معاذ العميري ، حدثنا  
أبى عن شعبة عن قتادة ، عن أسد ، عن أبى موسى ، قال : قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم « مثل الخليس الصالح مثل العطار ، إن لم ينلِكَ منه أصابك  
من ريحه : ومثل جليس السوء مثل القين ، إن لم تنصبك ناره أصابك شرره »<sup>(١)</sup>

(١) العطار . نافع العطر . وتبين بالفتح الحمار . والحديث رواه البخارى ومسلم  
عن أبى موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما مثل الخليس الصالح  
والجليس السوء : ككامل السك ، ونافع الكير . كامل السك : إما أن يحذيك ،  
وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تحد منه ريحاً طيبة . ونافع الكير : إما أن يحرق  
ثيابك ، وإما أن تحد منه ريحاً خبيثة » و « يحذيك » أى يعطيك بدون ثمن .



قال أبو حاتم رضي الله عنه: اعقل بزم صحبة الأخير، وبعرق صحبة الأشرار؛ لأن مودة الأخيار سريع اتصالها، حتى انقطاعها، ومودة الأشرار سريع انقطاعها، حتى انقطاعها. وصحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار، ومن خدس الأشرار لم يسلم من الدخول في حمتهم.

قالواجب على العقول أن يحتف أهل ريب، لئلا يكون مريب. فكما أن صحبة الأخير تورث الخير، كذلك صحبة الأشرار تورث الشر وأشدني محمد بن عبد الله بن زحى البعدي:

عليك يا حوان الثقات: فيهم فبيل فبيلهم دون من كنت تصحب  
ونفسك أكرمها، وصحبها: فإنها متى ما تحاسن سعة الناس تفصب  
سمعت أبا يعلى يقول: سمعت إسحاق بن أبي إسرائيل يقول: سمعت سفيان  
ابن عيينة يقول: «من أحب رجلاً صالحاً فبما يحب الله تبارك وتعالى»  
أنبأنا محمد بن أبي علي الحلادي، حدثنا عبد الله بن الصقر السكري، حدثنا  
وهب بن محمد بن منبه الشامي، قال: سمعت الحارث بن وحيه يقول: سمعت  
مالك بن دينار يقول: «إنك أن تغفل الحدة مع الأبرار خير من أن تاكل  
الخبيص»<sup>(١)</sup> مع الفجار

قال أبو حاتم رضي الله عنه: العاقل لا بدئس عرصه، ولا يعود نفسه أسباب  
الشر بل يروم صحبة الأشرار، ولا يعضي عن صيانة عرضه ورياسة نفسه بصحبة  
الأخيار، على أن الناس عند الخيرة يتبين مهم أشياء ضد الطاهر منها.  
أشدني علي بن محمد البسامي:

وقل ما اخلوئي كلام امرئ ولا أن إلا كان مراً الفعل

(١) الخبيص: نوع من الخلوى يصنع من التمر مخلوطاً بالسمن.

وربما اخلوا كلام القتي وكان محموداً على كل حال  
عكس هذه أنت راء إذا تَصَاحِبُ الناس ، وتبلى رجال

حدثنا بكر بن أحمد بن سعيد الطحى ، حدثنا نصر بن علي ، أبانا نوح  
ابن قيس ، حدثنا حوشب عن الحسن في قوله ( ٢٥ : ٦٣ ) وعساد الرحمن الذين  
يمشون على الأرض هونا ) قال « حَمَاءُ علماء ، صَبْرٌ ثَبَتٌ <sup>(١)</sup> » بن ظالموا لم يظالموا  
وإن نُتِيَ عليهم لم يبنوا ، قد برام الخوف كأنهم القِدَاحُ »

أبانا حامد بن محمد بن شعيب الطحى ، حدثنا سريج بن يونس ، حدثنا شعيب  
ابن أبي نصر أبو بصير القارى عن أبي عمرو بن لعلاء ، قال « رأيت سعيد بن جبيرة  
وأنا جالس مع الشباب ، قال : ما يجلسك مع الشباب ؟ عليك بالشيوخ »

أبانا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا أبو أسامة عن  
سفيان عن أبي المحجل عن ابن عمران بن حطان عن أبيه قال : قال أبو الدرداء  
« صاحبٌ صالح خير من الوحدة ، والوحدة خير من صاحب السوء ، وممل  
الخير من الساكت ، والساكت خير من ممل شر » -

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يصاحب الأشرار : لأن صحبة صاحب  
السوء قطعة من النار ، تُعقب الضعائن ، لا يستقيم وده ، ولا يعي بعده .  
وإن من سعادة المرء حصلاً أربعا : أن تكون زوجته موافقة ، وولده أبارا ،  
وبخاؤه صالحين ، وأن يكون رزقه في يده .

وكل جليس لا يستفيد المرء منه خيراً تكون محادثة الكلب خيراً من عشرته ،  
ومن يصحب صاحب السوء لا يعلم ، كما أن من يدخل مداحل السوء يبتهم .

(١) صبر - صمتين - جمع صبور ، وثبت - يضمنين - جمع نيت ، وضم  
فتشديد الباء معوجة جمع ثابث مثل راكم وركع . ورامم : أى أغلهم وأهزلهم .

وما أشبه حجة الأشرار إلا عما أشدني منصور بن محمد الكريزي .  
 فلو كان منه الخير إذ كان شره عتيداً<sup>(١)</sup> صربت الخير يوماً مع الشر  
 ولو كان لا حيراً ولا شر عنده رضيت أعمري بالكفاف مع الأجر  
 ولكمه شرّاً ، ولا حير عنده ونس على تنير إذا طال من صبر  
 أخبره إسحاق بن إبراهيم القاسي ، حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا  
 ابن علية عن يونس عن الحسن قال « أيها الرجل ، إن أشد الناس عليك قدماً  
 لرجل إذا فرغت إليه وجدت عنده رأياً ، ووجدت عنده بصيحة ، يفتأ أنت كذلك  
 إذ فقدته ، فالتفتت منه حلقاً فلم تجده .

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندی ، حدثنا  
 عبد الله بن سليمان ، قال : قال جعفر بن محمد « من كان فيه ثلاث فقد وجب له  
 على الناس أربع : إذا حاطهم لم يظلمهم ، وإذا خدشهم لم يكذبهم ، وإذا وعدهم  
 لم يخلفهم . وعلى الناس : أن يظهروا عدله ، وأن تكل فيهم مروءته ، وأن يحب  
 عليهم أحوته ، وأن يحرم عيبتهم .

وأشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :  
 أحب خيار الناس أين لقيتهم خير الصحبة من يكون ظريفاً  
 والساس مثل دراهم ميزنها ورأيت فيها وصّة وريوفاً  
 أخبرنا ابن فحطبة ، حدثت عباس بن عبد العظيم ، حدثنا إسماعيل بن  
 عبد الكريم ، حدثنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهما يقول « إن الله ليحفظ  
 بالعبد الصالح القبيل من الناس »

(١) العتيد : الملازم ، يقول : لو كان عنده شيء من الخير لذهب خيره شره ،  
 فكان كما قال .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواحد على العاقل أن يستعيد الله من صحة مَنْ  
إذا ذكر الله لم يُعنه ، وإن نسي لم يدكره . وبين غفل حرصه على ترك الذكر .  
ومن كان أصداؤه أشراراً كان هو سرحاً ، وكما أن الخير لا يصحب إلا البرة .  
كذلك الردي لا يصحب إلا الفجرة : فإن مرء إذا اصصره الأمر فليصحب أهل  
المروءات ، لأن محمد بن عثمان العنقي قال : حدثنا أحمد بن داود البصري ، حدثنا  
ابن عائشة قال : قال عبد الواحد بن زيد « جالسوا أهل المدين من أهل الدنيا  
ولا تحالوا غيرهم ، فإن كنتم لأبد قاعدين ، فجالسوا أهل المروءات ، فليسهم  
لا يرفثون <sup>(١)</sup> في مجالسهم »

### ذكر كراهية التلون في الوداد بين المؤمنين

أسانا محمد بن الحسن بن قتيبة نعتاً قال ، حدثنا إبراهيم الخوري ، حدثنا  
بكار بن شعيب ، حدثنا ابن أبي حاتم عن أبيه عن سهل ، قال : قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم « لا خير في صُحبة من لا يرى لك من الحق مثل ما ترى له »  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواحد على العاقل إذا روقه الله وُدَّ امرئ  
مسلم صحيح الوداد يحافظ عليه : أن يتمسك به ، ثم يوطن نفسه على صلته إن  
صرمه ، وعلى الإقبال عليه إن صدَّ عنه ، وعلى البتال له إن حرمه ، وعلى المدنو  
منه إن باعده ، حتى كأنه ركن من أركانه ، وإن من أعظم عيب المرء تنوّه في  
الوداد .

وأشدني للتقصير من لال الأضاري :

وكم من صديق وُدّه بلسانه خؤون بظهر الثيب لا يتقدم

(١) الرفث : الفاحش من القول ، وما يتعلق بالسوء وأسراره .

يصحكي كرهاً سكي أودّه وتَشَعُّني منه إذا عِتُ سَمُّهُ  
أخبرني محمد بن لمباحر العدل ، حدثني عن أبي شيبة ، قال : قال الأصمعي :  
قال رجل من الأعراب « من أعجز الناس من قَصَّرَ عن طلب الإخوان ،  
وأعجز منه : من ظفر بذلك منهم فأصاع مودتهم ، وإنما يُحسن الاختيار بعينه  
من أحسن ، لا اختيار لنفسه »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لعقل لا يقصر في تصاهد الودد ، ولا يكون  
ذا لوبين ، وذا قلبين ، بل يوافق سيره علايته ، وقوله فعله ، ولا خير في متأخين  
ينمو بينهما الحبل ، ويريد في حاليهما العدل .

كما أشدني عبد العزيز بن سليمان الأوش :

حا الله<sup>(١)</sup> من لا ينفعُ الودُّ عنده      وَمَنْ حَلَّهْ إِنْ مُدَّ غَيْرُ مَتِينِ  
ومن هو ذو لوبين ليس بدائم      على الوصل حَوَّانٌ لِكُلِّ أَمِينِ  
ومن هو ذو قلبين ، أما لقوده      فحُلُوٌّ ، وأما غيبه فظنين  
ومن هو إن تُحْدِثْ له العينُ بَطْرَةً      يَقْطَعُ بِهَا أَسْبَابَ كُلِّ قَرِينِ  
وأشدني عمرو بن محمد النسابي لأن الأعرابي :

العين تبدي الذي في نفس صاحبها      من الشَّاةِ<sup>(٢)</sup> ، أو وُدِّ إذا كانا  
إد البغيض له عين يصد بها      لا يستطيع لما في الصدر كتابا  
العين تنطق والأفواه ساكنة      حتى ترى من ضمير القلب رتيابا  
وأشدني علي بن محمد البسامي :

(١) لح الشجرة يلحوها : قشر لحاها ، ولحاه الله لحيا : أي قبيحه واعمه . كذا  
في اللسان .

(٢) الشاة : البعوض والكراهية .

وجارٍ لا تزالُ تزورُ منه قوارصُ لا تَنَامُ ولا تُنِمْ<sup>(١)</sup>  
 قريب الدار نأى الوترُ منه معاندةً ، أبت لا تستقيم<sup>(٢)</sup>  
 يبادر بالسلام إذا التقى ونحت صوغه قلب سقيم  
 أنبأنا محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا أحمد بن محمد بن بكر الأنباري عن  
 هشام بن عبد الملك البصري ، قال : قال اللقيط الكندي :

أبى الرجال إذا أردت إخوانهم وتوسمن أمورهم وتفقد<sup>(٣)</sup>  
 فإذا ظفرت بذى اللبابة والتقى فيه اليدين قرير عين فاشدد  
 ومتى يزل ، ولا محالة ، زلةً فعلى أخيك بفصل رأيك قاررد  
 وإذا الخفى نقض الحبي في موضع ورأيت أهل الطيش قاموا فأفقد

أخبرنا عبد الله بن قحطبة ، حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا الوليد عن الأوزاعي  
 عن يحيى بن أبي كثير قال : قال سليمان بن دود لانه « يا بني عليك بالحبيب  
 الأول ، فإن الآخر لا يعده »

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا أحمد بن بكر بن سيف ، حدثني محمد  
 ابن حسين قال « كان أعرابي بالكوفة ، وكان له صديق ، وكان يظهر له مودة  
 ونصيحة ، فأتخذه الأعرابي من عده للشدائد إذ حارب الأعرابي أمر ، فأتاه ،  
 فوجده بعيداً مما كان يظهر للأعرابي ، فأشأ يقول :

(١) يقول : ورب حار لا يزال يبعث إلى بالمؤلمات من القول ، والنسب  
 والتفصيص حتى أقض مضجعي ، فلا فوارس تنام يوماً بل هي مستمرة ، ولا هي  
 تركني أنام .

(٢) يقول : إن شره وأذاه أسرع إلى كل من كان أقرب منه ، من أجل  
 المعادة ولكايمة بفعل ذلك .

(٣) أبى الرجال : اختبرهم وامتنعهم .

إذا كان وُدُّ المرءِ ليس زائداً على «مرحباً» أو «كيف أنت» و«حالكاً»<sup>(١)</sup>  
 ويثَّ بلا كاشراً، أرَّ محدثاً وقبَّ لودَّ، لس إلا كذلك  
 لستك معسولٌ وفضك نشة وعند الثريا من صدقك مألوكا  
 وأت إذا قمت بميك مرة لتعمل حيرٌ، قائلتها شمسكا  
 سمعت محمد بن المنذر يقول : سمعت عبد الله بن عبد الله يقول : قال  
 محمد بن حارم :

وإن من الإخوانِ خوانَ كثيرةٍ وإخوان «حتيك»<sup>(٢)</sup>، و«مرحبا»  
 وإخوان : كيف الحال والأهل كله؟ وذلك لا يسوى فقيراً منزاً  
 جواد إذا استعنت عنه ماله يقول : إلى القرص، والقرص فاطمة  
 فإن أنت حاولت الذي حلف طهره وحدث الثريا منه في البعد أقرنا  
 قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يصادق المتنون ، ولا يؤاخى المتقلب ،  
 ولا يظهر من يوداد إلا مثل ما يصمر ، ولا يصمر إلا فوق ما يظهر ، ولا يكون  
 في النوائب عند القيام بها إلا ككونه قبل حدوثها والدخول فيها ، لأنه لا يحمى  
 من الإخاء ما لم يكن كذلك .

وأشدنى محمد بن المنذر وأشدنى محمد بن حلف التيمي ، أشدنى رجل  
 من حراقة :

وليس أخى من وُدِّي بلسانه ولكن أخى من وُدِّي في النوائب  
 ومن ماله مالى ، إذا كنت معدماً ومالى له ، إن غصَّ دهر بعارب  
 فلا تحمدن عند الرخاء مؤاخياً فقد تسكر الإخوان عند المصائب  
 وما هو إلا كيف أنت ومرحب وبالبيض رَوَّاع كروغ التعاب<sup>(٣)</sup>  
 أخبرنا ابن قحطبة ، حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا أبو معاوية عن هشام  
 ابن عروة عن أبيه قال : مكتوب في الحكمة « أحبب خليلك وحبيل أبيت »

(١) قدم أولها وثانيها مع متين آخرين في ص ٩٧ (٢) أراد بالبيض الدراهم .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أغصه الأمارت على معرفة صحة الوداد  
وسمعه : ملاحظة العين إذا تحطت ، وبها لا تكاد تبدى إلا ما يصر القرب من  
الود ، ولا يكاد يخفى ما يحمد الضير من الصد ، فإما قل يعتير الود بقلبه وعين  
أحبه ، ويحمل له بينهما ملسكا لا يردده عن معرفة صحته شيء تخيله

واقعد أخيرا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا محمد بن الحسن الدهلي ، حدثنا  
على بن محمد للذهبي عن محمد بن إبراهيم العباسي عن عبد الله بن الحجاج مولى  
المهدي وعن إبراهيم بن شكلة<sup>(١)</sup> قال « إعلم أن من أظهر ما يحب أو ما تكره فإنه  
لك أن تقيس ما أضمر قلبه بالذي أظهر لسانه ، وليس لك أن تعرف ما أسر  
صميره ، فعامله على نحو ما يبدى لك لسانه » وفي ذلك أقول :

ليس للشيء إذا تغيب سوءه عني بمنزلة انسيء المعين  
من كان يظهر ما أحب فيه عندي بمنزلة الأمين المحسن  
والله أعلم بالقوب ، وإعما لك ما بدا لك منهم بالألسن  
ولقد يقال خلاف ذلك إعما لك ما بدا لك منهم بالأعين

غير أن خالي خالفني في ذلك ، وزعم أن الأعين أبين شهادة على ما في القلوب  
من الألسن . وكتب في ذلك رسالة « أما بعد ، فقد بدا لي من صدك ، ما يسي  
من ودك ، ولم يزل يخبرني لحظك ، ما تضمر من بعضك » وكتب في أسفل  
ذلك :

وما أحب إذا أحيت مكتما يبدى العداوة أحيانا ويخفيها  
تظل في قلبه البغضة كلمة فالقلب يكتمها والعين تديها  
والنفس تعرف في عيني مخدتها من كان من سلمها أو من أعادها  
عيالك قد دلنا عيني منك على أشياء لولاها ما كنت أدريها

(١) شكلة - بكسر الشين وفتحها - أمه ، وهو إبراهيم بن المهدي العباسي .



أخبرنا الحلاوي ، حدثنا أحمد بن محمد الصوفي ، حدثنا محمد بن صالح البضادي قال : سمعت إبراهيم الحبشي يقول « دلائل الحب يعرف في الحب ، وإن لم يمتطق لسنه »

### ذكر ائتلاف الناس واختلافهم

أخبرنا عمران بن موسى بن محاشم السخيتي ، حدثنا عبد الأعلى بن حماد الهسي ، حدثنا حماد بن سلمة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف »

حدثنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل قال : قال علي « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : سبب ائتلاف الناس واقتراقهم — بعد الفصاء السابق — هو تعارف روحين ، وتناكر روحين ، فإذا تعارف الروحان وجدت الألفة بين نفسيهما ، وإذا تناكر الروحان وجدت الفرقة بين جسيهما .

ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن عبد الله بن مهران ، حدثنا يوسف ابن يعقوب الصفار ، حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي يحيى عن مجاهد قال : رأى ابن عباس رجلا فقال « إن هذا ليحبني ، قالوا : وما عليك ؟ قال : إني لأحبه ، والأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » .

وأشددى محمد بن أبي على الحلاوي ، أشددى أحمد بن محمد بن بكر الأبدوي .

إن القلوب لأجناد مجندة لله في الأرض بالأهواء تعترف

فما تعارف منها فهو مؤتلف وما تناكر منها فهو مختلف

أنانا ابن مكرم بالبصرة ، حدثنا شربن الويد ، حدثنا الحكم بن عبد الملك  
عن قتادة بن قول الله تعالى ( ١١ : ١٢٠ ) إلا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم ) قال :  
للرحمة والطاعة ، فأما أهل طاعة الله فتوابعهم وأهواؤهم مجتمعة ، وإن تفرقت ديارهم ،  
وأهل معصية الله فتوابعهم مختلفة ، وإن اجتمعت ديارهم .

وأشدنى منصور بن محمد السكر بنى :

فما تبصر الميمان والقلب آلف ولا القلب والعينان منطقتان  
ولكن هما روحان تعرض ذى لذى فيعرف هذا ذى فيلتقيان .  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أعظم الدلائل على معرفة ما فيه المرء  
من قلبه وسكوته : هو الاعتبار بمن يحدثه ويوده ، لأن المرء على دين خليله ،  
وطير السماء على أشكالها تقع .

وما رأيت شيئاً أدلّ على شيء ، ولا الدخان على النار ، مثل الصاحب على  
الصاحب . وأشدنى الأبرش :

يقاس المرء المرء إذا ما هو مشاء  
ودو المرء إذا ما احتكم لك ذا الصحة أعدام<sup>(١)</sup>  
وللشئ من الشئ مقاييس وأشياء  
وللروح على الروح دليل حين يلقاه  
حدثنا أبو خليفة ، حدثنا محمد بن كثير العبدى ، أنانا سفيان عن أبي إسحاق  
عن هيرة ، قال : اعتبر الناس بأحداهم<sup>(٢)</sup> .

---

(١) المر - بضم العين المهملة - الجرب . ينول : إن الصديق يعدى صديقه  
كما يعدى الأحراب السيم .

(٢) اعتبر : قس ، والأحدان : جمع خدن - بالكسر - وهو الصديق .

أما محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن موسى الأنباري ، حدثنا محمد بن صالح العدوي ، حدثنا الحسين بن جعفر بن سليمان الضمعي قال : سمعت أبي يقول : سمعت مالكا يقول « الناس أشكال كأخناس الطير ، الحمام مع الحمام ، والغراب مع الغراب ، والبط مع البط ، والصعو مع الصعو <sup>(١)</sup> وكل إنسان مع شكله » وأشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

يزين القتي في قومه ويشبهه وفي غيرهم : أخذته ومداخله  
لكل امرئ شكل من الناس مثله وكل امرئ يهوى إلى من يشاكله  
وأشدني محمد بن عبد الله بن ربحي البغدادي :

إن كنت حات ، وبني استبدلت مطرعا وذا ، فلم تأت مكروها ولا بدعا  
فكل طير إلى الأشكال موقعها والفرع يجري إلى الأعراق منتزعا  
قال أبو حاتم رضي الله عنه العاقل يحجب مما شاة المريب في نفسه ، ويفارق  
حصة التهم في دينه : لأن من يحب قوما عرف بهم ، ومن عاشر امرا نسب إليه ،  
والرجل لا يصاحب إلا مثله أو شكله ، فإذا لم يجد المرء بدا من حصة الناس تحرى  
حصة من زانه إذا صحبه ، ولم يشنه إذا عرف به ، وإن رأى منه حصة عذها ،  
وإن رأى منه سيئة سترها ، وإن سكت عنه ابتداء ، وإن سأله أعطاه .

فأما اليوم فأكثر أحوال الناس تكون ظواهرها بخلاف بواطنها . وما أشبه  
عشرتهم إلا بما أحبري محمد بن يعقوب البعلاني ، حدثني عبد الصمد بن الفضل  
حدثنا الحسين بن سهل التياص عن أبي عبيدة قال « تكلم عصفور في بي إسرائيل  
مع قتي ، فقال العصفور : اخناؤك لماذا ؟ قال : من العسادة . قال : دفنك في  
الغراب لماذا ؟ قال : من التواضع . قال : فما هذا الشعر ؟ قال : هذا لاسي . قال :

(١) الصعو : طائر أصغر من العصفور أحمر الرأس .

ما هذا الطعام ؟ قال : هذا أعددتُه لعابر سبيل . قال : فتأذن لي فيه ؟ قال :  
سم . قال : هنقر المصفور نقرة فأجد بعنقه ، ثم حمل المصفور يقول : شَغْ شَغْ  
شَغْ . وقال : والله لا يغربني قاري . معك أدب .

وأشدني محمد بن أبي علي لابن أبي القيس :  
إن كنت تبغى العلم أو محوَه      أو شاهداً يجر عن غائب  
فاعتبر الأرض بأسمائها      وعثر اصحاب بالاصحاب  
وأشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

تعارف أرواح الرجال إذا التقوا      فبه عسود يُنقى وخليل  
كذلك أمور الناس والناس منهم      خفيف إذا صاحته وثقيل

وأشدني المنتصر بن بلال لأصاري :  
اجعل قرينك مَنْ رَضيتَ كماله      واحذر مقارفة القرين الشائن  
كَمْ من قرين شائن لقرينه      ومهيجٍ منه لكل محاسن  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من الناس من إذا رآه المرء يعجب به ، فإذا  
ازداد به عسا ازداد به عجباً ، ومنهم من يبنضه حين يراه ، ثم لا يزداد به عسا  
إلا ازداد له مقتاً ، فاتفاقهما يكون باتفاق الروحين قديماً ، وافتراقهما يكون  
بافتراقهما ، وإذا اختلفا ثم افترقا فإفراق حياة من غير نقص حادث ، أو فراق  
مات ، فهناك الموت المطيع ، والأسف التوحيج ، ولا يكون موقف أطول غمّة ،  
وأظهر حسرة ، وأدوم كآبة ، وأشد تأسفاً ، وأكدر تلفافاً من موقف الفراق  
بين المتواخين ، وما ذاق ذائق طعناً أماً من فراق الخلقين ، وامسرام القرينين .  
حدثنا محمد بن يعقوب الخطيب قال : سمعت معمر بن سهل يقول : سمعت  
جعفر بن عون يقول : سمعت مسعر بن كدام يقول :

لن يثبت القروءُ أن تعرفوا بيل سكر عديم وسها  
 أسما محمد بن لمحر لمعدن ، حدثنا أبو أحمد بن حمد بن رزي ، حدثنا  
 الزبير بن سكار ، حدثني محمد بن موسى أبو غزيرة قال : كان أبو العتاهية إذا  
 قدم المدينة يحس إلى ، وأراد مرة الخروج فودعي ، وقال :  
 إن تيسر مجتمع ، وبلا ف شمل من مات عن جميع الأنام  
 حدثنا محمد بن أبي علي ، قال : أشده محمد بن موسى السمرى ، أشدهما  
 أحمد بن عبد الأعلى الشيباني :

فباغمسا بمن يمد يمينه إلى إني عبد العراق ، فبسرع  
 صفت عن التودع ، وأنه فصلته ماقلب ، وأعين تدمع  
 وأشدني ابن دياض للبحري :  
 الله جرك في إطلاقك تلقاء شامك ، أو عراقك  
 لا تملأ دأني في مسيرى حيث سرت ، ولم ألاقك  
 إلى حيث موافقا للين نسبح غرب ماقلك (١)  
 وعلمت ما يحشى مودع عبد ضحك واحشاك  
 فتركت ذلك معداً وخرجت أهرب من فراقك  
 وأشدني منصور بن محمد السكر بزي :

أني كل يوم حية الين تفرع وعيني ليين من ذوى ود تدمع  
 فلا لنفس من تهيئها مستقيمة ولا بالدي يأتي به الدهر تقنع (٢)

(١) صفح : تريق . والعرب . اللؤلؤ الكبير ، والملاق : اللوق ، شه موق عيه باللؤلؤ  
 الكبيرة لكثرة ما يدرف من الدموع عند العراق .

(٢) التريام : الهيام ، وهو شدة الحب ، ووقع في الأسر « نهامها » وأحبه  
 محرفاً عما أثبت .

وأشدى محمد بن سدار بن أصرم :

أيا قلبُ لا تمزع من البين ، واصطبر فليس لما يُنصَى عليك بدافع  
توكل على الرحمن إن كنت مؤمناً يُحرك ، ودعى من مُحوس الطوالع  
وكل لدى قد قَدَّر الله واقع وما لم يُقدِّره فليس واقع  
وأشدى عبد الرحمن بن يحيى بن حبيب الأندلسي لنفسه :

نظمت مدامه مما في قلبه وعن الجوب لسانه لا يطق  
فكانه مما يقاسي قلبه دَفْعُ مريض أو أمير مُوثق  
وكأنما الأشجان في أحشائه فراق أهل الود ناراً تحرق  
كيف لسو ، وهل له من سلوة مَنْ بان عن أحبائه يَفَرُّق

قال أبو حاتم رضى الله عنه : السب المؤدى إلى إظهار الجزع عند فراق  
المتواخين : هو ترك الرضا بما يوجب القضاء ، ثم ورود الشيء على مصر الحشا  
بضد ما انطوى عليه قديماً ، فمن وَطَّن نفسه في ابتداء العاشرة على ورود صد  
الجيل عليها من صحبتته ، وتأمل ورود المكروه منه على غفلته ، لا يظهر الجزع عند  
الفراق ، ولا يشكو الأسف والاحترق ، إلا بتقدير ما يوجب العلم إظهاره .  
وقد أواع جماعة الفرائض حتى إتهم خرجوا إلى ثلب الطيور ، ومدح  
الهمس<sup>(١)</sup> وتأولوا لعن نوح عليه السلام الغراب .

أبنا جعفر بن أحمد بن سنان القطان ، بواسط ، حدثنا عمرو بن محمد بن عيسى  
الضبي ، حدثنا عبد الأعلى بن عبد الأعلى ، حدثنا الجريري ، عن أبي السَّليل  
عن أبي سراح قال « سمع نوح الغراب والحمامة حيث استقرت السفينة على  
الجودي ، يتمسان له الجُدَّ - يعنى الأرض - فأما الغراب فرأى جيفة موفع عليها

(١) الثلب : القمص والعيب والدم . والهمس : الأطلال وآثار الديار .

فأكل مَب . وأما الحمامة فحادت عاصفةً على غصن شجرة بطين أحمر . قال :  
فدعا للحمامة بالبركة ، وأما العرب فعنه ، وقال له قولاً شديداً .

أخبار محمد بن جعفر بن الحسن البغدادي ، حدثنا أحمد بن محمد بن الحسين  
النعوى ، قال : قال سيم بن منصور « أمرت نبي فاشترى لها أربعة غرابان ،  
فهما رأتهن صرخت ونكت ، وكنتهن ، وجعلت تضرمهن بالسوط حتى قتلتهم  
جميعاً . وأشأت تقول :

لقد نادى العرب بين لُثَى      فطار القلب من حذر الغراب  
وقال : عدّاً تباين دُر لى      وتندى بعد ود واقتراب  
فقلت : بعيت ، ويحك من عرب      أكل الدهر سعيك في نِباب  
لقد أولعت لا لقيت حسيراً      بتفريق الحب عن الحباب

وأشدني إبراهيم بن علي الطرق ، قال : أشدني علي بن إسحاق :

عرب الين ، ويحك صبح قرب      كما قد صحت ويحك بالبعداد  
تنادى بالتمرق كل يوم      فمالك بالتواصل لا تنسادي ؟  
أراي الله رشك عن قرب      تمرطه البزاة نكل وادي<sup>(١)</sup>  
كما أسحت يوم البين عني      وألقيت الحزاة في فؤادي

أخبار إبراهيم بن محمد بن يعقوب ، بهمدان ، حدثنا عبد الكبير بن محمد  
الأسى ، حدثنا بعض أصحابنا ، قال : مررت بالبصرة على باب دار ، فإذا بصوت  
غراب يُحمّد ، فدنوت من الدار فإذا صاحبة الدار ، وبين يديها حَوَار ، وهي

(١) انرط - بفتح اللام وسكون الراء - شرب الريش . والبزاة : جمع باز ،  
وهو من الطيور الكاسرة .

تأمر بحلده . قلت : أما تتفون الله في هذا العراب . فحسن لي : هذا العراب الذي قيل فيه .

ألا يا عراب البين قد طرأت بالي حاذر من أُنَى ، فهل أت واقع ؟  
قلت : يس هذا ذك العراب . قلت : والله ما رُئى نأحد البرى ، بالسقيم حتى فقّرَ تلك العراب .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت ما شا كل هذه الحكايات والأشعر على التقصى في كتاب « الوداع والفراق » فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب : إذ شرطنا فيه الإشارة إلى الشىء المحصول ، والاعتناء إلى الشىء المقول .

### ذكر الحث على زيارة الإخوان وإكرامهم

أُتينا الحسن بن سبيان ، حدثني يزيد بن صالح البشكري ، حدثنا حماد ابن سماعة ، عن ثابت عن أنس بن مالك عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن رجلا رآه أخا له في قرية ، فأرصد الله على مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا <sup>(١)</sup> فقال : أين تريد ؟ فقال : أريد أخا لي في هذه القرية ، فقال : هل له عليك من نعمه ترُسُّها ؟ قال : لا ، إلا أنى أحبه في الله ، قال : إنى رسول الله إليك ، إن الله يبارك وتعالى أحبُّك كما أحبته »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل تعاهد الزيارة للأخوان وتنفذ أحوالهم : لأن الزائر في قصده الزيارة ، يشتمل على مصادفة معينين : أحدهما : استكمال الدخر في الآجل بفعله ذلك . وقد قال بعض القدماء : إن

---

(١) أرصده : أقامه ينتظره ويتوقفه . والدرجة : المسلك الذي يدرج فيه . وترسُّها : أى تعظمها وراعيتها وترسُّها كما ربي الرجل ولده .



أرجس إذا رآه أحده في الله ، لم يبق في السماء ملك إلا حييه تحية مستغفة  
لا يحييه ملك مثله ، ولم تنق شجرة من شجر الجنة إلا ماتت صاحبها : ألا إن  
فلان بن فلان رآه أحده في الله <sup>(١)</sup>

والآخر : التلذذ بالمؤاساة بالأح المزور ، مع الانقلاب عنيتين مع .  
وقد أسأنا عمرو بن محمد الأنصاري ، حدثنا العلاءي ، حدثنا عبد الله بن رضاء  
الحدادي قال : كان عتبة العلام يأوي المقابر والصحارى ، ثم يخرج إلى السواحل  
فيقيم بها ، فإذا كان يوم الجمعة دخل البصرة فشهد الجمعة ورأى إخوانه فسلم عليهم  
حدثنا الحسن بن سعيد ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا عفان ، حدثنا  
جعفر بن سليمان ، حدثني بعض مشيختنا ، قال : عن عامر بن عبد قيس : إنما  
أحدثني أسف على البصرة لأربع حصال : نخاوت مؤذنيها ، وطهر الهواجر ، ولأن  
بها إخواني ، ولأن بها وطني .

أسأنا محمد بن المهاجر البغدلي ، حدثنا محمد بن بشر الخطاي ، حدثنا محمد بن  
سهل التميمي ، قال : سمعت الثوري يقول : جاءني وكيع بن الحراح من بيت  
القدس وهو محرم بعمرة ، فقال : يا أبا محمد لم يكن طريق عليك ، ونكس  
أحببت أن أزورك وأقيم عندك ، فأقام عندي ليلة ، وجاءني ابن المبارك ، وقد أحرم  
بعمرة من بيت المقدس <sup>(٢)</sup> فأقام عندي ثلاثاً ، فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، أقم  
عندي عشرة أيام ، قال : لا ، الصيامة ثلاثة أيام .

---

(١) هذا من علم العبد الذي لا يسعى لقول فيه إلا الله والرسول . وإلا كان قولاً  
على الله بغير علم . والله يقول ( ٧ : ٣٣ ) قل إنما حرم ربي ، فهو حش ما طهر منها وما  
ظن - إلى قوله - وأن يقولوا على الله ما لا تعلمون )

(٢) إنما موقفت الإحرام بالحج والعمرة كواقيت الصلاة ، حددها الله على رسوله =

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الناس في الزيارة على ضربين :  
فمنهم من صحح الحال بيه وبين أخيه ، وتعمى عن وجود الخلل ، وورود  
البغص فيه ؛ فإذا كان بهذا البغ ، أحببت له الإكثار من الزيارة ، والإفراط  
في الاجتماع ؛ لأن الإكثار من الزيارة بين من هذا بعت لا يورث الملامة ،  
والإفراط في الاجتماع بين من هذه صفة يزيد في المؤاساة .

والضرب الآخر : من لم يستحكم الود بينه وبين من يواخيه ، ولا إذاها الحال  
إلى ارتفاع الحشمة بينهما فيما يتذللان فنهتئهما ؛ فإذا كان بهذا لعت أحببت له  
الإقلال من الزيارة ؛ لأن الإكثار منها يسهما يؤدي إلى الملامة ، وكل مبدون  
مملول ، وكل ممنوع مبدود . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحبار كثيرة  
نصرح بنفى الإكثار من الزيارة حيث يقول « رَزَّ عَنَّا تَزُدُّ حُبًّا » إلا أنه لا يصح  
منها خبر من جهة النقل ، فتكبا عن ذكرها وإخراجها في الكذب ، وإليها  
ذهب بعض الناس حتى ذكروها في أشعارهم .

من ذلك ما أنشدني محمد بن عبد الله بن رجي البغدادي :

وقد قال النبي ، وكان بَرًّا إذا زرت الحبيب فزره عِيبًا  
وأقلل زُور من تهواه تزدد إلى من زرتَه مِقَّةً وحبا<sup>(١)</sup>  
وأنشدني محمد بن أبي علي :

إني رأيتك لي محبًا وإلى حين أغيب صَبًّا  
فعمدت لا ملامة حَدَّثْتُ ولا استحدثتُ ذبًّا

---

وبينهارسوله صلى الله عليه وسلم . وقال : ربنا سبحانه ( ٢ : ٢٢٩ ) ومن يتعد حدود  
الله فأولئك هم الظالمون ( وإعنا آتى الأولون والآخرون من قبل التساهل في مثل هذا  
التمدى متوهمين أنه مخالفة في العبادة ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم  
( ١ ) اللقمة : شدة الاشتياق .

إلا لقول سيد : زوروا على الأهم رغماً

أنشد محمد بن لمهاجر للعدل ، حدثنا خالد بن أحمد الشيباني ، حدثنا سعيد  
ابن عتبة ، حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي ، قال : سمعت الحسن بن صالح  
يقول : كل مودة لا تزدد إلا بالائتقاء مدخولة .

قال أبو حاتم رضي الله عنه ، من صحح الحل بينه وبين الإحوان لم يصره قلة  
الاحتفاء ، لاستحكام الحل بينهم ، وللوادة ، إذا أضرب بها قلة الائتقاء تكون  
مدخولة ، وأما من لم يحل في نفس صحة الحال ، ولم يستحكم أسباب الوداد ، فالتوقى  
من لا كثار في الزيارة أولى به ، لئلا يستثقل ويمل .

وأنشدني الخلال ، أنشدني أحمد بن محمد الصيداوي :

عليك بإقلال الزيارة إنها تكون إذا دامت إلى المهر مسلكا  
فوق رأيت القطر ينام دائما ويسأل بالأیدی إذا هو أمكا  
وأنشدني الكريزي :

أقلل زيارتك الخيب تكون كالثوب متجدد

إن لصديق يبعث أن لا يزال يراك عتده

وأنشدني أوس بن أحمد بن محمد بن أحمد ، لأبي تمام :

وطول مقام المرء في الحى مخيق<sup>(١)</sup> لذي حاجته<sup>(٢)</sup> ، فاغترب تنجدد

فأبى رأيت الشمس زيدت محبة إلى الخلق ذليست عديهم سرمد

أنيابا الحسن بن سعيد ، حدثنا أحمد بن زحويه ، حدثنا حسين بن الوليد ،

حدثنا عبد الله بن المؤمل عن ابن أبي مليكة قال : قال ابن عباس « أكرم الناس

على جلسي الذي يتخطى رقاب الناس حتى يجلس إلى » .

أُسَامَا مَكْحُولُ بِيْرُوت ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ هَارُونَ ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ بِشِيرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ( ٤٢ : ٢٦ ) وَيَسْتَجِيبُ الْمَدِينِ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قَالَ : يَشْفَعُونَ فِي إِخْوَانِهِمْ ( وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ) قَالَ : يَشْفَعُونَ فِي إِخْوَانِ إِخْوَانِهِمْ .

### ذكر صفة الأحق والجاهل

أَبَانَا مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ بْنِ يُوْفَلَ ، أَبَانَا أَبُو دَاوُدَ السَّنْجِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ شَيْبِلِ بْنِ عِزْزَةَ ، عَنْ أُسِّ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ مَثَلُ الْعِطَارِ ، إِنْ لَمْ يَعْطِكَ شَيْئًا يُصْنِكُ مِنْ عَطْرِهِ . وَمَثَلُ الْجَلِيسِ السَّوِّءِ مَثَلُ الْقَيْنِ ، إِنْ لَمْ يَحْرِقْ نَوْمَكَ ، أَصَابَكَ مِنْ دُخَانِهِ »<sup>(١)</sup> قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : شَيْبِلُ بْنُ عِزْزَةَ هَذَا مِنْ أَفْضَلِ أَهْلِ الْمِصْرَةِ وَقَرَأْتُهُمْ ، وَلَسَكُنْهُ لَمْ يَحْفَظْ إِسْنَادَ هَذَا الْخَبَرِ : لِأَنَّ أُسَّ بْنَ مَالِكٍ سَمِعَ هَذَا الْخَبَرَ مِنْ أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَغَضِبَ بِهِ شَيْبِلٌ وَلَمْ يَحْمِطْهُ وَالْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ تَرْكُ صَحْبَةِ الْأَحْمَقِ ، وَحَسْبُ مَعَاشِرَةِ التَّوَكِّي ، كَمَا يُحِبُّ عَلَيْهِ لَزُومُ صَحْبَةِ الْعَاقِلِ الْأَرِيبِ ، وَعَشْرَةُ الْقَطَنِ اللَّيِّبِ ، لِأَنَّ الْعَاقِلَ وَإِنْ لَمْ يُصْبِكِ الْحِظَّ مِنْ عَقْلِهِ ، أَصَابَكَ مِنَ الْإِعْتِبَارِ بِهِ . وَالْأَحْمَقُ إِنْ لَمْ يُعْدِكَ حَقَقَهُ تَدَسُّتُ بَعْشَرَتِهِ .

وَلَقَدْ أَبَانَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّنْجِيُّ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي دَاوُدَ الْبَرْسِيُّ حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ عِبَادٍ حَدَّثَنَا شَهَابُ بْنُ حَرْشٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ يَسِيرِ بْنِ عَمْرٍو — وَكَانَ قَدْ أَدْرَكَ الصَّحَابَةَ — قَالَ : أَهْجَرَ الْأَحْمَقُ ، فَلَيْسَ لِلْأَحْمَقِ حَيْرٌ مِنْ هَجْرَانِهِ .

(١) وَقَعَ هَذَا فِي الطُّبُوعِ السَّاقِطَةِ أَرْبَعِ صَحَافٍ لَيْسَ مِنْ هَذِهِ أَنْبَاءُ فِي تَبَيُّنِ

أنشد محمد بن المهاجر المعدل حدثنا محمد بن أبي يعقوب الراسي حدثنا أحمد  
ابن إسحاق الخشاب عن الأصمعي عن سلمة بن بلال قال : كان فتي يعجب علياً  
ابن أبي طالب ، فرآه يوماً وهو يمشي رحلاً متهماً ، فقال له :

لا تصحب أحداً من إيتاك وياه  
فكم من جاهل أردى حليماً حين آياه  
يقاس المرء بالمرء إذا ما هو ماشاه  
وللشيء من الشيء مفيس وأشياه  
والقلب على القلب دليل حين يلقاه<sup>(١)</sup>

وأشددني عبد العزيز بن سليمان لأرشد :

احتر ذوى التميز واستبقهم وجانب النوكى وأهل الريب  
فصحة للعاقل رين الفقى وصحة الأنوك أحد السبب  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : من علامات الحق اتى بحج للعاقل تفقدها  
ممن حفى عليه أمره : سرعة اجواب ، وترك التثبت ، والإفراط فى الضحك ،  
وكثرة الالتفت ، والوقعة فى الأحيار ، والاحتلاط بالأشرار .  
والأحق إذا أعرضت عنه اغتم ، وإن أقبلت عليه اغتر ، وإن خلعت عنه  
جهل عليك ، وإن جهلت عليه حلم عنك ، وإن أسأت إليه أحسن إليك ، وإن  
أحسنت إليه أساء إليك ، وإذا ظلمته انتصفت منه ، وبظلمك إذا أنصفت .

وما أشبه عشرة الحق إلا بما أشددنى محمد بن إسحاق الواسطى :

(١) فى نسبة ذلك الشعر إلى على رضى الله عنه نظر ، فلقد نحل كثيراً من  
الشعر والنثر ، بل ألقى به كثير مما فى كتاب نهج البلاغة ، وصفة البلاغة المحدثه ،  
وعقيدة الاعتزال صارخة منه بأن أكثر الكتاب من صنع الشريف الرضى أو آخر  
من شكله .

لى صديق يرى حقوقى عليه      نافلات وحقه كان فرضا  
و قطعت الحمال طولا إليه      ثم من بعد طولها سرت عرضا  
لأى ما صنعت غير كبير      واشتبهى أن أرى الأرض أرضا

حدثنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا إبراهيم بن الحنيد قال : قال لى أبو طاهر  
ابن السرح قال : حدثنى حالى أبو رحاء عبد الرحمن بن عبد الحميد عن سعيد بن  
أبي أيوب قال : لا تصاحب صاحب سوء ، فإنه قطعة من النار ، لا يستقيم وده  
ولا ينى بهمه .

وأنشدنى المنصور بن بلال الأنصارى :

لن يسمع الأحق من واعظ      فى رعه الصوت وى همسه  
لن تبلغ الأعداء من جاهل      ما يبلغ الجاهل من نفسه  
والحق ٤٥ ، ماله حيلة      ترجى ، كبعد النعم فى لسه

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أظلم الظلمات الحق ، كما أن أظلم البصائر  
الاسقل ، فإذا امتحن المرء بشرة الأحق كان الواجب عليه لزوم لأخلاق نفسه ،  
والمدينة لأخلاقه ، مع الإكثار من الحمد لله على ما وهب له من الانقياء ما حرم  
غيره التوفيق له ، فإن جرى الأحق فى صحبتته مبداه فى عشرته فالواجب على  
العامل لزوم السكوت حينئذ فى أوقاته ، لأن أبا حمزة محمد بن عمر بن يوسف  
أبانا بنسأ حدثنا نصر بن على الجهضمى حدثنا ابن داود قال : سمعت الأعشى  
يقول : السكوت للأحق جواب .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : وإن من الحق من لا يصدّه عن سلوكه  
السكوت عنه ، ولا يدهمه عن دخول المكائن الأعضاء عنه ولا ينفعه .  
فالعامل إذا امتحن بشرة من هذا نفعه تكلف بمص التجاهل فى الأحايين

لأن معص الحلم إزعاج ، كما أن استعماله في بعض الحالات قطب العنق .  
ولقد أشدني محمد ابن إسحاق الواسطي :

لئن كنت محتاجا إلى احم إني إلى الجهل في معص الأخيين أحوج  
ولي فرس للعلم بالحلم ملجأ ولي فرس للجهل بالجهل مسرج  
من شاء تقوي غاي مقوم ومن شاء تمويح في معوج  
وما كنت أرضى الجهل حده ولا أخا ولكي أرضي به حين أخرج  
فإن قال بعض الناس : فيه سماحة ، فقد صدقوا ، والذل بالحر أسهج  
وأشدني علي بن محمد البسامي :

إن ترضي الرذل إلا حين تسخطه وليس يسخط إلا حين ترصده  
ولا بسوءك إلا حين تكرمه ولا يترك إلا حين تقصيه  
حدثنا أبو يعلى حدثنا سريح بن يونس حدثنا أبو سفيان الميمري عن سفيان  
الثوري قال : ابن آدم لم يخلق إلا أحمق . ولولا ذلك لم يضعه عبثه .

حدثنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا عصام بن الفضل الرازي حدثنا الزبير بن  
سكار عن محمد بن حرب قال : قال عبد الله بن حسن لانه : يا بني احذر الجاهل ،  
وإن كان لك نصحا ، كما تحذر العاقل إذا كان لك عدوا ؛ فيوشك الجاهل أن  
يورطك بمشورته في بعض اغترارك ، فيسبق إليك مكر العاقل .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : ومن شيم الأحمق السجلة ، والخفة ، والمجز ،  
والفجور ، والجهل ، والفت ، والوهن ، والمهانة ، والنعرض ، والتحاسد ، والظلم ،  
والخيانة ، والغفلة ، والسهو ، والغنى ، والفحش ، والفخر ، والخيلاء ، والعدوان ،  
والبغضاء .

وإن من أعظم أمارات الحق في الأحمق لانه ؛ فإنه يكون قلبه في طرف  
لسانه ، ، ما خطر على قلبه نطق به لسانه .

والأحق يتكلم في ساعة بكلام يعجز عنه سحان وائل ، ويتكلم في الساعة  
الأخرى بكلام لا يعجز عنه ماقل .

والماقل يجب عليه مجابة مَنْ هُذِّبَتْهُ ، ومخاطبة مَنْ هُذِّبَتْهُ صَفَتُهُ ، وفيهم  
يخترُونَ هي من عشرهم . ألا ترى الزُّطَّ (١) ليسوا هم مانع الناس ، ولكمهم  
يخترُونَ على الأسد لكثرة ما يروونها .

وأشدى محمد بن يوسف بن أيوب الأرمني :

وَأَكْبَرُ يَعَادِي عَاقِلًا حَيْرُهُ مَنْ أَنْ يَكُونَ هـ صَدِيقُ أَحَقِّ  
فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَصَادِقَ أَحَقًّا إِنْ الصَّدِيقُ عَلَى الصَّدِيقِ مَصْدَقٌ

وأشدى منصور بن محمد الكريزي أشدى أبي صالح بن عبد القدوس :

أَحَدُ الْأَحْقِ أَنْ تَصَحَّبَهُ إِمَّا الْأَحْقُ كَالثَوْبِ الْخَلْقُ

كَلِمًا رَقَعَهُ مِنْ جَانِبٍ حَرَكَةُ الرِّيحِ وَهَنًا فَانْحَرَقَ

أَوْ كَصَدْعٍ فِي رُحَاجٍ فَاحْشٍ هَلْ تَرَى صَدْعَ رَجَاجٍ يَلْتَصِقُ ؟

كَعَجْرِ السَّوْدِ ، إِنْ أَقْضَمْتَهُ (٢) رَمَحَ النَّاسَ ، وَإِنْ حَاجَ نَهَقَ

وَإِذَا جَالَسَتْهُ فِي مَحْسٍ أَفْسَدَ لِلْجُلُوسِ مَعَهُ بِأَجْرُقِ

وَإِذَا مَهَيْتَهُ كَيْ يَرْغَوِي زَادَ شَرًّا ، وَتَمَادَى فِي الْحَقِّ

عَجِبَ لِلنَّاسِ فِي أَرْزَاقِهِمْ ذَلِكَ عَطْشَانٌ ، وَهَذَا قَدْ غَرِقَ

أَنْبِيَا يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ الْقَاضِي ، حَدَّثَنَا أَبُو هَالِي عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَنَعَمِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ وَهْبِ بْنِ مَتْنَةَ قَالَ : الْأَحْقُ كَالثَوْبِ الْخَلْقُ ، إِنْ

رَفَاتَهُ مِنْ حَاجِبٍ انْحَرَقَ مِنْ حَاجِبٍ آخَرَ ، مِثْلُ الْفَخَّارِ الْمَكْسُورِ ، لَا يَرْقَعُ وَلَا

يُشْمَبُ ، وَلَا يَعَادُ عَلَيْنَا .

(١) الزُّط : جنس من السودان والهمود طوال الأحسام مع عناية .

(٢) أَقْضَمْتَهُ : علفته القمام - بضم القاف وتشديد الضاد - وهو نبت من الخضر



فهذا من الأحق : إن صحبته عاك ، وإن اعثرته شتمك ، وإن أعطاك من عيبك ، وإن أعطيه كفرك ، وإن أسرَّ إليك أنهمك ، وإن أسرت إليه حالك ، وإن كان فوقك حقرك ، وإن كان دونك غمرك .

وأشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

اعلم بأن من الرجال هبة في صورة الرجل السميع المبصر  
هطت نكل مصيبة في ماله وإذا يصاب بدينه لم يشعر

وأشدنى محمد بن عبد الله البغدادي :

وإن عاء أن تفهم جاهلا فيحسب جهلا أنه منك أعلم  
وتشخص أنصار الرعاع نعبا إليه ، وقالوا : إنه منك أفهم  
(١) قال أبو حاتم رضي الله عنه : الأحق يتوهم أنه أعدل من ركب فيه الروح ،  
وأن الحق قسيم على العالم غيره ، والأحق مبعوض في الناس ، مجهول في الدنيا ،  
غير مرضى العمل ، ولا محمود الأمر عند الله وعند الصالحين ، كما أن العاقل  
عجب إلى الناس ، مسود في الدنيا ، مرضى العمل عند الله في الآخرة ، وعند  
الصالحين في الدنيا .

أبانا محمد بن المنذر بن سعيد ، حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندی ،  
حدثنا عبد الله بن سيمان ، قال : كان الحسن يقول : أنا للعاقل المدبر أرجى  
منى للأحق المقبل .

وأشدنى المتصر بن بلال الأنصاري :

وما النى إلا أن تصاحب غاويا وما الرش إلا أن تصاحب من رشدا  
ولن يصحب الإنسان إلا نظيره وإن لم يكونا من قبيل ولا بلد

(١) من ها يتدى الكلام الذى نهى على أنه وسع في من ١٢٤ في الطبوعة  
السابقة خطأ .

وأشددى على بن محمد البسامي :  
لنا جليس تارك للأدب جلسه من نوكة في تعب  
ينضب جهلا عند حال الرضا عمداً ، ويرضى عند حال الغضب  
فحن منه كلما جاءنا في عجب قد جاز حد العجب  
كله من سوء تذييه استيم في كتاب سوء الأدب  
أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا محمد بن أبي يعقوب الربي ، حدثنا عبد الله  
ابن موسى المصري ، حدثنا العتيبي ، قال : سمعت أعرابياً يقول : العاقل نخشونه  
العيش مع العلاء أسر منه بلين العيش مع السفهاء .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : وإن من شيم العاقل : الحلم ، والصمت ، والوقار ،  
والسكينة ، والوفاء ، والبذل ، والحسكة ، والعلم ، والورع ، والعدل ، والقوة ، والحزم ،  
والسكينة ، والتميز ، والسمت ، والتواضع ، والنفوس ، والإعطاء ، والتعفف ،  
والإحسان ، فإذا وفق المرء لصحبة العاقل فليشد يديه به ولا يرادله على الأحوال كلها  
والواجب على العاقل أن لا يصحب بحيلة من لا يستفيد منه خيراً .

وتقد أنبأنا محمد بن محمود بن عدي السوي ، حدثنا علي بن سعيد بن جري ،  
قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : أخبرني عن مالك بن دينار أنه قال : مررت  
براهب لي صومعته فماديت ، فأشرف علي ، فكلسني وكلته ، فقال لي فيما يقول :  
إذا استعصت أن تحمل فيما بينك وبين الدنيا حاطلاً فاهل<sup>(١)</sup> ، وإليك وكل  
جليس لا تستفيد منه خيراً فلا تحالسه ، قريباً كان أو بعيداً .

(١) وهذا بظاهره طلب المستعبد ، وهو من أحق الحق وأسفه السفه ، ولا يكون  
من الرهبان إلا ذلك ؛ فإنهم ابتدعوا عكس ما كتبه الله ، فقد كتب الله وقدر بحكمته  
البالغة هذه الحياة الدنيا ، وجعلها للآسان الطريق إلى الآخرة ، وذلك من إحسان  
الله بلا ريب ، وأمرنا أن نحسن الانتفاع بها مؤمنين بأن الله الحكيم ما خلقها ولا

## ذكر الزجر عن التجسس وسوء الظن

حدث محمد بن أحمد ارقام بقستر ، حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى ، حدثنا أبو داود ، حدثنا سليمان بن حيان عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسوا ، ولا تحسوا ، ولا تاعصوا ، وكونوا عباد الله إخوانا »

حدثنا محمد بن عثمان العقي ، حدثنا جعفر بن محمد بن الحجاج الرقي ، حدثنا محمد بن حاتم الجرجاني ، حدثنا محمد بن المبارك ، عن يونس بن نايف ، عن كثير بن زياد ، قال : سمعت الحسن يقول : لا تسأل عن عمل أخيك الحسن والسي ، فإنه من التجسس .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لروم السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس ، مع الاشتغال باصلاح عيوب نفسه ؛ فإن من اشتغل بعيوبه

---

== خلق شيئا في السموات والأرض لطلا ، بل كاه حق ، فقدر لرب ذلك وضع كل شيء في موضعه ؛ فقد قال سبحانه ( ١٠ . ٢٦ ) الذين أحسوا الحسنى وزياده ) واقد عمى أولئك الرهبان ومقدوم كل العمى فذهبوا متحيطين في مهامه العمى واعداد ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، زعموا أنهم يقدرون أن يقهروا سنن الله ويقلبوها فقهروهم وعبيتهم ، والله ( ٦ : ١٨ ) هو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير فكان منهم أفسق العقى ، وشر العصيان ؛ ومن صل رهبان النصارى لتبديل شريعة عيسى عليه السلام وتحريمها ، لما قال رهبان المسلمين صلوا وراءهم صلا لا عيدا ؛ وهذا كتاب الله محكم آياته ، واضحة شرائعه ، بيضاء محمته ، قائمة سواء ومطله ، وهذا هدى رسول الله مصون محفوظ ، كأنه قائم بين الناس يحدتهم ويدعوهم إلى الهدى وإلى صراط الله المستقيم ؛ ولكن هو إبليس اعوى ، والتفديد الردى ، والتلو الفساد والهو المتك ، ولو شاء ربك مافعوه ، فذرهم وما يفترون ، وعليك بهدى رسول الله فهو خير هدى .

عن عيوب غيره أراح بدنه ، ولم يتعب نفسه ، فكما اطعم على عيب نفسه هان عليه ما يرى مثله من أخيه ، وإن من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عى قلبه وتعب بدنه ، ونسذر عليه ترك عيوب نفسه ، وإن من أعجز الناس من عاب الناس بما فيهم ، وأعجزُ منه من عابهم بما فيه ، ومن عاب الناس عابوه ، وقد أحسن الله يقول :

إذا أنت عمت الناس عابوا وأكثروا عيبك ، وأندوا منك ما كان يُستَر  
وقد قال في بعض الأقاويل قائل له منطلق فيه كلام مُحَبَّر  
إذا ما ذكرت الناس فأترك عيوبهم فلا عيب إلا دون ما منك يُذكر  
فإن عبت قوما بالذي يس فيهم فذلك عند الله والناس أكبر  
وإن عبت قوما بالذي هيك مثله فكيف يعيب المور من هو أعور ؟  
وكيف يعيب الناس من عيب نفسه أشد إذا عد العيوب وأسكر ؟  
متى تلتبس للناس عيبا تجد لهم عيوباً ، ولكن الذي فيك أكثر  
فسألهم بالكف عنهم ، فيهم بعيبك من عيبك أهدى وأبصر

حدثنا محمد بن سعيد القزاري ، حدثنا هارون بن صدقة القاضي ، حدثنا سعيد ابن مسلة الإيادي ، قال : ادعت امرأة على رجل حمارا لها ، فقدمته إلى القاضي ، فسأها اليتمة ، فأحصرت أبا دلامة ورجلا آخر ، فقال له القاضي : أما شاهدك هذا فقد قبلنا شهادته ، فأنت شاهد آخر ، فأنت أبا دلامة فأخبرته ، فصار إلى القاضي ، وأشأ يقول :

إن الناس غطوى تغطيتُ عنهم وإن محنوا عني فبيهم مباحث  
وإن حفروا بئر حفرت بئارهم ليعم يوما كيف تلك الثبائث ؟<sup>(١)</sup>  
فقال القاضي للمرأة : كم ثمن حمارك ؟ قالت : ثلاثمائة ، قال : قد احتملناه

(١) نبث التراب ونبشه : حفره يده وأثلمه .

لك من مالى ، وأشدى الكرى :

أرى كل إنسان يرى عيب غيره ويعنى عن العيب الذى هو فيه  
وما خير من تحفى عليه عيوبه ويبدوله العيب الذى لأحبه

حدثنا محمد بن المنذر ، حدثنا الليث بن عتبة للصرى ، حدثنا الحسن بن  
واقع ، حدثنا صمرة عن الشيباني ، قال : فى الكتب مكتوب : كما تدين تدان ،  
والكأس الذى تسقى به تشرب ، وزيادة : لأن البادى لاند له من أن يزداد .  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : التجسس من شعب النفاق ، كما أن حسن الظن  
من شعب الإيمان ، والعاقل يحسن الظن بإخوانه ، وينرد بمومه وأحزانه ، كما  
أن الماهر يسيء الظن بإخوانه ، ولا يفكر فى جنائياته وأشجائه .

ولقد أحسن الذى يقول :

ما يستريح المسىء ظنا من طول عم ، وما يُريحُ  
وقل وجه يصيق إلا ودونه مذهب فسيح  
من حَقَّقَ الله عنه هبت من كل وجه ليه ربح  
والجسم حيث استقر هاد والروح جَوَّالَة تسبح  
كم تدنح الأرض من بينها كل بنيتها لها ديبح  
لن يهلك المرء من سماح وقلما يُفتح الشَّحيح

قال أبو حاتم رضى الله عنه : سوء الظن على ضربين :

أحدهما : منهى عنه بحكم النبى صلى الله عليه وسلم .

والضرب الآخر : مستحب .

فأما الذى نهى عنه فهو استعمال سوء الظن بالمسلمين كافة ، على ما تقدم

ذكرناه .

وأما الذي يستحب من سوء الظن فهو كمن ينفه ويصه عداوة أو شحناء  
في دين أو دنيا، يخاف على نفسه مكره؛ لخيئذ يلزمه سوء الظن بمكائده  
ومكره؛ لئلا يصادفه على غرة بمكره فيهلكه .

وفي ذلك أشدنى الأبرش :

وحسن الظن يحسن في أمور ويمكن في عواقبه بدامة  
وسوء الظن يسُج في وجوه وفيه على سماخته حرامة

وأشدنى محمد بن إسحاق الواسطي :

ما ينبغي لأخي ودِّ وتجربة أن يترك الدهر سوء الظن بالناس  
حتى يكون قريباً في تباعده عناً، ويدفع ضرَّ الحرص بالياس  
حدثنا محمد بن المنذر، حدثنا إبراهيم بن هانيء، حدثنا ابن أبي مريم، حدثنا<sup>(١)</sup>  
أبنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم عن  
عمر بن سعد عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : مكتوب في التوراة « من  
تَجَرَّ<sup>(٢)</sup> فَجَرَّ ، ومن حفر حفرة سوء لصاحبه وقع فيها » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل مباينة العام في الأخلاق  
والأفعال ، بلزوم ترك التجسس عن عيوب الناس ؛ لأن من بحث عن مكنون  
غيره بحث عن مكنون نفسه ، وربما طمَّ مكنونه على ما بحث من مكنون غيره ،  
وكيف يستحسن مسلم ثلب مسلم بالشئ الذي هو فيه ؟

وأشدنى المنتصر بن بلال الأنصاري :

لا تلتص من مساوي الناس ماستروا فيهِتِكَ الناس سترأ من مساويكا

(١) كذا بالأصليين ، وإلى ها ينهى الكلام الذي بهنا في ص ١٢٤ على أنه  
وضع خطأ هناك في المطبوعة السابقة .

(٢) أي صار تاجراً ؛ واتخذ التجارة صناعته .

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تبت أحداً عياً بما فيك  
وأشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

إذا ما انتفت الأمر من حيث يُتَّقَى وأبصرت ما تأتي ، فنت لبيب  
ولا تلك كالنهي عن الدب غيره وفي كفه مم يذم نصيب  
يعيب فقال السوء من فعل غيره ويفعل أعمال الدين يعيب  
حدثنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا محمد بن موسى السمرى حدثنا حماد بن  
إسحاق بن إبراهيم عن أبيه ، قال : وحدثني عزيز عن الزبير بن موسى الخروصي  
قال : قالت أمة عبد الله بن مطيع الأسود ، وهي زوجة طلحة بن عبد الله بن  
عوف لزوجها : ما رأيت أحداً قط ألام من أصحابك ، قال : مه ، لا نقول ذلك  
فيهم ، وما رأيت من يؤمهم ؟ قالت : أمراً والله بيننا ، قال : وما هو ؟ قالت :  
إذا أسرت لزموك ، وإذا أعسرت جانبوك ، قال : ما زدت على أن وصفتهم  
بمكارم الأخلاق ، قالت : وما هذا من مكارم الأخلاق ؟ قال : يأتوننا في حال  
القوة ما عليهم ، ويفارقوننا في حال الضعف ما عليهم .

### ذكر الحث على محاربة الحرص للعاقل

حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة - رحمه الله ! - حدثنا بشر بن معاذ  
القفدي<sup>(١)</sup> حدثنا أبو عروبة عن قتادة عن أس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم  
« يهرم ابن آدم وتشب منه اثنان : الحرص ، والحسد » .  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : ركب الله جل وعز في البشر الحرص والرغبة  
في الدنيا القابية ، لئلا تحرب ، إذ هي دار الأبرار ، ومكسب الأتقياء ، وموضع  
زاد المؤمنين ، واستجلاب الميرة للصالحين ، ولو نمرى الناس عن الحرص فيها

(١) في نسخة « القفي » .

بطلت وخربت ، فلم يجد المرء ما يستعين به على أداء فرائض الله ، فضلا عن  
اكتساب ما يجتدي عليه النفع في الآخرة نفلا ، والإفراط في الحرص مدموم ، كما  
أشدى على بن محمد السامى :

ليس عدى إلا الرصد بقضاء الله فيما أحسنه أو كرهته  
لو إلى الأمور ، أخضر منها خبيرا في عواقبها وعرفته  
ولو أنى حرصت تهدي أن أدفع أمرا مقدرا ما دفنته  
مأرى أن أرد ذلك إلى من عده علم كل ما قد جهته  
وأشدى محمد بن نصر المدينى :

يا كثير الحرص مشغو لا بدنيا ليس تبقى  
ما رأيت احرص أدنى من حريص قط ررقا  
لا ، ولكن في قضاء الله : أن يعيا وبشقي  
تترف الحق ، ولكن لا ترى للحق حقا  
أنبأنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسى حدثنا محمد بن الوليد بن أبان حدثنا  
نعم بن حماد عن ابن المبارك قال : سخاء الناس عما في أيدي الناس أكثر من سخاء  
البذل ، ومروءة القناعة أكثر من مروءة الإعطاء .

أشدنا أبو يعلى قل : أشدونا منذ دهر الشقى :  
قدر الله واقع حيث يقصى وروده  
قد مضى فيك حكمه وانقضى ما يُريده  
وأحو الحرص حرصه ليس مما يزيد  
فأرد ما يكون إذ لم يصكن ما تريده  
أنبأنا عبد الله بن عمرو حدثنا يعقوب الدورقي حدثنا ابن علية عن أيوب  
عن ابن سيرين قال : إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون .



قال أبو حاتم رضى الله عنه : أعنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيراً ،  
وأفهد الفقراء من كان الحرص عليه أميراً : لأن الحرص سب لإحصاء الموجود عن  
مواضعه ، والحرص محرمة ، كما أن الحزن مقتلة ، ولو لم يكن في الحرص خصلة  
تدم إلا طول المناقشة بالحساب في القيامة على ما جمع لكان أوجب على العاقل  
ترك الإطراط في الحرص .

وقد كان بعض أصحابنا كثيراً ما يشد :

تحارب الحرص ، ودع عنك الحسد      فسيهما اللئيم وتعب الحسد  
وأشدنى الكريزى :

وأزقي طول التسكر نى      عجت لدهر ما تقضى عجائبه  
فكم عاجز يدعى جليداً لعشمه      ولو كلف التقوى لكتلت مصره  
وعسى يسى عاجزاً لعفافه      ولولا التقى ما أعجزته مداه  
فليس بحرص المرء أدركه العنى      ولا باحتيال أدرك المال كانه  
وسكه قصير لإله وسطه      فلا ذا يحريه ولا ذا يعامه

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحرص غير زائد في الرزق ، وأهون ما يعاقب  
الحريص بحرصه أن يمنع الاستمتاع بما عنده من محصوله ، فيتعب في طلب  
ما لا يدرى أيلحقه أم يحول الموت بينه وبينه ؟ ولولزم الحريص ترك الإطراط فيه  
واتكل على خالق السماء لأتحفه المولى جل وعز ، إدراك ما لا يسى فيه ، والظفر  
بما لو سعى فيه وهو حريص عسى لتعذر عليه وجوده .

وأشدنى على بن محمد النسابى :

ألا ربَّ مانع حاجة لا يسألها      وآخر قد تقضى له وهو آيس  
يحاولها هد ، وتقضى لغيره      وتأتى الذى تقضى له وهو جالس

وأشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :  
 وكم من أكلة منعت أحاهم بلذّة ساعة أكالاتٍ دهر  
 وكم من طالب يسعى لشيءٍ وفيه هلاكٌ لو كان يدري  
 قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحرص علامة الفقر ، كما أن البخل جلباب  
 المسكنة ، والبخل لقاحُ الحرص ، كما أن الحميّة لقح الجهل ، والمنع أحو الحرص ،  
 كما أن الأفة توأم السفة . وأشدنى عمر بن محمد قال : أشدنى الغلاى :  
 لا تزيننّ نذالة لمناله فليأتبك رزقك المقدور  
 واعلم بأنك آخذ كل الذي لك في الكتاب محبّ مسطور  
 والله ما راد امرأ في رقه حرصٌ ، ولا أزرى به التقصير

وأشدنى محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :  
 وأرض من العيش في الدنيا بأيسره ولا ترومنّ ما إن رُمته صعباً  
 إنَّ الغني هو الراضى بعيشته لا من يطل على ما قاب مكتئباً  
 أنبأنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا عبد الله بن يحيى بن حميد الطويل حدثنا  
 أبو عبد الرحمن العتيبي حدثني أبي قال : اختصمت بنو إسرائيل في القدر ، خمسمائة  
 عام ، ثم تحاكموا إلى عالم من علمائهم ، فقالوا له : أخبرنا عن القدر ، وقصر و بين  
 لتفهمه عنك العوام ، فقال : حرمان عاقل ، وحظ جاهل .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لاحظ في الراحة لمن أطاع الحرص ؛ إذ الحرص  
 سائق البلاء ، فالواحب على العاقل أن لا يكون بالمفرط في الحرص في الدنيا ؛  
 فيكون مذموماً في الدارين ، بل يكون قصده لإقامة فرائض الله ، ويكون لبنيته  
 نهاية يرجع إليها ؛ لأن من لم يكن لقصده [ منها ] نهاية آذى نفسه وأتعب بدنه .  
 فمن كان بهذا التمت فهو من الحرص الذي يحمده .

وأشدنى للتصبر بن بلال الأنصاري :

الحِرص عَوْناً لِلزَّمَانِ عَلَى الْفَتَى وَالصَّبْرُ مَعَهُ الْقِرْنُ لِلأَرْمَانِ  
لَا تَحْصَنُ فَإِنْ دَهْرَكَ إِنْ رَأَى مِنْكَ انْخِصَوعَ أَمَدُهُ بِهِوَ  
وَإِذَا رَأَاكَ وَقَدْ قَصَدَتْ صِرْفَهُ بِالصَّبْرِ ، لَأَقِي الصَّبْرَ بِالْإِذْعَانِ  
وَأَشَدُّ مِنْصُورٍ مِنْ مُحَمَّدٍ الْكَرِيمِ ، حَدَّثَنِي شُعَيْبُ بْنُ أَحْمَدَ لَأَقِي الْعَتَاهِيَةَ :  
لَا تَحْصَنُ لِلْخَلْقِ عَلَى طَمَعٍ فَإِنْ ذَاكَ مُصِرٌّ مِنْكَ بِالْإِدْنِ  
وَأَشَدُّ الْكَرِيمِ أَيْضاً ، أَشَدُّ شُعَيْبُ بْنُ أَحْمَدَ لَأَقِي الْعَتَاهِيَةَ :  
قَدْ شَابَ رَأْسِي ، وَرَأْسُ الْحِرْصِ لَمْ يَشِبْ  
بِإِنْ الْحَرِيسِ عَلَى الدُّبَابِ لَوْ تَعَبَ  
مَالِي أَرَأَيْتَ إِذَا حَاوَلْتُ مَسِيرَهُ  
فَنَلَمْتَهَا طَمَعَتْ نَفْسِي إِلَى رَتَبِ  
لَوْ كَانَ يَنْفَعُنِي عَلَى وَتَجَرِبَتِي  
لَمْ أَشَفْ غِيظِي مِنَ الدُّنْيَا وَلَا كَلْبِي  
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَدْ ذَكَرْتُ مَا شَأْنُ كُلِّ هَذِهِ الْحَسَكَايَاتِ بَعْدَهَا  
كَتَبَ « التَّقَى لِلَّهِ » مَا أَرْجُو أَنْ يَكُونَ فِيهِ غَنِيَّةٌ لِمَنْ أَرَادَ الْوُقُوفَ عَلَى  
قَتْمِهَا ، فَأَعْنِي ذَلِكَ عَنْ تَكَرُّرِهَا فِي هَذَا الْكِتَابِ .

ذكر الزُّجَرِ عن التحاسد والبغضاء

أبنا محمد بن الحسين بن مكرم الرازي بالبصرة ، حدثنا عمرو بن علي القفلاس ،  
حدثنا أبو عاصم عن ابن جريج ، حدثني عطاء أبيه سمع أنا هريرة يقول : قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تشاعضوا ولا تحاسدوا ولا تذايروا وكونوا عباد  
الله خوافا » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل محاربة الجسد على الأحوال

كلها : فإن أهون حصال الحسد هو تروث الرضا بالقضاء ، وإرادة ضد ما حكم الله جل وعلا لعباده ، ثم انطواء الصبر على إرادة زوال النعم عن المسلم ، والحسد لا شهدا روحه ولا يستريح بدمه إلا بعد رؤية زوال النعمة عن أخيه ، وهيئات أن يساعد القضاء ما للحساد في الأحشاء .

وأشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

أعذر حودك فيما قد خصصت به      إن العلي حسن في مثله الحسد  
إن يحسدوني فاني لا ألومهم      قبل من الناس أهل الفصل قد حسدوا  
قدام لي ولهم ما لي وما بهم      ومات أكثرنا غيظاً عما يجد  
أنا الذي وجدوني في صدورهم      لا أرتقي صدراً منهم ولا أريد  
أبنا أبو خليفة ، حدثنا ابن كثير ، أبنا سفيان الثوري عن أبي إسحاق ،  
عن عمرو بن ميمون ، قال : رأى موسى رجلاً عند العرش فضطه بمكانه ، سأله  
عنه ، فقال : ألا أحبك معه ؟ كان لا يحسد الناس علي ما آتاهم الله من فضله ،  
ولا يمتق والديه ، قال : وكيف يمتق والديه ؟ قال : يستسب لها حتى يسأ ، ولا  
يمشي بالنميمة .

أشدني ابن بلال الأنصاري :

عين الحسود عليك الدهر حارسة      تبدى مساويك والإحسان يخفيها  
فاحذر حراسنها ، واحذر تكشفها      وكن على قدر ما توليك توليها  
أنا عبد الرحمن بن زياد السكتاني ، بالأبابة ، حدثنا أبو يحيى الصريري ، حدثنا  
موسى بن داود ، حدثنا ابن لهيعة عن كعب بن علقمة قال : قال عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه « ما من أحد عنده نعمة إلا وجدت له حاسداً ، ولو كان المرء أقوم  
من القِدْح لوجدت له عامراً ، وما ضرت كلمة لم يكن لها حواطب »

وأشدنى على س محمد البسى<sup>(١)</sup> :

حسدوا العبي إذ لم يتدوا سمية قالقوم أدد له وخصوم<sup>(٢)</sup>  
كهرائر احشاء قلن لوحها حسداً وبضياً : إنه لدميم  
وترى اللبس محسداً لم يجتب شتم الرجال ، وعراضه مشوم

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا أحمد بن إبراهيم بن حرب ، حدثنا  
غسان بن المعصل ، أخبرني محمد بن يزيد عن يونس بن عبيد ، قال : قال ابن  
سيرين : ما حسدت أحداً على شيء من الدنيا : لأنه إن كان من أهل الجنة  
فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو يصير إلى الجنة ؟ وإن كان من أهل  
النار فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو يصير إلى النار ؟

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الحسد من أخلاق اللئام ، وتركه من أفعال  
الكرام ، ولكل حريق مطلق ، ونار الحسد لانطقاً .

ومن الحسد يتولد الحقد ، والحقد أصل الشر ، ومن أصمر الشرى فيه ،  
أثبت له ناساً مراً مذاقه ، نماؤه النقيظ ، وتمرته الندم .

والحسد هو اسم يقع على إرادة زوال لعم عن غيره ، وحوطاً فيه . فأما من  
رأى الخيرى أخيه ، وتمنى التوفيق لئله ، أو الظفر بحاله ، وهو غير مرید لروال  
مافيه أخوه : فليس هذا بالحسد الذى ذم ونهى عنه .

ولا يكاد يوجد الحسد إلا لمن عظمتمت نعمة الله عليه ، فكما أنحفه الله بزداد  
النعم ، ازداد الحاسدون له بالمكره ولقم .

وقد كان داود بن علي — رحمه الله عليه ! — يشد كثيراً :

(١) ثانی هذه الآيات ينسب لابن الرومی .

(٢) المصوط « قالقوم أعداء له وخصوم » .

بن ثبات وحسدى ذور عدد إذا للعارج ، لا تنقص لهم عدا  
 إن عسوفى على ما كان من حس فثل حقيقى فيهم جرّلى حدا  
 حدثا عمرو بن محمد ، حدثنا القلابى ، حدثنا مهدي بن سابق ، أخبرنا هباد  
 ابن عبدالمهي قال : قال أبو جعفر المنصور لسفيان بن معاوية : ما أسرع الناس  
 إلى قدمك للدية فقال : يا أمير المؤمنين :

إن العرايين تلقاه تحسدة وإن ترى للثام الناس حسادا  
 وأشدى الكريزي ، أشدنى محمد بن الحسين النعمى :  
 حسدو نعمة لنا طهرت فرسوما بأبطليل الكلم  
 وإذا ما الله أبدى نعمة لم يضرها قول حساد النعم  
 سمعت أحمد بن محمد بن الأزهر يقول : سمعت أحمد بن سعيد الدارمي يقول :  
 سمعت أبا إسحاق الطالقاني يقول : كنا نتعلم في الكتّاب - كما تعلم أبو حاد<sup>(١)</sup>  
 جهل بساوري ، رغل مروزي ، وحسد هروي ، وطرم<sup>(٢)</sup> بلخى  
 أساء محمد بن عثمان العقبى ، حدثنا عمران بن موسى بن أيوب ، حدثني أبي  
 عن محمد بن الحسين ، عن هشام ، عن ابن سيرين قال : ما حدثت أحداً على  
 دين ولا دنيا .

قال أبو حاتم رمى الله عنه : لا يوجد من الحسود أمان آخر من البعد منه ؛  
 لأنه ما دام مشرفاً على ما خصصت به دونه لم يزد ذلك إلا وحشة وسوء ظن بالله ،  
 ونماء للحسد فيه

فالمقل يكون على إيمانه الحسد بما قدر عليه أحرص منه على تربيته ، ولا يجد  
 لإيمانه دواء أففع من البعاد ، فإن الحاسد ليس يحسدك على عيب فيك ، ولا على

(١) أبرد جلد ، أو أجاد . حروف هجاء .

(٢) النظر من . تطرم وهو الإكيات في كلام

خيانة ظهرت منك ، ولكن بحديثك عما ركب فيه من صد الرحمة بالقضاء ، كما  
قال المتبي :

أفكر ما ذنبى إليك ، فلا أرى نفسي حرماً ، غير أنك حاسدٌ  
وأنتدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

ليس للحاسد إلا ما حسد به البغضاء من كل أحد

وأرى الوحيدة خيراً لفتى من جلس السوء ، فأنهض إن أعد

وأنتدنى محمد بن نصر المديني الحبيب بن أوس :

وإذا أراد الله نشر فصيحة طويت ، أتاح لها سنان حود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عَرَفِ العود<sup>(١)</sup>

لولا التخوف للعواقب لم تزل للحاسد التعمى على المحود

أنما محمد بن المنذر ، حدثنا يحيى بن أبي طاب ، حدثنا روح بن عباد ،

حدثنا حماد عن حميد قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد ، هل يحسد المؤمن ؟ قال :

ما أسلك ! بنى بعقوب ، لا أبالك ! حيث حسدوا يوسف ، ولكن عم الحسد

في صدرك ، فإنه لا يضرك ، ما لم يعد أسنانك وتعمل به يدك .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل إذا خطر بباله صرب من الحسد لأخيه

ألمع المحمود في كتمان ، وترك ابتداء ما خطر بباله .

وأكثر ما يوجد الحسد بين الأقربان ، أو من تقارب الشكل ، لأن الكنية

لا يحسدها إلا الكنية ، كما أن الحجة لا يحسدها إلا الحجة ، ولن يبلغ المرء مرتبة

من مراتب هذه الدنيا إلا وجد فيها من ينفض عنها ، أو يحسده فيها ، والحاسد

خصم معاند لا يجب للعاقل أن يجعله حكماً عند دابة تحدث : فإنه إن حكم لم يحكم

(١) العرف - بالفتح - الريح الطيبة ، والعود : أراد به العود الذي ينبخر به .

إلا عليه ، وإن قصد لم يقصد إلا له ، وإن حرم لم يحرم إلا حظّه ، وإن أعطى أعطى غيره ، وإن قصد لم يقصد إلا عنه ، وإن هوى لم ينهض إلا إياه ، وليس المحسود عنده ذنب إلا النعم التي عنده .

فليحذر المرء ما وصفت من أشكائه وأقرباته وجيرانه وبني أعماله .  
وتقد أبا عمرو بن محمد ، حدثنا الفلاحي ، حدثنا العباس بن بكار قال : قال رجل لشبيب بن شبة : إني لأحبك ، قال : صدقت ، قال : وما عليك ؟ قال : لأنت لست بجار ولا ابن عم .

وأنتدني محمد بن عبد الله بن زبجي البغدادي :  
أنت أمرؤ قصّرت عنه مروهته إلا من الفس للاخوان والحسد  
أأن ترى خيراً منك تحسدي ؟ إن القضية لا تخلو من الحسد  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : بش السعار المرء الحسد : لأنه يورث الكد ، ويورث الحزن ، وهو داء لا شفاء له .

والحسد إذا رأى بأخيه نعمة بهت ، وإن رأى به عثرة شمت ، ودليل ما في قلبه كين ، على وجهه مبین ، وما رأيت حاسداً سألماً أحداً .  
والحسد داعية إلى النكد ، ألا ترى إبليس ؟ حسد آدم فكان حسده نكداً على نفسه ، فصار لعينا بعد ما كان مكيناً<sup>(١)</sup> ، ويسهل على المرء نرضي كل ساخط

(١) لست أدري : علام أقام القائلون بمكانة إبليس : قولهم ؟ فمنهم من زعمه كان طاوس الملائكة ، ومنهم من زعمه ، كان زينة ساكني الجنة ، وغير ذلك من مقالاتهم . وهذا كتاب الله واضح الآيات وصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلوة الصفحات ، لا نجد في شيء من ذلك على شيء مما قالوه عن إبليس ، ومن أصدق من الله قبلاً ؟ واعتقد أن للإسرائيليات يدا طائلة في تلك السموت التي خلعوها على إبليس . وكل ذلك من علم القبي الذي لا ينبغي أن نتطرق فيه إلا بكتاب الله ، أو بالصحيح الثابت من حديث رسول الله . والله أعلم .



في الدنيا حتى يرمى ، إلا الحسود : فإنه لا يرضيه إلا زوال العمة التي حسد من أحبها .

ولقد حدثني محمد بن عثمان العقدي<sup>(١)</sup> حدثني محمد بن زكريا الفلابي ، حدثنا ابن عائشة قال : قال بعض الحكماء : ألزم الناس للسكابة أربعة : رجل حديد ، ورجل حسود ، وحليط للأدباء ، وهو غير ذيب ، وحكيم محقر للأقوام ، وأبعد الناس من الدخول في دين الحق والصيحة لأهله : جاهل ورث الصلاة عن أهله ، ورأس أهل ملته حصى فيهم فصل الصلاة ، ومعظم للديب يرى سريحتها دأمة محبوبة ، ويرى مارجي من خيرها قريبا ، وما صرف من شرها بعيدا ، ليس يعقد قلبه على الإيمان ، ورجل خاط السالك فانصرف عنهم لحرصه وشرهه ، ودأبهم على مكر وحديعة .

### ذكر الخث على محاربة الغضب وكراهية المجلة

أنبأنا عمر بن حفص الزار بجند يسابور ، حدثنا محمد بن زياد الريادي ، حدثنا الفضيل بن عياض عن سليمان عن أبي صالح عن أبي هريرة أن جابرا قال « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : علمني شيئا يارسول الله أدخل به الجنة ، ولا أكثُر على ، لعل أعجل ، قال : لا تعصب » قال أوحاتم رضى الله عنه : أحسن الناس عقلا من لم يغرّد ، وأحضر الناس حواء من لم يغضب .

وسرعة الغضب : أنكى في العقل من النار في يَسّ الوَسَج ؛ لأن من غضب زایل عقله ، فقال ما سؤلت له نفسه ، وعمل ما شأنه وأرداه . ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقدي<sup>(٢)</sup> ، حدثنا إسحاق بن زكريا البزازي

(١) في نسخة « العقدي » .

حدثنا عبد الصمد بن حسان ، حدثني ربيب قال : مكتوب في الإنجيل :  
ابن آدم ، أذكرني حين تمضب ، أذكرك حين أغضب ، فلا أمحكك فيمن أمحك ؛  
وإذا ظلمت فلا تنتصر ، فإن نُصرت لك خير من نصرتك لنفسك .

وأنشدني الكريزي :

ولم أر فضلاً تمَّ إلا بشية ولم أر عفلاً صحَّ إلا على الأدب  
ولم أر في الأعداء حين اختبرتهم عدواً لمقل المرء أعدى من الغضب  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : سرعة الغضب من شيم الخبيث ، كما أن مجانبته  
من رى العقلاء .

والعصب بدر الندم ؛ فالمرء على تركه قبل أن يغضب أقدر على إصلاح  
ما أفسد به بعد الغضب .

ولقد أفاننا محمد بن إسحاق التتفي ، حدثنا حاتم بن الليث الجومري ، حدثنا  
بكار بن محمد قال : كان ابن عون لا يغضب ، فإذا أغضبه إنسان قال : برك  
الله فيك !

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

لم يأكل الناس شيئاً من مآكلهم أحلى وأحداً عقاباً من الغضب  
ولا تلحف إنسان بملحة أبهى وأزین من دين ومن أدب  
أفاننا كامل بن مكرم ، حدثنا الربيع بن سليمان ، حدثنا أسد بن موسى ،  
حدثنا ضمرة عن أبي سعيد قال : كان عون بن عبد الله بن عتبة إذا غضب على  
غلامه قال : ما أشبهك بمولاك ! أنت تسميني وأنا أعصى الله ، فإذا اشتد غضبه  
قال : أنت حر لوجه الله .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على الماقل إذا ورد عليه شيء بضد

ما تهواه نفسه : أن يذكر كثرة عصيانه ربه ، وتواتر حلم الله عنه ثم يسكن غضبه  
ولا يزري بفعله الخروج إلى ما لا يليق بالعقلاء في أحواله ، مع تأمل وقوع الثواب  
في العقبى بالاحتساب وببى العصب .

وأنشدني الأنصاري :

وكفّيت العيظَ أولى من مُحَاوِتي      غيظَ العدوِّ بإضراري بِإِيماني  
لاحير في الأمرُ رُدِّي مَنبَتَه      يوم الحساب إذا مانصٌ ميزاني

أنا محمد بن النضر ، حدثنا عمر بن علي بن زياد المنبري قال : سمعت سالم  
ابن ميمون الخواص يقول :

إذا نطق السفية فلا تحبهُ      فخير من إجابته السكوتُ  
سكتٌ عن السفية فظنَّ أني      عييت عن الجواب ، وما عييتُ  
شرارُ الناس لو كانوا جميعاً      قدّى في جوف عيني ما قدّيت  
فلستُ محاربا أبداً سفياً      خزيتُ لمن يحافيه خزيتُ

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

تأنّ في أمرك ، وافهم عني      فليس شيء يعدلُ التأنّي  
تأنّ فيه ، ثم قل ، فإن      أرجو لك الإرشاد بالتأنّي  
أخبرني محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا عبد الله بن جعفر الزيري عن  
سعيد بن إبراهيم بن محمد بن طلحة ، قال : أنشدني يونس بن إبراهيم بن محمد  
ابن طلحة لمحمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله :

فلا تسجلْ على أحدٍ بظلم      فإن الظالم مرتعٌ وخيمٌ  
ولا تمحش ، وإن مُلِيت غيظاً      على أحد ، فإن التمحش لومٌ  
ولا تقطع أخاك عند ذنب      فإن الذنب يغفره الكريم

ولكن دار عوراه رفق كما قد يرفع الخلق القديم  
ولا تخرج ريب الدهر واصبر فإن الصبر في العقبى سليم  
فما خرج بعين عك شيئا ولا مافات ترجعه الموم  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : لو لم يكن في الغضب خصلة تدمي إلا إجماع  
الحكام ، فاطمة على أن النضان لا رأى له مكان أو اوجب عليه الاحتياط لمفارقة  
بكل سب .

والعصيان لا يعدره أحد في طلاق ولا عتاق . ومن اتقاه من عذر السكران  
في الطلاق والعتاق ، وانطلق محبوبون على الغضب والحلم معا ، فمن غضب وحده  
في نفس الغضب ؛ فإن ذلك ليس مذموم ، ما لم يخرج غضبه إلى المكروه من  
القول والفعل ، على أن مفارقتها في الأحوال كلها أحد .

ولقد أنبأنا عمر بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا مهدي بن سابق عن عطاء قال :  
قال عبد الملك بن مروان : إذا لم ينصب الرجل لم يحم ؛ لأن الحليم لا يعرف إلا  
عند الغضب .

### ذكر الزجر عن الطمع إلى الناس

أبانا محمد بن أحمد بن المستنير طليعة حدثنا يوسف بن سعيد بن مسلم  
حدثنا خالد بن عمرو عن سفيان عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال « جاء رجل  
إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، علمي عملا إذا أنا علمته أحبني  
الله ، وأحبني الناس ؛ فقال : ازهد في الدنيا يحبك الله ، وزهد فيا في أيدي الناس  
يحبك الناس » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل ترك الطمع إلى الناس كافة

يَكُلُ الْيَاسَ عَنْهُمْ : إِذَا الطَّمَعُ فِي لَا يَشْكُ فِي وَجُودِهِ فَقَرَّ حَاضِرٌ ، فَكَيْفَ مَا  
أَتَتْ شَكٌّ فِي وَجُودِهِ أَوْ عَدَمُهُ ؟  
وَقَدْ أَحْسَنَ الَّذِي يَقُولُ :

لَأَحْمِلَنَّ سَبِيلَ الْيَاسِ لِي سُلَا مَا عَشْتُ مَكَ ، وَدَارَ لُحْمٍ أَوْطَانَا  
وَالصَّبْرُ أَجْعَلُهُ غَرَمًا أَنَا لِي فِي النَّاسِ قَرَامًا ، وَعِنْدَ اللَّهِ رِصْوَانَا  
فَالنَّفْسُ قَانَعَةٌ ، وَالْأَرْضُ وَاسِعَةٌ وَالِدَارُ جَامِعَةٌ مِثْقَى وَرُحْدَانَا  
وَأَشْدَى عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّسَائِيُّ قَالَ : أَشْدَى الْحُسَيْنِ بْنُ أَحْمَدَ  
ابْنِ عُثْمَانَ :

الْيَاسُ أَدْبَى وَرَفَعَ يَمْنِي وَالْيَاسُ حَيْرٌ مُؤَدَّبٌ لِلنَّاسِ  
إِنِّي رَأَيْتُ مَوَاصِعَ الطَّمَعِ أَدَى يَضَعُ الشَّرِيفُ مَوَاصِعَ الْأَخْسَاسِ  
وَأَشْدَى مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَغْدَادِيُّ : <sup>(١)</sup>

فَاجْتَمَعْتُ بِنَاسٍ لَا لُبَّانَةَ بَعْدَهُ وَلِلْيَاسِ أَدَى لِلْعَفَافِ مِنَ الطَّمَعِ  
وَالنَّفْسُ تَطْمَعُ هَشَةً إِنْ أَطْمَعَتْ وَنَسَالَ بِالْيَاسِ السَّلَا فَتَقَنَّمَ  
أَنْبَا مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ الْعَقَبِيُّ <sup>(٢)</sup> حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ صَاحٍ  
حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ سَعْدِ بْنِ عُمَارَةَ أَنَّهُ قَالَ لِأَنَّهُ : يَا بِي ، أَظْهَرَ الْيَاسِ  
فِيهِ غِنًى ، وَإِيَّاكَ وَالطَّمَعُ فَإِنَّهُ فَقَرَّ حَاضِرٌ .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَشْرَفَ الْمَنَى تَرْكُ الطَّمَعِ إِلَى النَّاسِ إِذَا لَا غِنًى  
لَدَى طَمَعٍ وَتَارَكَ الطَّمَعُ يَجْمَعُ بِهِ غَايَةَ الشَّرَفِ ، فَطَوَّلِي لِمَنْ كَانَ شِعَارُ قَلْبِهِ الْوَرَعُ ،  
وَلَمْ يُتِمَّ نَصْرَهُ الطَّمَعُ .

وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ حُرًّا فَلَا يَهْوِ مَا لَيْسَ لَهُ ؛ لِأَنَّ الطَّمَعُ فَقْرٌ ، كَمَا أَنَّ  
الْيَاسَ غِنًى ، وَمَنْ طَمِعَ ذَلِكَ وَخَضَعَ ، كَمَا أَنَّ مَنْ قَنَعَ عَفَّ وَاسْتَفَى .

(١) الْبَيْتَانِ الْآتِيَانِ لِبَاسًا مِنْ بَحْرِ وَاحِدٍ وَلَا رَوَى وَاحِدٌ لِدَلَالَةِ فَصْلَاهُمَا

(٢) أَنْظَرُ ص ١٤٥ السَّابِقَةَ .

ولقد أشدنى الكر بزي :

لا خير في عزم بنير روية      والشك عجز ، إن أردت سراحا  
والياس بما فات يعقب راحة      ولرب مقلعة تمود ذباحا

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

فكنت لي أملاً دهرًا أطلبه      فغيرته صروف الدهر أطوارا  
صرفت بالياس عنه النفس فاصرفت      فما أبالي أقام الدهر ، أم سارا

أبنا محمد بن المهجر المذلل حدثنا عبد الله بن أبي شيبة حدثنا عبد الله بن  
سروان حدثنا محمد بن هاني الطائي قال : سمعت أبو الأسود الدؤلي إلى جاري يقترض  
منه ، فلم يقرضه ، واعتل عليه ، وكان حسن الظن به ، فقال أبو الأسود :

لا تُشعِرَنَّ النفس يأساً ، فإنما      يعيش بجذ عاجز وجليل — د  
ولا تطمئن في مال جاري لقربه      فكل قريب لا ينال بعيد  
وقوض إلى الله الأمور ، فإنما      يروح بأوراق العباد حدود

أبنا القطاف بارقة حدثنا المروزي قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول :  
سمعت ابن السهاك يقول : الرجاء حب في قلبك ، وقيد في رجلك ؛ فأخرج الرجاء  
من قلبك ينفك القيد من رجلك .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الطمع غدة من قلب المرء له طرفان ، أحدهما :  
القيد في رجله ، والآخر : الطمع على لسانه ، فدامت العقدة قائمة لا تنفك  
رجلاه ، ولا ينطق لسانه ؛ فإذا أخرج الطمع من قلبه انفك القيد من رجله ،  
ورال الطمع عن لسانه ، فسمى إلى ما شاء ، وقال ما أحب .

ودواء زوال الطمع عن القلب : هو رؤية الأشياء من مكنونها بدوام الخلوة ،  
وترك الناس ، كما أشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

كُنْ لِقَمْرِ الْبَيْتِ حِلَاً وَأَرْضَ بِالْوَحْدَةِ أَسَا<sup>(١)</sup>  
لَسْتَ بِالْوَاجِدِ حُرّاً أَوْ تَرُدُّ الْيَوْمَ أَمَسَا  
فَاغْرَسِ الْيَأْسَ بِأَرْضِ الْ \* زُهْدٍ مَا عُمِّرْتَ غَرَسَا  
وَلَيْكِنْ يَأْكُلُكَ دُونَ الْ \* طَمَعِ الْكَاذِبِ تَرَسَا

قال أبو حاتم رضي الله عنه : السائل يجنب الطمع إلى الأصدقاء ؛ فإنه  
مَذَلَّةٌ ، ويلزم اليأس عن الأعداء ؛ فإنه مَنَاجَاةٌ ، وتركه مَهْلَكَةٌ ، واليأس هو بذَرُ  
الراحة والعز ، كما أن الطمع هو بذَرُ التَّعَبِ والدَّلِ ، فكم من طامع تعب وذل ،  
ولم ينل نفعه ، وكم من آيس استراح وتعزز ، وقد أتاه ما أمل وما لم يأمل .  
وأشدنى الأبرش :

(١) إن من يلزم قمر البيت ليكون حلاً - والجلس : الفراش المهيئ من خيش  
ومعوى ، يكون تحت الفراش القيم ، من نحو البسط والتمارق ، وهو أيضاً : ما يلي  
ظهر الفرس أو البعير تحت السرج والرحل - لابد أن يكون مهياً حقيراً ، عالة على  
الناس ، معطلا عن العمل والكسب ، فاراً من ميدان الكدح والجهاد في الحياة  
بسبب الله العليم ، ولذلك جرى على ألسنة العرب : « فلان جلس بيته » على الدم ،  
يعنون أنه لا يصلح إلا للزوم البيت ، كما قال في لسان العرب . ومثل هذا لا يحبه  
الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ، فضلاً عن أن هذا لا يقطع جذور داء الطمع ،  
بل يريد تأصلاً ، وتمكناً في النفس ، بما تلزمه الحياة وشئون العيش اللازم فيها  
إلى ما في أيدي العاملين الكادحين ، بل ويولد فيه - زيادة عن الطمع - الحسد  
والحقد على المجتمع كله ، وماتبتت رموس شياطين الفتن في المجتمع والثورة على النظم  
والحكومات إلا من حذور وأوكر أولئك الفارين من ميدان الحياة السقيمة  
بالحد والنشاط في حسن الانتفاع بسنن الله وآياته ونعمه ، ولكن أكثر الناس  
لا يعلمون .

يَعْرِى وَيَنْثَرُ مِنْ أَسَى عَلَى طَمَعٍ مِنْ الْمَكَارِمِ وَفَوَّ الطَّامِعِ الْكَاسِي  
إِنْ لِلطَّامِعِ ذَلٌّ لِلرَّقَابِ ، وَلَوْ أَمْسَى أَحْوَدُ مَكَانِ السَّيْرِ الرَّاسِ  
وَأَشْدَى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْوَاسِطِيُّ :

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنِّي إِذَا النَّفْسَ أَشْرَفْتُ عَلَى طَمَعٍ لَمْ أَسْ أَنْ أَتَكْرَمَا  
وَلَسْتُ بِلَوْامٍ عَلَى الْأَمْرِ سَدَّ مَا يَفُوتُ ، وَلَسَكُنْ عَلَى أَنْ أُنْقَدَمَا  
أَنْبِيَانَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْقُرَازِيُّ حَدَّثَنَا النُّضَلُ بْنُ يَوْسُفَ الْكُوفِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ  
ابْنُ جَبَلَةَ الْكِنَانِيُّ عَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَمَارٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ : الْيَأْسُ عِمَا فِي أَيْدِي  
النَّاسِ عِزٌّ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ حَاتِمِ الطَّائِيِّ :

إِذَا مَا عَزَمْتَ الْيَأْسَ أَمَّتْهُ الْغَى إِذَا عَرَفْتَهُ النَّفْسُ ، وَالطَّمَعُ الْفَقْرُ

### ذكر الحث على مجانبة المسألة وكراهيتها

حَدَّثَنَا أَبُو يَرِيدٍ خَالِدُ بْنُ النَّصْرِ بْنِ عَمْرِو الْقُرَشِيُّ بِالْبَصْرَةِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ  
ابْنُ غِيَاثٍ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَعْدَةَ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ  
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلًا فَيَأْتِيَ مُحَرَّمَةً  
حَطَبٍ فَيَبِيعَهَا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ »

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ مَجَانِبَةُ الْمَسْأَلَةِ عَلَى  
الْأَحْوَالِ كُلِّهَا ، وَلِزُجْرٍ تَرَكَ التَّعَرُّضَ ؛ لِأَنَّ الْإِفْكَارَ فِي الْعَزْمِ عَلَى السُّؤَالِ يُورِثُ  
الْمُرءَ مَهَانَةً فِي نَفْسِهِ ، وَيَحْطِئُهُ رَثْوَةً <sup>(١)</sup> عَنْ مَرَاتِبِهِ ، وَتَرَكَ الْعَزْمَ عَلَى الْإِفْكَارِ فِي  
السُّؤَالِ يُورِثُ الْمُرءَ عِزًّا فِي نَفْسِهِ ، وَيَرْفَعُهُ دَرَجَةً عَنْ مَرَاتِبِهِ .

وَقَدْ أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمَدِينِ حَدَّثَنَا الْقَيْصُ بْنُ الْخَضِرِ التَّمِيمِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ  
ابْنُ خَبِيبٍ قَالَ : قَالَ مُوسَى بْنُ طَرِيفٍ : إِنْ الْحَاجَةُ بَعُوضٌ لِي إِلَى الرَّحْلِ ،

(١) الرثوة : الخسوة الواسعة نحو التفقر بشدة



فيخرج عِزِّي من قبي قطعَ الحاجة من ناحيته . فيرجع عِزِّي إلى قبي  
وأشدى الكري برى قال : أشدنا الحسن بن أحمد لعلى بن الجهم :  
هى انفس ، ما تحمّتها تتحملُ وللدهر أيام تجور وتعذل  
وعاقبة الصبر الجميل جميلة وأفضلُ أخلاق الرجال النصل  
فلا عارَ إن رالت عن الحرمة ولكن عاراً أن يزول الجميل  
أخبرنا زكرياء بن يحيى الساحى حدثنا عبد الواحد بن غياث حدثنا خالد  
ابن عبد الله حدثنا دود بن أبي هدد عن الشامي أن عمر بن الخطاب قال « من  
سأل الناس شيئاً ماله ، فيما هو راضٍ<sup>(١)</sup> من النار يبقه ، فمن شاء استقل ،  
ومن شاء استكثر »

أسأنا محمد بن سيمان بن فارس الدلال حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح  
حدثنا أبو عباد يحيى بن عباد حدثنا شعبة عن قتادة قال : سمعت مطرف بن عبد الله  
يحدث عن حكيم بن قيس بن عاصم عن أبيه أنه أوصى بيه عند موته ، قال :  
يا بى ، ياكم ومساءلة الناس ؛ فإياهم أحر كس الرجل

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لعاقل لا يسأل الناس شيئاً فيردوه ، ولا يجهف  
في المسألة فيحرموه ، ويلزم التعفف والتكرم ، ولا يطلب الأمر مذبراً ، ولا يتركه  
مقبلاً ؛ لأن هَوَتْ الحاجة خير من طلبها إلى غير أهلها ؛ وإن من يسأل غير  
المستحق حاجةً حطَّ لنفسه مرتبتين ، ورفع المسئول فوق قدره

أخبرني محمد بن المنذر حدثنا أحمد بن مؤمل المصري قال : سمعت حامد بن  
يحيى يقول : سمعت سفیان بن عيينة يقول : من يسأل مذلاً حاجة فقد رعبه عن قدره  
أشدى ابن زنجي الغدادي :

(١) الرضف . المحارة المحمة بالنار

دَلَّ السُّؤَالُ شَحَى فِي الْحَقِّ مَعْرَضٍ      مِنْ دُونِهِ شَرَقٌ ، مِنْ حَفْهِ جَرَضٍ <sup>(١)</sup>  
 مَامَاهُ كَعَمُكَ إِنْ حَادَتْ وَإِنْ نَحَلَتْ      مِنْ مَاءٍ وَجَعِي إِذَا أَفْبَيْتَهُ عِوَضُ  
 وَأَشَدُّ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُؤَدَّبِ :

مَا اعْتَضَّ بِأَذَلِّ وَجْهِهِ سُؤَالُهُ      عَوْضًا ، وَإِنْ نَالَ الْغَنَى سُؤَالُ  
 وَإِذَا السُّؤَالُ مَعَ النَّوَالِ وَزَنَّتَهُ      رَجَعَ السُّؤَالُ ، وَخَفَّ كُلُّ نَوَالٍ  
 وَإِذَا ابْتَدَيْتَ يَبْذُلُ وَجْهَكَ سَائِلًا      فَابْدُلْهُ لِعَتَاكِرُمِ الْمُضَالِ  
 أَبَا مُحَمَّدٍ بْنِ الْمُهَاجِرِ الْمَدَلِّ حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ ابْنَةِ أَبِي سَعِيدٍ التَّغْلِبِيِّ  
 الدِّمَشْقِيُّ حَدَّثَنَا حَاجِبُ بْنُ أَبِي عُلْقَمَةَ الْعَطَارْدِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : قَالَ  
 مَطْرُفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ لِابْنِ أُحْيَةَ : يَا بُنَيَّ أَخِي ، إِذَا كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ  
 إِلَى فَا كَتَبْ بِهَا فِي رُقْعَةٍ ، فَإِنْ أَصَوْنُ وَجْهَكَ عَنْ دَلِّ السُّؤَالِ . وَأَشَدُّ ذَلِكَ  
 بِأَيِّهَا التَّعَبُ بَذْلُ السُّؤَالِ      وَطَالِبُ الْحَاجَاتِ مِنْ ذِي النَّوَالِ  
 لَا تَحْسِبَنَّ الْمَوْتَ مَوْتَ الْبَلَى      فَإِنَّمَا الْمَوْتُ سُؤَالُ الرِّجَالِ  
 كَلَامُهَا مَوْتُ ، وَلَكِنْ ذَا      أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ لَدُلُّ السُّؤَالِ  
 قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَعْظَمُ الْمَصَائِبِ سُوءَ أَخْلَافٍ ، وَالسَّأَلَةَ مِنَ النَّاسِ  
 وَالْهَمُّ بِالسُّؤَالِ نَصْفَ الْهَرَمِ ، فَكَيْفَ الْمُبَاشَرَةُ بِالسُّؤَالِ ؟ وَمَنْ عَرَّتْ عَلَيْهِ نَهْشُهُ  
 صَعُرَتْ الدِّيبُ فِي عَيْنِهِ ، وَلَا يَنْبَلُ الرَّجُلُ حَتَّى يَعْرِفَ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ ،  
 وَيَتَجَارَرُ عَمَّا يَكُونُ مِنْهُمْ ، وَالسُّؤَالُ مِنَ الْإِخْوَانِ مَلَالٌ ، وَمَنْ غَيْرُهُمْ ضِدُّ النَّوَالِ  
 وَأَشَدُّ الْأَرْضِ :

أَبْلُ بِنَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ حَرِيصَةً      إِنْ الْحَرِيصُ إِذَا يُبْلَحُ يُبْهَانُ

(١) الشحى : ما يعترض في الخلق من شوكة ونحوها . والشرق : النصه بلقاء .  
 والحرض : النصه بالريق ، وهو أن يتعلمه على هم وخوف بجهد ومشقة لجعل حلقه ،  
 وأكثر ما يكون ذلك عند حضور الموت

من يُكثِر النَّسَالَ من إخوانه يستقلوه ، وحطه إحرمان  
 وأشدنى على بن محمد انسامي :  
 أتيت أنا عمرو أَرْجَى عطاءه فزاد أبو عمرو على حزني حزنا  
 فسكنت كباني القرن أسلم أذنه فبات بلا أذن ، ولم يستفد قرنا  
 حدثنا محمد بن عثمان العوفي<sup>(١)</sup> حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندى حدثنا  
 عبد الله بن سليمان قال : كان أكرم بن صفيى يقول : السؤال - وإن قل -  
 آمن من النوال ، وإن جل  
 قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يحب للعاقل أن يبذل وجهه لمن يكرمه عليه  
 قدره ، ويعظم عنده خطره ، فكيف بمن يهون عليه رده ، ولا يكرمه عليه قدره ؟  
 وأشد الفناء الموت ، وأشد منه الحاجة إلى الناس دون السؤال ، وأشد منه  
 التكلف بالسؤال ؛ لأن السؤال إذا كان بنجاح الحاجة مقرونا لم يخل من أن  
 يكون فيه ذل السؤال ، وإذا الحاجة لم تقص كانت فيه ذلآن موجودان : ذل  
 السؤال ، وذل الرد .

وأشدنى منصور بن محمد الكريزى :  
 لا يحسُّ الصديق منك سقر لا ، ولا والد ، ولا مورد  
 ذاك ذل إذا سألت بخيلا أو سألت لذي عليك يجود  
 أبانا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار بننداد حدثنا على بن الجعد أنانا شعبة  
 عن الأعمش قال : سمعت المروزي بن سويد يحدث عن عبد الله قال « إن في طلب  
 الرجل الحاجة إلى أخيه فتنة ، إذا أعطاه حيد غير الذى أعطاه ، وإن سمع ذم غير  
 الذى منعه »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لو لم يكن في السؤال حصة تدم إلا وجود  
 التذلل في النفس عند الاهتمام بالسؤال وإبدائه لكان الواجب على العاقل أن

نواضطره الأمر إلى أن يستعف الرمل و تمص الثرى أن لا يتعرض للسؤال أذا  
ما وجد إليه سبيلا ، فأد من دفعه الوقت إلى ذلك فدل من يعلم أنه يقضى حاجته  
وذا سلطان لم يخرج في فعله ذلك ، كما لم يخرج في القول إذا أعطى من غير  
مسألة ، ومن استعنى بالله أغناه الله ، ومن تكرر بالله لم يقره ، كما أن من اعتز  
بالعبيد أذله

واقعد أمانا سعيد بن محمد القزار حدثنا أبو الهيثم الرازي حدثنا خالد بن يزيد  
حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام بن يوسف عن معمر قال : قال أبو معاوية  
- رجل من ولد كعب بن مالك - : « لقد رأيتني أضح<sup>(١)</sup> أوون النهار ، وأضرب  
آخر النهار على بطني بالعمول في المعدن ، قال : قلت : لقد لقيت مؤونة ، قال :  
أحل إنا طلبنا الدرهم من أيدي الرجال ومن الحجرة ، فوجدناها من الحجارة  
أسهل عينا » .

### ذكر الحث على لزوم القناعة

حدثنا الحسن بن سفيان الشيباني حدثنا محمد بن أبي بكر بمقدمي حدثنا  
محمد بن عبد الرحمن الطفاوى عن الأعشى عن مجاهد عن ابن عمر قال : « أخذ  
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنسكي ، فقال : كن في الدنيا كأملك غريب  
أو عار سبيل »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد مكنت برقة من الدهر متوهمًا أن الأعشى  
لم يسمع هذا الخبر من ليث بن أبي سليم ، فدلسه ، حتى رأيت على بن المديني

---

(١) التناضح : هو الذى يستقى من التراب بالملو ، وأصله في العير ، ويستعمل  
في الإنسان على تحوز ، وفي نسخة « أضح » بالصاد المهملة : أى يصح الناس  
ويعظم ، وهو بالصاد المعجمة أقرب إلى مقصد الكلام

حدث بهذا الخبر عن الطحاوي عن الأعشى قال : حدثني محاهد : فقلت حينئذ  
أن الخبر صحيح ، لا شك فيه ، ولا امتراء في صحته .

فقد أسر النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمر في هذا الخبر أن يكون في الدنيا  
كأنه غريب أو غريبين : فكأنه أسره بالقناعة باليسير من الدنيا ؛ إذ الغريب  
وعابر السيل لا يقصدان في العيبة إلا كثار من الثروة . بل القناعة إليهما أقرب  
من الإكثار من الدنيا .

ولقد أخبرني محمد بن عثمان العوفي<sup>(١)</sup> حدثني جعفر بن سفيان بن داود حدثني أبي  
حدثني حجاج حدثنا عتبة بن سالم قال : قال أكنم بن صبيح لانه : يا بني ، من  
لم يأس على ما فاتته ودع بده ، ومن قنع بما هو فيه قرت عينه .

وأشدني علي بن محمد البسائي :

من تمام العيش ما قرت به عين ذي النعمة ، أثرى أو أقل  
وقليل أنت مسرور به لك خير من كثير في دغل  
وأشدني . بن ربحي ليعدي :

أقول للنفس : صبرا عند فاقة ففقر يومك موصول يسر غد  
ما شري أن تصي غير فاقة وأل أروق هذا الخلق تحت يدي

أنباء أبو خليفة حدثت محمد بن كثير أنباء ما سبقان الثوري عن عيسى بن  
عبد الرحمن بن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود قال « أروع قد  
فرع منها : الخلق ، والخلق ، والورق ، والأهل . وليس أحدنا كب  
من أحد » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه . من أكثر مواهب الله لعباده وأعظمها  
خطرا القناعة ، وليس شيء أروح للبدن من الرضا بالقضاء ، والثقة بالنفس ؛ ولو لم

(١) انظر أيضا ص ١٤٥ السابقة

يكن في القناعة حصّة محمد إلا الراحة وعدم الدحول في مواضع سوء ، لطلب الفضل لكان الواجب على العاقل أن لا يفارق القناعة على حالة من الأحوال .  
ولقد أنبأنا عمر بن حصص بن عمرو البزار حدثنا أبو مسعود حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد بن عقيل حدثنا عبد الله بن ابراهيم اللدني حدثنا أبو بكر بن محمد بن النسكر عن أبيه قال « القناعة مال لا ينفد » .

سمعت محمد بن المنذر يقول : سمعت عبد العزيز بن عبد الله يقول : قال محمد ابن حيد الأكَاف :

تَقَنّعَ بالكفاف ، تَعَشَّ رَحِيحًا      وَلَا نَبَغَ الفضول من الكفاف  
فَنِي خَسَزَ القَقَارَ<sup>(١)</sup> بِخَيْرِ أَدَمَ      وَفِي مَاءِ القَرَاتِ غِنَى وَكَافٍ  
وَفِي الثَّوْبِ المَرَقِ مَا يَغْطِي      بِهِ مِنْ كُلِّ عُرَى وَانْكَشَافٍ  
وَكُلَّ تَزْيِينٍ بِالمَرْءِ زِين      وَأَزْيِنُهُ التَّزْيِينَ بِالْعَنَافِ  
وَأُنْشِدُنِي الكَرِيْمِي :

لَمَعْرَكٍ مَا طَوَّلَ التَّعَطُّلُ ضَاوِي      وَلَا كُتِلَ شُغْلٌ فِيهِ لَمَرٌ مِنْغَمِي  
إِذَا كَانَتْ أَرْزَاقُ فِي القَرَبِ والنَّوَى      عَلَيْكَ سَوَاءٌ فَانْغْثِمِ رَاحَةَ الدَّعَا<sup>(٢)</sup>  
وَإِنْ ضَمَقْتَ فَاصْبِرْ يُفْرِجِ اللهُ مَاوِي      أَلَا رَبُّ صَبِيحٍ فِي عَوَاقِبِهِ سَمِي  
وَأُنْشِدُنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الوَاسِطِي :

الحَمْدُ لِلَّهِ حَدًّا دَائِمًا أَبَدًا      لَقَدْ تَزَيْنَ أَهْلُ الحَرَصِ وَالشَّيْنِ  
لَا زِينَ إِلَّا لِرَاضِيٍّ فِي تَقَلُّهِ      إِنْ القَنُوعُ كَثُوبُ العِزِّ وَالدِّينِ  
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : العاقل يعلم أن الإنسان لم يوضع على قدر الأخطاء ، وأن من عديم القناعة لم يزدده المال غنى ، فتمكّن المرء بالمال القليل مع

(١) القفار : القدي لا إدام معه (٢) صدر هذا البيت غير مستقيم الوزن

قلة الممّ أهناً من الكثير ذى التّسمة ، والمائل ينتقم من الحرص بالتفنوع ، كما  
ينتصر من العدو بالقصاص ؛ لأن السبب للمانع رزق العاقل هو السبب الجالب  
رزق الجاهل .

وأنشدني محمد بن سعيد القزاز ، أشدنا محمد بن خلف التيمي ، أشدني  
رجل من خزاعة :

رأيت الغنى والقرّ حَظَيْن قُصَا فاحرم مُحْتَال وذو العي كاسب  
فهنا مُسَخَّ دائبٌ خَيْرٌ راجح وهذا مُرِيحٌ راجحٌ غير دائب  
وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

إذا الرء لم يقنع بعيش ، فانه وإن كان ذا مال من الفقر موقر  
إذا كان فصل الناس يُضَيِّك بينهم فأنت بفضل الله أغنى وأيسر  
أخبرنا أحمد بن سعيد القيسي حدثنا محمد بن الوليد بن أبان حدثنا سيم بن  
حماد قال : سمعت ابن المبارك يقول : مروءة القناعة أفضل من مروءة الإعطاء .  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : القناعة تكون بالقلب : فمن غنى قلبه غنيت  
يداه ، ومن افتقر قلبه لم ينفعه غناه ، ومن قنع لم يتسخط ، وعاش آمناً مطمئناً .  
ومن لم يقنع لم يكن له في القوائت نهاية لرغبته ، والجِدُّ والحرمان كأنهما  
يصطرعان بين العباد .

ولقد أحسن الذى يقول :

فما كلُّ ما حلز الفقى من تلاده بكَيْس ، ولا ما فاته بَقْوَانِ  
فأَجِلْ إذا طالبت أمراً فانه سيكفيك جَدَّانِ يصطرعان

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا محمد بن عبيد الله الجُشَمي عن المديني  
قال : كان يقال : مروءة الصبر عند الحاجة والقناعة بالتعفف والغنى أكثر من  
مروءة الإعطاء .

وأشدى عمرو بن محمد أشد الغلالي أشداً من عائشة :  
 غنى لمن يعنى النفس حتى يعفها      ومن مَسَّها حتى بها نَصَرَ الفقر  
 وما شدة ، قاصبر لها من لقيتها ،      بدائم إلا سيقبها بسر

وأشدى محمد بن عبد الله بن زحى البغدادي :  
 غيارب كره جاء من حيث لم نَحف      ومسرور أمر مألدي أنت حائف  
 أرى الناس ، ما لم تبيل ، حوان ظاهر      وإن تل تُنكر جُل ما أنت عارف  
 أبناً محمد بن عثمان العقبى حدثنا إبراهيم بن مهدي الأبي حدثني محمد بن  
 يحيى بن أبي عمر قال : سمعت سفيان بن عيينة - وذكر عنده الفضل بن الربيع  
 وضرماء - فأنشأ سفيان يقول :

كم من قوي قوي في قلبه      مُهَدَّبِ الرأي عنه الرزق منحرف  
 ومن صغيف ضعيف العقل مُخْطِط      كنه من حبيج البحر يعترف  
 قال أبو حاتم رضى الله عنه : من فارغته نفسه إلى الفتنوع ، ثم حسد الناس  
 على ما في أيديهم فليس ذلك لقناعة ولا لسخوة ، بل لعجز وفشل : فمثل كمثل  
 حمار السوء الذي يَمْرَج بِحِمَّةِ حبه ، ويحزن إذا رأى الصب يُؤْتَمِر به ذو القوة  
 والحمل الثقيل ، فالقاع الكريم أراح قلبه وبدنه ، ولشيره اللثيم أتعب قلبه  
 وجسمه ، والكرام أصبر نفوساً ، واللثام أصبر أجساداً .

وأشدى عمرو بن محمد أشداً الغلالي :  
 لعمر ك ما الأرزاق من حيلة الفتي      ولا سب في ساحة الحى ثاقب  
 ولكها الأرزاق تُقَسَّم بينهم      فما لك منها غير ما أنت شارب  
 وأشدى محمد بن سعيد أشدى هلال بن العلاء الباهلي :

تحمل إذا ما الدهر أولاك غِلظة      فإنَّ الفتي في النفس ، لافى التمول



يزين لثيماً القسوة كثرة ماله وما رزق الأثوام مثل التجمل  
حدثنا الحسين بن سعيد حدثنا عبد العزيز بن منب حدثنا محمد بن يحيى  
الصائغ قال : قال الخليل بن أحمد :

إن لم يكن لك لحمٌ كفاك حلٌّ وريتُ  
إن لا يكن ذا دمهـدا فكسرةٌ وبيتُ  
تطلُّ فيه وناوى حتى يبيتك موتُ  
هذا عسرى كعاف فلا يعرُك ليتُ

أنا كامل بن مكرم حدثنا محمد بن مروان البيروني حدثنا أبو مسهر حدثنا  
سعيد بن عبد العزيز عن محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى ( ١٦ : ٩٧ ) فنحنينه  
حياة مليية ) قال : القناعة

### ذكر الحث على لزوم التوكل على من ضمن الأرزاق

أنا زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن الساحي بالبصرة أنا أبو الربيع  
الرهري حدثنا المقرئ حدثنا حيوة بن شريح وابن لمبة قالوا : حدثنا أبو هانيء  
حميد بن هانيء الخولاني قال : سمعت أبا عبد الرحمن الخليلي يقول : سمعت عبد الله  
ابن عمرو بن العاص يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « قَدَّرَ اللهُ الْقَادِرُ  
قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِائَةَ سَنَةٍ »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم التوكل على من  
تَكْمَلُ بالأرواق : إذ التوكل هو نظام الإيمان ، وقرين التوحيد ، وهو السب  
المؤدى إلى نفي الفقر ووجود الراحة ، وما توكل أحد على الله جل وعلا من صحة  
قله حتى كان الله جلَّ وعلا بما تضمن من الكفالة أوثق عنده بما حوته يله إلا لم  
يَكِلْهُ اللهُ إلى عباده ، وآتاه رزقه من حيث لم يحتسب .

وأشدنى منصور بن محمد الكريزى :

توكل على الرحمن فى كل حاجة      أردت ؛ فان الله يقضى ويقدر  
متى ما يرد ذو العرش أمراً بعده      يُصِبه ، وما للعبد ما يتختر  
وقد يهتئ الأسن من وجه أمه      وينجو بإذن الله من حيث يحذر  
وأشدنى على بن محمد السامى :

أحسن الظن بمن قد عودك      كل إحسان ، وسوى أودك<sup>(١)</sup>  
إن من قد كان يكفيت اللى      كان بالأمس سيكفيك غدك  
أبنا محمد بن الحسن بن قتيبة بعسلان حدث أبو مروان الأرق حدث  
أوليد عن ابن جرير عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر عن أم الدرداء عن  
أبي الدرداء قال « إن الرق ليطلب العبد كما يطلبه أجله ».

وأشدنى عبد العزيز بن صبيان الأرش :

لو كان فى صخرة فى البحر راسية      صماء مغمومة فئس حوايلها  
رقق لعبد رآه الله لا نفعت      حتى تؤدى إليه كل ما فيها<sup>(٢)</sup>  
أر كان بين طبق السبع مطلبه      يوماً سهل فى المرقى مراقبها  
حتى ينال الذى فى اللوح خطه      إن هوائه ، وإلا فهو آتيا  
وأشدنى منصور بن محمد الكريزى أشدنى محمد بن الحسين العمى :

سل الحاجات من سيد      ليس له ستر ولا حاجب  
يعطى عطايه إذا شاءها      من غير موقع إلى كاتب

حدثنا محمد بن الحسين بن الخليل بسا حدثنا القسوطى حدثنا سنان حدثنا رباح  
لقبى قال « إن لله ملائكة موكلين بأوراق بنى آدم ، يحملون أرزاقهم

(١) الأود - بفتح الهمزة والواو - العوج .

(٢) برء الله : خلقه ، وأصله « برأه » تخفف الهمز بقلبها ألفاً .

على درجهم : ثم دل . ثم عبد من عبادي جعل لله ثمرا وحدا فصنوا  
السموات والأرضين وبني آدم رزقه ، وأبى عبد طلب رزقه أعطوه رزقه حيث  
أراد ، فمن تجزى مكاسه بالعدل فطيئوا له رزقه ، ومن نعدى إلى الحرام  
فبأنه من هواه إلى عاية درجته إلى نيس فوقها ، ثم حزنوا به وبين مسائر  
الدينا : ولا يأتى من حالها ولا من حرامها فوق الدرجة التي كتبت له »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يعلم أن الأوراق قد فرغ منها ونصنها  
العلو على أن يؤورها على عبادته في وقت حاجتهم إليها ، والاشترى بالسعي  
لما نصن وتكفل لبس من أخلاق أهل الحزم . لا مع الطواء صحة الضمير ، على أنه  
وإن لم يسع في قصده أنه رزقه من حيث لم يحسب  
وأشدنى محمد بن إسحاق بن حبيب الراسطي :

لما رأيتك قاعدا مستقلى أيقنت أنك اللهم قرين  
فأرض لها وتمر عن أناس إن كان عندك للقضاء يقين  
هون عليك ، وكن برئت واتقا فأحو التوكل شأنه التهوين  
صريح الأذى عن نفسه في أمره من كان يعلم أنه مصور  
حدثنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير أسنا سفيان الثوري عن أبي قيس عن  
هذيل بن شرحبيل قال « جاء سائل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي البيت  
تمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هك ، لولا تأنها أنتك » .  
وأشدنى المنتصر بن بلال الأنصاري :

فنحن بتوفيق الإله وأمره على كل حال أمرنا متوسع  
عطاء مليك لا يمن عطاؤه حدير مما تجنى عليه الأصابع  
أنبا محمد بن إبراهيم الشافعي حدثنا داود بن أحمد الدمياني حدثنا  
عبد الرحمن بن عفان قال : سمعت الفصيل بن عياض يقول : ما اهتممت ررق قط

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يعلم أن السبب الذى يدرك به العاقل حاجته هو الذى يحزن بين الحزن وبين مصادفته ، فلا يجب أن يحزن بمقتضى ما يهوى وليس مكائن ، ولا لما لا يهوى وهو لا محالة كائن : و كان من هذه الدنيا أنى لرا من غير تعب فيه ، وما كان عليه لم يدفعه بقوته ، ولا يدرك بالصعب المحروم ، كما لا يحرم بالنعوذ المذوق .

ولقد أحسن الذى يقول :

يَنَالُ النَّفْسُ مَنْ لَيْسَ يَسَى إِلَى النَّفْسِ وَيُحْرَمُ مَنْ يَسَى لَهُ وَيَدَاوِمُ  
وَمَا الْعِزُّ يَحْرُمُهُ وَلَا الْحِرْصُ جَالِبُ وَمَا هُوَ إِلَّا حُظُوتُهُ وَمَقْسَمُ  
وَأَشَدُّنِي عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيُّ أَشَدُّنَا الْغَلَا أَشَدُّنَا الْغَتَّى :

ورق انخلق مقسوم عليهم مقاديرٌ يفسدها الجليل  
فلا ذو المال يُرْزَقُهُ بِمَقْلٍ وَلَا مَالٌ نَقْتَسِمُ الْعُقُولُ

أبيانا الهيثم بن حنف الدورى - ببغداد - قال : سمعت إسحاق بن موسى الأنصارى يقول : سمعت يمان النجراي - وكان لا بدحرا شيئا - يقول : مررت راهب في قاعة فلاة من الأرض ، وأما جامع ، فقلت : يا راهب ، هل عندك من فصل ؟ فأدلى إلى زنبيل فيه فلق من خبز فأكلت منها ، ورميت إليه الباقي ، فقال : تروده ، قلت : الذى أطعمنى في هذا الموضع ، وليس فيه إسي ، يطعمنى إذا حلت ولا يكون معى شيء .

وأشدنى ابن زنجى البغدادى :

لَا تَهْمُ رَبِّكَ فِيمَا قَصَى وَهَوْنُ الْأَمْرِ ، وَطِبَّ نَفْسٍ  
لِكُلِّ قَمَرٍ فَرَجٌ عَاجِلٌ يَأْتِي عَلَى الْمُصْبِحِ وَالْمَسَى

قال أبو حاتم رضى الله عنه : التوكل هو قطع القلب عن الملائق ، برفض الملائق ، وإضافته بالافتقار إلى محوّل الأحوال ، وقد يكون المرء موسرا في ذات

الدنيا وهو متوكل صدق في نوكه إذا كان العدم والوجود عنده شيئاً لا فرق  
عنده بينهما ، يشكر عند الوجود ، ويرضى عند العدم ، وقد يكون المرء لا يملك  
شيئاً من الدنيا بحيلة من الحيل ، وهو غير متوكل إذا كان الوجود أحسن إليه  
من العدم ، فلا هو في لعدم يرضى حاله ، ولا عند الوجود يشكر مرتته .  
وأشدنى الكريرى :

مراكات الدنيا تنال بفطنة      وفصل عتول نلت أعلى المراتب  
وسكننا الأرزاق حظاً وقمة      ملكك مديك ، لا بحيلة طالب  
وأشدنا عمرو بن محمد الأصارى أشدنا لعلاني أشدنا مهدي بن سابق :  
ألا ترى الدهر لا تنفى عجائبه      والدهر يخلط ميسورا بمعسور ؟  
وليس للهو إلا كل صافية      كأنها دمة من عين مهجور  
أبياً على بن سعيد العسكري حدثنا إبراهيم بن الخنيد حدثنا سهل بن عاصم  
حدثنا دفع بن خالد قال : دخلنا على ربيعة العدوية ، فدكرنا أسباب الرق ،  
فخضنا فيه وهي ساكتة ، فلما فرغنا قالت ربيعة : حيلة من بدعى حيله ثم يتهمه  
في رزقه ! .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت هذا الباب بالعلل والحكايات  
على التنقيص في كتاب «التوكل» ، فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

ذكر الحث على لزوم الرضا بالشدائد والصبر عليها

أبنا أحمد بن علي بن المثنى بالموصل حدثنا أحمد بن جميل المروزي حدثنا  
ابن المبارك أبنا عمر بن حبيب عن القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن جبيرة عن ابن  
عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول ما خلق الله القلم ، ثم أمره  
فكتب ما يكون إلى يوم القيامة »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يوقن أن الأشياء كلها

قد فرغ منها ، فمنها ما هو كائن لا تحالة ، ومالا يكون فلا حيلة للحق في تكوُّنه ،  
فإن دفعه الوقت إلى حال شدة يحب أن يتَّردَّ إزار له طرفان : أحدهما : الصبر ،  
والآخر الرضا ، يستوفي كمال الأجر لفعله ذلك ، فكم من شدة قد صمَّت  
وتعذَّر زوالها على لعنهم بأسره ، ثم فرج عنها السهل في أقل من لحظة .  
ولقد أشدَّى محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

كَمْ مِنْ أَمْرٍ قَدْ نَضَّيْتُهِ      فَتَأَنَّى اللَّهُ مِنْهُ بِالْمُخْرَجِ  
وَلَعَسَ أَنْ يَكُونَ قَرْنَهُ      قَدَّرَ اللَّهُ ، فَعَادَ بِالْمُخْرَجِ  
وَلَهُ الْحَمْدُ عَلَى ذِي سَرْمَدٍ      مَا أَضَاءَ الصَّبِيحُ يَوْمًا وَبَدَّجِ  
وَكَذَلِكَ اللَّهُ رَبُّ فَادِرٍ      يُصْلِحُ الْأَمْرَ الْهَدَى فِيهِ عِوَجِ  
وَلَهُ الْحَمْدُ عَلَى آيَاتِهِ      بِسَنَدِيمِ الْبَسْرِ مِنْهُ وَالْفَاحِ (١)

حدثنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير أسأنا سفيان عن أبي إسحاق عن أبي  
الحجاج الأزدي قال : سألت أبا عبد الله : ما الإيمان بالقدر ؟ قال : إذا علم العبد أن  
ما أصابه لم يكن ليخطئه [ وما أخطأه لم يكن يصبیه ]  
وَأَشَدَّى الْأَبْرَس :

هَوَّنَ عَلَى نَفْسِكَ مِنْ سَعِيهَا      فَيَسَّ مَا قَدَّرَ مَرْدُودُ  
وَأَرْضَ مُحْكَمِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ      كُلُّ قَضَاءِ اللَّهِ مَحْمُودُ  
أَنْبَأَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَعْقَبَةَ الطَّرْحِي حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ قِدَامَةَ الْوَاسِطِيُّ حَدَّثَنَا  
مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ عَنْ مَسْرُورٍ قَالَ : لَمَّا حَاصَرَ الْحَبِجَاجُ ابْنَ الزَّيْرِ بِمَكَّةَ حَطَّتِ الْحِجَارَةُ  
تَضْرِبُ الْحَائِطَ ، فَقِيلَ لَهُ : لَا تَأْمَنَ عَلَيْكَ أَنْ يَصِيبَكَ مِنْهَا حَجَرٌ ، فَقَالَ ابْنُ الزَّيْرِ :  
هَوَّنَ عَلَيْكَ ، فَإِنَّ الْأُمُورَ      بِكَفِّ الْإِلَهِ مُضَادِرُهَا  
فَلَيْسَ بِأَتَيْكَ مِنْهَا      وَلَا قَامِرَ عَلَيْكَ مَأْمُورُهَا  
أَبَانَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَمَّارِيُّ حَدَّثَنَا الْغَلَّابِيُّ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ شَارٍ الرَّمَادِيُّ

حدثنا سميان عن مسعر ، أن رجلاً ركب البحر ، فكسر به ، فوقع في جزيرة  
من جزائر البحر ، فكث فيها ثلاثاً لا يرى أحداً ، ولا يأكل طعاماً ،  
ولا يشرب شراباً ، فأيس من الحياة ، فتمثل :

إذا شرب العراب أتيتُ أهلي وصار القارُ كاللبن الحليب  
فأجابه بحبيب يقول :

عسى لكربُ الذي أمسيتَ فيه يكون ورءهُ فرج قريب  
فظفر ، فإذا سقيفة في البحر ، فلوّح لهم ، فأتوه ، لحملوه ، وأصاب معهم  
حيراً ، ورجع إلى أهله سالماً

وأشدني محمد بن جعفر الحمداني - بصور - على ساحل بحر الروم :  
لا تضيقن في الأمور ؛ فقد تكشفت عماؤها بسير احتيال  
ربما نكره النفوس من الأمر ، له فرجة كحلّ العقال  
وأشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

عسى فرج يأتي به الله ؛ إنه له كل يوم في حقيقته أمرُ  
عسى ما ترى أن لا يدوم ، وأن ترى له فرجاً بم ألح به العسر  
إذا شئت عسر قارحُ يسراً ؛ فإنه قضى الله أن العسر ينبعه اليسر

أخبارنا محمد بن صالح الطبري بالصيرة حدثنا محمد بن عثمان المجلي قال : لما  
حدث شريك بحديث الأعمش عن سالم عن ثوبان : أن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال « استقيموا قريش ما استقاموا لكم ، فإذا خالفكم فضعوا سيوفكم على  
عورتكم ، فأيسوا حصراءهم ، فإن لم يعملوا فكونوا زراعين شقياء » فنعى  
به إلى المهدي ، فبعث إلى شريك ، فأتاه ، فقال : حدثت بها : قال : قلت : نعم ،  
قال : وعن رويته « قلت : عن الأعمش ، قال : ويلي عليه ! لو عرفت مكان قبره  
لأخرجته فأحرقته بانار ، قلت : إن كان لأموماً على مدروي ، قال : يازيد

لأقتلتك ، قلت : الزديق من يشرب الخمر ويسمك الدم ، قال : والله لأقتلنك .  
قلت : أو يكفي الله ! قال : خرجنا من عنده ، فاستقبلني الفصل بن ربيع ،  
فقال : ليس لك موضع تهرب إليه ؟ قلت : بلى ، قال : فإنه قد أمر قتلك ، قال :  
خرجت إلى جبل ، خرجت يوما آنجس الخبير ، فأقبل ملاح من بغداد ،  
فاستقبله ملاح آخر من البصرة ، فسأله : ما الخبر ؟ قال : مات أمير المؤمنين ، قلت :  
ياملاح ، قُرب ، قُرب .

وأشدني منصور بن محمد الكريزي :

تحرى المقادير إن عسرا وإن يسرا وللمقادير أسباب وأبواب  
ما اشتد عسر ، ولا اسدّت مذاهبه إلا نفتّح من مسروره طب  
وأشدني محمد بن عبد الله بن زحى البغدادي :

الآرب عسر قد آتى اليسر بعده وغمرة كُرب فرُحت لكظيم  
هو الدهر : يوم ، يوم يؤس وشدة ويوم سرور للفتى ونعيم  
أبنا أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم حدثنا محمد بن عبد الوهاب اليسابوري  
حدثنا بشر بن عبد الحكم عن علي بن عثام قال : روى إبراهيم بن آدم متنفط  
الرحلين <sup>(١)</sup> ، راضها على ميل ، وهو يقول ( ٤٧ : ٣١ ) ولنبونكم حتى علم  
المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم )

(١) سقطت - كسر الفاء - رحله ، وتنطفت : تفرحت من كثرة الشيء في  
الأرض الصعبة ، وهل كان تنطط رحلى ابن آدم لكثرة جهد ومعى في سبيل الله :  
لجهد العدو ، أو لطلب علم ، أو لصلة رحم ، أو لأمر معروف ، أو لنهي عن منكر ؟  
إمّا كان ذلك لشدة ما أحبه نفسه في الجبال والصعاري مقطعا عن الناس ، وفارا  
من الناس ومن الاختلاط بهم ، وقد أمر الله أولى العلم أن يباشروا الناس ؛ عليهم أن  
يقوموا من أعوجاجهم أو يصلحوا من فسادهم .



أَمَّا الْقَطَانُ بِالرَّقَةِ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَرِيِّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَمْرِو  
عَنْ عَطَاءِ الْأَزْرَقِ عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ : قُلْتُ لِلْحَسَنِ : يَا أَمَّا سَعِيدٌ ، مَنْ  
أَيْنَ أَتَى هَذَا الْخَلْقَ ؟ قَالَ : مَنْ قَلَّةِ الرِّصَا عَنْ اللَّهِ ، قَتَلَ : وَمَنْ أَيْسَ أُوتِيَ قَلَّةُ  
الرِّصَا عَنْ اللَّهِ ؟ قَالَ : مَنْ قَلَّةِ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يُحِبُّ عَلَى الْعَاقِلِ إِذَا كَانَ مُتَدَنَّئًا أَنْ يَرِيَّ عِدَّةَ  
وَرُودِ الشَّدَةِ عَلَيْهِ سَلُوكِ الصَّبْرِ ، فَإِذَا تَمَكَّنَ مِنْهُ حَيْثُ يَرْتَقِي مِنْ دَرَجَةِ الصَّبْرِ إِلَى  
دَرَجَةٍ ، رِصَاً ، فَإِنْ لَمْ يَرَقْ صَبْرًا فَلْيَلِمْ التَّصَبُّرَ ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَرَاتِبِ الرِّصَا ، وَلَوْ كَانَ  
لِصَّبْرِ مِنَ الرِّجَالِ لَكَانَ رَحْلًا كَرِيمًا : إِذَا هُوَ يَذُرُّ الْحَبْرَ ، وَأَسَاسُ الطَّاعَاتِ  
وَأَمَّا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ سَعِيدِ الْقُرَازِيِّ حَدَّثَنَا طَاهِرُ بْنُ الْقَاسِمِ عَنْ سَعِيدِ حَدَّثَ  
سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ : سَمِعْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَسْلَمَ ، قَالَ : أَوْحَى اللَّهُ إِلَى  
دَاوُدَ : يَا دَاوُدُ اصْبِرْ عَلَى ثَلَاثَةِ مَلَوْنَةٍ ، ثَلَاثَةِ مَنَى الْمَعُونَةِ

وَأَنْشَدَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَحْوَصِ بْنُ عَمْرٍاءَ الْقَاسِي :  
صَبْرًا جَمِيلًا عَلَى مَا نَابَ مِنْ حَدَثٍ وَالصَّبْرُ يَنْفَعُ أَحْيَاءَ إِذَا صَبَرُوا  
الصَّبْرُ أَفْضَلُ شَيْءٍ سَتَعِينُ بِهِ عَلَى الزَّمَانِ إِذَا مَا مَسَّكَ الصَّرُّ  
وَأَشَدُّ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنُ سَهْلٍ أَنْشَدَنِي أَبُو يَعْنَى الْمُوَصِّلِيُّ :  
إِنِّي رَأَيْتُ - وَفِي الْأَيَّامِ تَجَرُّبَةً - لِلصَّبْرِ عَاقِبَةً مَحْمُودَةَ الْأَثَرِ  
وَقُلْتُ مَنْ جَسَدٌ فِي شَيْءٍ يَحْدُولُهُ فَاسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِالْظَفَرِ  
وَأَشَدُّ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَبْرَشُ :

أَتَاكَ الرُّوحُ وَالْفَرْجُ الْقَرِيبُ وَسَاعَدَكَ الْفَضَاءُ ، فَلَا تَحْيَبُ  
صَبْرَتَ ، فَلْتَ عُنُقِي كُلَّ حَبْرٍ كَذَلِكَ لِكُلِّ مُصْطَبِرٍ عَقِيبُ  
أَبَانَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَبْصَرِيُّ حَدَّثَنَا الْغَلَابِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : سَمِعْتُ -

مصر أما سعيد بقول : قال عبد الواحد بن ريد : ما أحببت أن شيئاً من الأعمال  
يتقدم الصبر إلا الرضى ، ولا أعلم درجة أشرف ولا أرفع من الرضى ، وهو  
رأس الحجة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الصبر جماع الأمر ، ونظام الحزم ، ودعامة  
العقل ، وبدر الخير ، وحيلة من لا حيلة له .

وأول درجته الاهتمام . ثم التيقظ ، ثم الثبات ، ثم التصبر [ ثم الصبر ]  
ثم الرضا ، وهو النهاية في الحالات .

وقد أنبأنا محمد بن عثمان العفي<sup>(١)</sup> حدثنا شعيب بن عبد الله التمار حدثنا  
عيلان عن معبد عن أبي المليح عن ميمون بن مهران قال « ما قال عبد شيئاً من  
جسيم الخير من نبي أو غيره إلا ما صبر »  
وأشدى المنتصرين بلال الأنصاري :

عاشدة يوماً ، وإذا حلّ خطبها ، بنارلة إلا سيتبعها يسرُ  
وإن عسرت يوماً على المرء حاجةً وضائق عليه كان مفتاحها الصبر  
وأشدى على ن محمد السامي :

عزٌّ : فإن الصبر ماخرٌ أجمل وليس على رُبِّ الزمانِ مُعَوَّلُ  
فإن تكن الأيامُ فيما تبدلتُ بنعمى وبؤسى ، والحوادثُ تفعلُ  
فما ليئتُ مآً قنأةً صليبةً ولا ذللتنا للذى ليس يحْمَلُ  
ولكن رَحَلناها نفوساً كريمةً كَحَمَلٍ مالا تستطيع فتحملُ

وأشدنا عمرو بن محمد الأنصاري أشدنا الغلابي :

إني رأيت الخير في الصبر مسرعاً وحسبك من صبر تحور به أحوا  
عليك بتقوى الله في كل حالة فإيك إن تفعل تُصيب به ذخرا

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الصبر على صروب ثلاثة : الصبر عن المعاصي ،  
والصبر على الطاعات ، والصبر عند اشتداد انقضت  
وأوصى الصبر عن المعاصي .

ويعاقل يدر أحواله بالتثبت عند الأحوال الثلاثة التي ذكرناها بلزوم الصبر  
على المراتب التي وصفها قبل ، حتى يرتقى بها إلى درجة الرضا عن الله جل وعلا  
في حال العسر واليسر معا ، فإن الله الوصول إلى تلك الدرجة معه .

وأشدني عبد الله بن الأحموس :

تَعَزَّيْ بِحَسَنِ الصَّبْرِ عَنْ كُلِّ هَٰذَاكَ      فِي صَبْرِ مَسَافَةِ الْمَيِّتِ لِلْوَارِثِ  
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَسْلُ اصْطَبِرْ وَحَشِيَّةُ      سَوَتْ عَلَى الْأَيَّامِ مِثْلَ الْهَائِمِ  
وَلَيْسَ يَدُودُ النَّفْسِ عَنْ شَهَوَاتِهَا      مِنْ الدَّنَسِ إِلَّا كُلُّ مَا صَى الْعَرَائِمِ  
وَأَشَدُّنِي ابْنُ رَجَبٍ الْبَغْدَادِيُّ :

عِيَّةُ الصَّبْرِ لَذِيذُ طَعْمِهَا      وَبَدِيئُ الصَّبْرِ مِثْلُ كَالْقَصْرِ<sup>(١)</sup>  
إِنْ فِي الصَّبْرِ لِعَضْلًا بَيْنَنَا      فَاحْجَلِ النَّفْسَ عَلَيْهِ تَصْطَبِرْ

وأشدني الكرزي :

صَبْرٌ ، وَمَنْ يَصْبِرْ يَحْدِثْ عِبَادَتَهُ      اللَّهُ وَأَحْلَى مِنْ حَتَّى الثَّجَلِ وَالْقَمِ  
وَمَنْ لَا يَطْبُخْ نَفْسًا ، وَيَسْتَبِقْ صَاحِبَا      وَيَعْفِرْ لِأَهْلِ الْوَدِّ يُضَرِّمُ وَيَضْرِمِ  
أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زُجَيْوَيْهِ الْقَشْبَرِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَادٍ الْبَرْسِيُّ حَدَّثَنَا  
حَمَادُ بْنُ سُلَيْمٍ عَنْ ثَمَّتِ بْنِ الْبَنَانِيِّ عَنْ مَعَاذَةَ امْرَأَةِ صَاحِبِ بْنِ أَشِيمٍ قَالَتْ : « لَمَّا أَتَاهَا  
نَتْنُ وَوَجْهَهَا وَابْنُهَا جَاءَهَا الْمَاءُ ، فَقَالَتْ : إِنَّ كَمَثْنُ جَنَّتْ لَتَهْنُتُنَا بِنَا أَكْرَمَا اللَّهُ بِهِ  
وَالْأَفَارِجَيْنِ » .

قال ثابت : وكان صله يأكل يوما فأتاه رجل ، فقال : مات أخوك ، قال :

(١) الصبر — فتح فكسر — ثمرة طعمها مر كربة .

هيهات ، قد بُعِيَ إلى ، أُجْلِسَ فكل ، قال الرجل : ما سبقي إليك أحد ، فقال  
قال الله ( ٣٩ : ٣٠ ) إنك ميت وإنهم ميتون .

حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا ابن عائشة قال : كتب  
بعض الحكماء إلى أخ له يعزیه عن ابن له يقال له محمد :

اصد بكل مصيبه ، وتجلد واعلم بأن المرء غير مُحَدِّد  
وإذا ذكرت محمدا ومصابه فاذا كر مصابك بالنبي محمد

وأشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

يُعزَى المعزى ، ثم يمضى لشأه ويبقى المعزى في آخر من الجمر  
ويُرْمَى المعزى بعد ذاك سلوة وأشدني المنتصر بن بلال :

من سبق السلوة بالصبر فاز بفضل الحمد والأجر  
يا عجبى من منع جازع يُصْبِحُ بين الدم والوزر  
مصيبة الإنسان في دينه أعظم من جائحة الدهر

وأشدني عبد العزيز بن سليمان الأرش :

نحري القادير إن عسرا وإن يسرا حاذرت واقمها أو لم تكن حذرا  
والعسر عن قدر يحرى إلى يسر والصبر أفضل شيء وافق الظفرا

سمعت إسحاق بن أحمد انقطان البغدادى نستريقول : كان لنا جار ببغداد ،  
كنا نسميه طبيب القراء ، كان يتفقد الصالحين ويتعاهدهم ، فقال لى : دخلت  
يوما على أحمد بن حنبل ، فإذا هو مغموم مكروب ، قلت : مالك يا أبا عبد الله؟  
قال : حير ، قلت : وما الخير ؟ قال : امتحنت بتلك الحفة ، حتى ضربت ، ثم  
عاجلوني وبرأت ، إلا أنه بقى فى صلبى موضع يؤجنى هو أشد على من ذلك

الضرب ، قال قلت : اكشف لي عن صليبك ، قال : فكشف لي ، ولم أر فيه إلا أثر الضرب فقط ، قلت : ليس لي بذي معرفة ، ولكن سأستحضر عن هذا ، قال : فخرجت من عنده ، حتى أتيت صاحب الحبس ، وكان بيني وبينه فضل معرفة ، فقلت له : أدخل الحبس في حجة ؟ قال : ادخل ، فدخلت وجمعت فتيانهم ، وكان معي دربهات فرقتها عليهم ، وجعلت أحدثهم حتى أسواني ، ثم قلت : من منكم ضرب أكثر ؟ قال : فأحدنا يتفاحرون حتى اتفقوا على واحد منهم أنه أكثرهم ضرباً ، وأشدهم صبراً ، قال قلت له : أسألك عن شيء ؟ فقال : هات ، قلت : شيخ صعب يس صناعته كصاعتكم ضرب على الجوع للقتل سياتا يسيرة ، إلا أنه لم يمّت ، وعالجوه وبرا ، إلا أن موضعاً في صلبه يؤلمه وجعاً ليس له عليه صبر ، قال : لضحك ، قلت : منلك ؟ قال : الذي عالجته كان حائكا ، قلت : إيش الخبر ؟ قال : ترك في صلبه قطعة لحم ميتة لم يقلعها ، قلت : فما الحيلة ؟ قال بَطُّ<sup>(١)</sup> صبه ، وتؤخذ تلك القطعة ويرمى بها ، وإن تركت بلغت إلى فؤاده فقتلته ، قال : فخرجت من الحبس ، فسلمت على أحمد ابن حنبل فوجدته على حالته ، فقصصت عليه القصة ، قال : ومن بطه ؟ قلت : أنا ، قال : أو تفعل ؟ قلت : نعم ، قال : فقام ، فدخل البيت ، ثم خرج ويده مخدتان ، وعلى كتفه فوطه ، فوضع إحدى يديه في الأخرى له ، ثم قعد عليها ، وقال : استخر الله ، فكشفت الفوطه عن صلبه ، وقلت : أرني موضع الوجع ، فقال : صَغْ إصبعك عليه ، فأبني أخبرك به ، فوصف إصبعي ، وقلت : هاها موضع الوجع ؟ قال : ههنا أحمد الله على العافية ، قلت : ههنا ؟ قال : هاها أحمد الله على العافية ، قلت : هاها ؟ قال : ههنا أسأل الله العافية ، قال : فسلمت أنه

(١) البط : الشق بآلة الحراطة التي هي البضع .

موضع الوجع ، قال : فوضعت لمبضع عليه ، فله ، أحس حرارة المبضع وضع يده على رأسه ، وجعل يقول : اللهم اعصر لعصم ، حتى يسطته ، وتخذت القطعة المينة ورميت بيها ، وشللت المصانة منه ، وهو لا يريد على غولته اللهم اغفر لعصم ، قال : ثم هدأ وسكن : ثم قال : كأي كتب مطلقاً فأصبرت ، قلت : يا أبا عبد الله ، إن الناس إذا استحيوا ، يحنة دعوا على من ظلمهم ، ورأيتك تدعو لعصم ؟ قال : إني أفكرت فيما تقول ، وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكرهت أن آتى يوم القيامة وبينى وبين أحد من قرأته خصومة . هو منى في حبل .

### ذكر الحث على الحق عن الجاني

حدثنا الفصل بن الحباب أحمى بالبصرة حدثنا القعنبي حدثنا عبد العزيز ابن محمد عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال : « أتى رجل فقال : يا رسول الله ، إن لي قرابة أصليهم ويقصعون ، ويسبئون إلى ، وأحسن إليهم ، ويجهلون علي ، وأحلهم عنهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لن كان كما تقول فكلنا نبيهم الملة <sup>(١)</sup> . ولا يزال من الله معك ظهير ما زلت على ذلك » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل توطئ النفس على لزوم العفو عن الناس كافة ، وترك الخروج لمخازاة الإساءة ؛ إلا سبب لتسكين

---

(١) الملة - فتح الميم - الرماد الحار تحت الحجر ، يدفن فيه الخبز ليتج . أراد صلى الله عليه وسلم : إنما تجمع أمة لهم صفواً يستوفى ، يعنى عطاءك وصنك وإحسانك وحملك عليهم . ذلك برد عليك ، وخير لك ، ونار في بطونهم .

الإساءة أحسن من الإحسان ، ولا سب ليه الإساءة ومهيبهم أشد من الاستعجال مثلها .

ونقد أشدنى منصور بن محمد الكريزي :

سأزعم بقى الصفيح عن كل مدب      وبين كثرت منه في الخرائم  
ثم الدس لا واحد من ثلاثة :      شريف ، ومستروف ، ومثل مقاوم  
وما الذي فوق فأعرف فصله      وأتبع فيه حق ، والحق لارم  
وأما الذي دوني فإن قال صنت عن      بجاته عرصي ، وإن لام لأنم  
وأما الذي مثل فين وإن ، وهف      تمصت ، إن الخلم للعضل حاكم

أسأنا محمد بن عثمان العقبي<sup>(١)</sup> حدثنا محمد بن عامر الأنطاكي حدثنا من توبة  
حدثنا محمد بن مهاجر عن بونس بن ميسرة بن جليس قال : ثلاثة يحبه الله :  
من كره سوءاً يأتيه إلى أخيه وصاحبه ، فذلك قويم أن يستحي من الله ، ومن  
كان دارعة من الناس فتواضع لله ، فذلك الذي عرف عطمه لله ، ويحاف  
مقته ، ومن كان عموه قريباً من إساءته ، فذلك يقوم به الدنيا .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : من أراد الثواب الجليل ، واستترهان الوؤد  
الأصيل ، ونوقع الذكر الجليل : فليتحمل من ورود ثقل الردى ، ويتجرع مرارة  
مخالفة الهوى ، باستعمال السنة التي ذكرها في الصلاة عند القطع ، والإعطاء عند  
المنع ، والخلم عند الجهل ، والعمو عند الظلم : لأنه من أفضل أخلاق أهل الدين  
والدنيا .

ونقد أسأنا محمد بن المهاجر حدثنا ابن أبي شيبة حدثنا إبراهيم بن محمد بن  
ميمون عن داود بن الزرقان : قال قال أيوب « لا يئبل الرجل حتى يكو في  
خصلتان : العفة عما في أيدي الناس ، والتجاوز عنهم » .

(١) انظر من ١٤٥ السابقة .

وأشدني محمد بن عبد الله بن زحبي البغدادي :

وإذا مذهب أتابه به الخلق ، فخطاه غفوه في ستوره  
راجياً للثواب في كل رزء من حصى الأمور ، أو مشهوره  
فهو في عاجل الحياة كريم ومن العائزين يوم شوره  
خصلة جزئة بها خطه الله زين الدنيا ويوم كرومه

أنا محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا عمر بن حفص الشيباني حدثنا سفيان  
عن رجل ، قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول « أحب الأمور إلى الله ثلاثة :  
الغنى في القدرة ، والتصدق في الجدة ، والرفق في العبادة ، وما رفق أحد بأحد في  
الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة »

أنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا القلابي حدثنا ابن عائشة قال : كتب  
الحجاج إلى عبد الملك « إنك أعز ما تكون أحوج ما تكون إلى الله ، فإذا  
تعزرت بالله فاعف ، فانك به تعز ، وإليه ترجع » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الصفح عند ورود  
الإساءة عليه من العالم بأسرهم ، رجاء غفر الله حل وعلا عن جناياته التي ارتكبتها  
في سالف أيامه ؛ لأن صاحب الصفح إنما يتكلف الصفح بإيثاره الجزاء ، وصاحب  
العقاب وإن انتقم كان إلى الدم أقرب ، فأما من له أخ يودّه فإنه يحتمل  
عنه الدهر كله رلاته

ولقد أخبرني محمد بن المدر حدثنا أحمد بن داود التمار قال : سمعت مردويه  
الصائغ يقول : سمعت الفضيل بن عياض يقول : احتمل لأخيك إلى سبعين رلة ،  
قبل له : وكيف ذلك يا أبا علي ؟ قال : لأن الأخ الذي آخيته في الله ليس يزل  
سبعين رلة .



وأشدنى على من محمد السامى .

إد لم تحور عن أح لك عثرةً عشت غد من عثرى متجاوزا

وكيف ير حيك العيد لعمه إذا كان عن مولك رثك عاحرا

أما محمد بن صالح الطبرى حدث الرمادى حدثى احمق يحى من سليمان  
حدثنا من بحر حدثى أبى قال : « أقبل الشعى يوما ، فإذا هو رجلين من قومه  
من وراء حدر قصير ، فان : فاستمع عليهما ، فإذا هما يتعان فيه ويشتمانه ،  
ريتنقصانه <sup>(١)</sup> حتى أكثرا ، فلما أطالا أشرف عليهما الشعى ، فقال <sup>(٢)</sup> :

هنبث مريثا غير دء محامر نغرة من أعراضا ما استعظت  
فقالا : والله يا أما عمرو ، لا نفع فيك بعد اليوم » .

وأشدنى بعض أهل العلم :

ولربنا انسم الوقور من الأذى وصميرهُ من حرهُ يتأوه

وزعم حر الحليم لسانه حذر الجواب وإبه لقوه

أما أبو عروبه يعقوب بن إبراهيم ، أمانا عبدا لله بن الحسين المصمى ،  
أما يعقوب بن أبى عباد ، قال : قال القصين بن عباد : من طلب أحقا فلا  
عيب بقى بلا أح .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أغنى الناس عن اسقذ من عظم عن الحارة ،  
وأحل الناس مرنبه من صد الجهل بالحلم ، وما الفضل إلا لمن يحسن إلى من أساء  
إليه ، وأما محاراة الإحسان إحسان فهو المساواة فى الأخلاق ، فربما استعملها  
البهائم فى لأوقات ، ولو لم يكن فى الصبح وترك الإساءة خصلة نحمد إلا راحة  
النفس ووداع القلب لكان واجب على لعافل أن لا يكدر وقته بامدحول فى  
أخلاق البهائم ، والمحاراة على لإساءة إساءة ، ومن جازى بالإساءة إساءة فهو  
المسىء ، وإن لم يكن مدنا .

(١) فى نسخة « ويستقصاه » (٢) البيت لكثير عرة .

كما أشدنى الكريزى:

أَسَاتُ ، وَأَنْكَرْتُ أَيْ أَسَاتُ نَافِضٌ ، وَلَا تَكْ عَيْنَ الْمَسِي  
لَكَ الْعَصْلُ بِالْعَمْرِ عَمَّا عَمَّوْهُ وَإِلَّا فَأَتِ الْقَرِينَ السَّوَى  
وَعَمَّوْكَ مَقْتَلِرًا نَعْمَةً وَعَفْوُ الْمُنْدَدِ عِيرَ الْهَنَى  
سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عُمَانَ الْعَقْبَى ، قَالَ : سَمِعْتُ هَلَالَ بْنَ الْعَلَاءِ الْبَاهِلَى يَقُولُ :  
جَعَلْتُ عَلَى نَفْسِي مِنْذُ أَكْثَرِ مِنْ عَشْرِينَ سَنَةً أَنْ لَا أَكُلُ أَحَدًا بِسُوءٍ ،  
وَذَهَبْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَاتِ :

لَمَّا عَمَّوْتُ ، وَلَمْ أَحْفَدْ عَلَى أَحَدٍ أُرِحْتُ قَلْبِي مِنْ غَمِّ الْعَدَاوَاتِ  
إِنِّي أَحْبَبْتُ عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَتِهِ لِأَدْفَعِ الشَّرَّ عَنِّي مَالِئَاتِ  
وَأُظْهِرَ الْبَشَرَ لِلْأَسَانِ أَنْصَحَهُ كَأَمَّا قَدْ حُشِيَ قَلْبِي بِمَحَبَاتِ  
أَبْنَاءِ ابْنِ قَتِيْبَةٍ ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي السَّرِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عَمْرٍو الصَّنَعَانِي يَقُولُ :  
حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَسْلَمٍ قَالَ : قَالَ لَقْمَانَ لِابْنِهِ « كَذِبٌ مِنْ قَالَ : إِنَّ الشَّرَّ يُطْفِئُ  
الشَّرَّ ، فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَلْيُوقَدْ نَارًا إِلَى جَنْبِ نَارٍ ، فَلْيَنْظُرْ هَلْ تَطْفِئُ إِحْدَاهُمَا  
الْأُخْرَى ؟ وَإِلَّا فَإِنَّ الْخَيْرَ يُطْفِئُ الشَّرَّ ، كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ »

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَلِيٍّ الْخَلَّادِيُّ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ الْبَسَامِيُّ ، حَدَّثَنَا  
مُحَمَّدُ بْنُ عَمِيْدٍ اللَّهِ الدَّارِيُّ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرَانَ الضُّبِّيُّ قَالَ : قَالَ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ :  
رَبُّنَا لَمْ يَجْعَلْهُ ، بَلْ مَنْ يَصِفُوهُ .

وَأَشْدَى الْأَبْرَشِ :

فَوْحٌ مِنَ الشَّبْلِ أَوْسَادُهُ وَعَدُوٌّ عَنِ الْخَائِرِ نَشْبُهُ  
وَسَمْعُكَ صُنٌّ عَنْ سَمَاعِ الْقَبِيحِ كَصَوْنُ لِلْسَّانِ عَنِ التَّنْقِيقِ بِهِ  
فَبِكَ عِنْدَ اسْمَاعِ الْقَبِيحِ شَرِبَكَ لِقَائِهِ ، فَأَنْقَبَهُ

فكم أزعج الحرصُ من طاب فوافي إليه في مطنبه  
 أنبأنا عمر بن حفص البرازي بحديثه ، حدثنا جعفر بن محمد بن حبيب  
 الدارع حدثنا عبد الله بن رشيد ، حدثنا ثخينة بن الزبير ، قال : قال عمر لابنه  
 « أي شيء أقل ؟ وأي شيء أكثر ؟ وأي شيء أحلى ؟ وأي شيء  
 أبعد ؟ وأي شيء أنس ؟ وأي شيء أوحش ؟ وأي شيء أقرب ؟ وأي شيء أبعد ؟  
 قال : أما أقل شيء ، فاليقين ، وأما أي شيء ، أكثر فالثك ، وأما أي شيء ، أحلى  
 فروح الله بين العباد يتحابون بها ، وأما أي شيء ، أبعد ففصول الله عن عباده ،  
 وغفوة الناس عنهم عن بعض ، وأي شيء ، أنس حبيبك إذا أغلق عليك  
 وعليه باب واحد ، وأي شيء ، أوحش جسد إذا مات ، فليس شيء أوحش منه ،  
 وأي شيء أقرب فالآخرة من الدنيا ، وأي شيء أبعد فالدنيا من الآخرة »  
 قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل يحسن عند الجفوة ، ويعض عن المجازاة  
 عينا بمنزلها .

وقد قيل : إن من لم ينصب من الجفوة ، يشكر النعمة  
 وهو عندي - والله أعلم - عصب لا يجرحه إلى المصا ، ولا إلى الانتقام من  
 الجاني ، كأنه في نفسه يعلم محل الجفوة منه ، كما يعقل ورود النعمة عليه ، وما  
 أقبح قدرة الشيم إذا قدر ، ومن أساء سمعاً أساء إجابة ، ومن أتى المسكروه إلى  
 أحد فينفسه بدأ : لأن الشرور تندو صغاراً ثم تعود كباراً .

ولقد أنبأنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا محمد بن إدريس الرازي ، حدثنا  
 عبد الرحمن بن يحيى وإسماعيل بن عبيد الله الخزومي ، قالوا : حدثنا عبد الأعلى  
 بن مسهر ، عن سعيد بن عبد العزيز قال : سمعت إسماعيل بن عبيد الله يقول  
 لبنيه : « يا بني أكرموا من أكرمكم ، وإن كان عبداً حشياً ، وأهينوا من  
 أهلكم ، وإن كان رجلاً قرشياً »

قال أبو حنيم رضى الله عنه : هـذا أبى قال إسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر . إن استعمله العاقل فى الأحوال كلها مع الجاهل فلا صبر ، فمما من ارتفاع عن حد الجاهل ، واضع عن حد العقلاء ، فالإعصاء عن مثله فى الأوقات أحمداً بخفة الرد منه ، ولأن يصبر المرء على حجارة الجفاء ومرارتها أولى من الانتقام مما يستجيب عليه مما هو أحر وأمر مما مضى : لأن من الكلام ما هو أشد من الحبر ، وأشد من الإبر ، وأمر من الصبر .

ولقد أحسن أبى يقول :

لقد أسمعُ القول الذى كاد كلما      تدكرنيه النفس قلبى تصدعُ  
فأبدى لمن أبداه منى شائفة      كأنى مرورى به منه أسمعُ  
وما ذاك عن عجز به ، غير أنى      أرى أن ترك الشر للشر فضعُ

أبنا محمد بن صالح الطبرى باصميرة ، حدثنا أحمد بن مقدم المجلى ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوى ، عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبى عمرو فى هذه الآية ( ٧ : ١٩٩ خذ العفو وأمر بالعرف ) قال : « أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالعفو عن أخلاق الناس »

### ذكر صفة الكريم والثلیم

أبنا محمد بن الحسن بن الخليل بنسأ ، حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبدة ابن سليمان عن عبدة الله بن عمر ، عن سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة قال « قيل : يا رسول الله ، أى الناس أكرم ؟ قال : أكرمهم عند الله أتقاهم ، قالوا : ليس عن هذا سألتك ؟ قال : فعن معادن العرب نسألونى ؟ قالوا : نعم ، قال : خياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام ، إدا تمهوا »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أكرم الناس من اتقى الله ، والكريم لتقى .  
 والتقوى : هي العزم على بيان الأمور ، والأحرار عن جميع منجورات<sup>(١)</sup> ،  
 فمن صبح عزمه على هاتين الخصلتين فهو التقى الذى يستحق اسم الكرم ، ومن  
 عرى عن استعملها ، أو أحدهما ، أو شعبة من شعبهما ، فقد نقص من كرمه مثله .  
 وقد أبا ، محمد بن الماهر ، حدثنا عيسى بن محمد بن سهل الأردى عن  
 أبيه عن أمي ، قال : قال زيد بن ثابت « ثلاث حصل لا تجتمع إلا فى كريم .  
 حسن المحضر ، وحسن الرأى ، وقية للمالة »  
 وأشدى من ربحى الغداى .

أيت الحق يعرفه الكريم      صاحبه وبكره الثيم  
 إذا كان التقى حساً كريماً      فكل فعالة حسن كريم  
 إذ أعبته سمجاً أثمياً      فكل فعالة سديج لثيم  
 قال أبو حاتم رضى الله عنه . الكريم لا يكون حقوداً ، ولا حسوداً ، ولا  
 شامساً ، ولا داعياً ، ولا سهياً ، ولا لاهياً ، ولا فاحراً ، ولا فحوراً ، ولا كاذباً ،  
 ولا ملولاً ، ولا نقصع إغماً ، ولا يؤدى بحوانه ، ولا يصيب عجزه ، ولا ينفو فى  
 الوداد ، يعطى من لا يرحو ، ويؤمن من لا يحاف ، ويعفو عن قدرة ، ويصل عن  
 قطيعة .

أخبرني محمد بن أبي على الحلادى ، حدثنا محمد بن الحسن الدهلى عن على بن

(١) هذا تفسير اللارم ، وإلا حقيقة لتقوى فى اللغة : الأخذ بكل أسباب مما  
 يدفع عن الإنسان كل ما يسكره ويغدر فى الدنيا والآخرة ، واتخاذ الوقاية مما يؤدى  
 ويضر فى الجسم والقلب والعقل ، ولا يكون ذلك إلا بالعلم والبقطة التامة ، والصيرة  
 البيرة ، فكأن من آت لكل الأمور ومبرحر عن كل المحرمات ولسكه على جهل  
 وتقليد أعمى لا يبعثه شىء مما يأتى ولا يدفع عما أترحاره شيئاً مما يحاف ويحذر ، والله  
 الموفق لكل خير والهدى إلى سواء السبيل .

محمد الرحبي عن محمد بن إبراهيم العباسي عن عبد الله بن الحجاج - مولى المهدي -  
عن إبراهيم بن شكلة ، قال « إن لكل شيء حبة وموتا ، وإن مما يحيي الكرم  
مواصله الكرماء ، وإن مما يحيي اللوم معاترة الثام »  
وأشدني الكريزي .

سائل قوم لثام ليس عندهم عهد ، وليس هم دين إذا اتسبوا  
إن يسمعوا ربة طاروا بها فرحاً ميتاً ، وما سمعوا من صالح دفنوا  
صمٌ إذا سمعوا حيراً ذكراً به وإن ذكرت سوء عندهم أذروا<sup>(١)</sup>  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : الكريم يلين إذا استعطف ، واللئيم يقسو إذا  
الطف ، والكريم يحل الكرام ، ولا يهين اللثام ، ولا يؤذي الدافل ، ولا  
يمارح الأحق ، ولا يعشر لناجر ، مؤثراً إخوانه على نفسه بادلأ لهم ماملك ، إذا  
اطلع على رغبة من أخ لم يدع مكافئتها ، وإذا عرف منه مودة لم ينظر في قلق  
العداوة ، وإذا أعطاه من نفسه الإحاء لم يقطعه شيء من الأشياء .  
كما أشدني الخلادي ، أشدنا أحد من أنى على الغاضى ، قال : أشدنا محمد  
بن مقيس الأزدى :

بين الذي بين وبين عشرين عشيرتي وبين بيني وبين عشرين مختلفاً حدا  
إذا قدحوا لي من حرب رزئهم قدحت لهم في كل مكرمة رندا  
وإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن هدموا تجدي بيت لهم محدا  
ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقد  
وأعطيهم مالى إذا كنت واحدا وإن قل مالى لم أسلفهم رندا<sup>(٢)</sup>

(١) يقال : أذن الرجل للقول ، أى ألقى سمعه وأصغى بانتباه ويقظة زائدة ،  
والآيات لقصب بن أم صاحب .

(٢) هذه الآيات من شعر الحناسة منسوبة إلى المقنع الكندي من قصيدة له ، وفي  
بعض النسخ اختلاف . و « الرقد » العطاء .

أَبْنَاءُ ابْنِ حَوْصَا ، حَدَّثَنَا السَّحَّاسِيُّ حَدَّثَنَا ضَمْرَةُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي عَلِيَّةٍ قَالَ :  
رَأَيْتُ سَالِمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَمُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقْسِيْرَانِ بِأَرْضِ أَرُومَ ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا  
وَابِتُهُ ، فَأَمْسَكَ عَلَيْهِ الْآخَرُ حَتَّى لَحَقَهُ .

أَبْنَاءُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُهَاجِرِ ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي نَكْرٍ بْنُ حَادٍ الْيَرْبُودِيُّ عَنْ قُطَيْبَةَ  
ابْنِ الْعَلَاءِ بْنِ إِسْهَالٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ الْمُبَارَكُ بْنَ سَعِيدٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ الْأَعْمَشَ يَقُولُ :  
قَالَ الشَّعْبِيُّ « إِنْ كَرَامَ النَّاسِ أَسْرَعَهُمْ مَوْدَةً ، وَأَبْطَأَهُمْ عِدَاوَةٌ ، مِثْلُ الْكُؤُوبِ مِنَ  
الْفَيْسَةِ يَبْطِئُ . الْإِنْكَسَارُ ، وَيُسْرِعُ الْإِنْجِبَارُ ، وَإِنْ لُثِمَ النَّاسُ أَبْطَأَهُمْ مَوْدَةٌ ،  
وَأَسْرَعَهُمْ عِدَاوَةٌ ، مِثْلُ الْكُؤُوبِ مِنَ الْفَخَّارِ : يَسْرِعُ الْإِنْكَسَارُ ، وَيَبْطِئُ . الْإِنْجِبَارُ »  
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْكَرِيمُ مَنْ أَعْطَاهُ شُكْرَهُ ، وَمَنْ مَنَعَهُ عَدْرَهُ ،  
وَمَنْ قَطَعَهُ وَصْلَهُ ، وَمَنْ وَصَّيَهُ فَضْلَهُ ، وَمَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ ، وَمَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ اسْتَدَّاهُ ،  
وَإِذَا اسْتَضَعَفَ أَحَدًا رَحِمَهُ ، وَإِذَا اسْتَصْعَمَ أَحَدٌ رَأَى لِلْوَيْلِ أَنْ يَكْرُمَ لَهُ مِنْهُ ،  
وَاللَّيْمُ ضِدُّ مَا وَصَّيْنَا مِنَ الْخَصَالِ كُلِّهَا .

وَلَقَدْ أَبْنَاءُ أَحْمَدَ بْنِ قَرِيْشٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدَّهْلِيُّ ،  
حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْخَلِيلِ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ عَنْ أَبِي عِيْسَى قَالَ : كَانَ إِبْرَاهِيمُ  
ابْنُ آدَمَ كَرِيمَ النَّفْسِ ، يَخَاطِبُ النَّاسَ بِأَخْلَاقِهِمْ وَيَنْكُلُ مِنْهُمْ ، قَالَ : فَرُبَّمَا  
اتَّخَذَ لَهُمُ الشَّوَاءَ وَالْجَوَافِيزَ وَالْخَبِيصَ ، وَرُبَّمَا حَلَا وَأَسْحَابَهُ لَتَذِينَ يَأْسُ بِهِمْ  
فَيَتَصَارَعُونَ ، قَالَ : وَكَانَ يَعْمَلُ عَمَلَ رَحِيمٍ ، وَكَانَ إِذَا صَارَ إِلَى نَفْسِهِ أَكَلَ  
عَجِينًا .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَجْمَعَ أَهْلُ التَّجَارِبِ لِلدَّهْرِ ، وَأَهْلُ التَّنْصِلِ فِي  
الدِّينِ ، وَالرَّاغِبُونَ فِي الْجَمِيلِ : عَلَى أَنْ أَفْضَلَ مَا اقْتَنَى الرَّحْلُ لِنَفْسِهِ فِي الدُّنْيَا ، وَأَجَلَ  
مَا يَدَّخِرُ لَهَا فِي الْعَقْبَى هُوَ لُزُومُ الْكَرَمِ ، وَمَعَاشِرَةُ الْكِرَامِ : لِأَنَّ الْكَرَمَ يَحْسِنُ  
الذِّكْرَ ، وَيَشْرَفُ الْقَدْرَ ، وَهُوَ طِبَاعُ رُكْبَتَيْهَا اللَّهُ فِي بَيْتِ آدَمَ ، مِنْ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ

أكرم من أبيه ، وربما كان الأب أكرم من ابنه ، وربما كان المملوك أكرم من مولاه ، ورب مولى أكرم من مملوكه .  
وقد أحسن إلى يقول :

رب مملوك إذا كشته كان من مولاه أو من الكرم  
هو مدح على أحواله وترى مولاه يهني ويده  
وراء كيف يملو دائما وترى مولاه من تحت لقدمه  
وقى حتى أماء دونه وأبى سقاه أعلى وثم  
من يسه ، ثم لا يغفل إن طيب المعروف منه بأصمه  
وكذاك الناس - فاعلم - رث قدر الأخلاق فيهم وقسم  
وأشدى لأثرش :

رأيت الذين لا يرعى نصيب لأن الصبر يحطه الكريم  
وإن الذين أكرم كبر شيء فليس بعينه خلق شيء  
فإن ترك الأذى والذين قلنا فإن الذين يرحد لا يقيم  
ويبقى للأذى في القرب حسب من البعضاء يلبث لا يريم<sup>(١)</sup>  
حدثنا القاصن بارقة ، حدثنا أحمد بن أبي الخوارى ، قال : سمعت أبي يقول :  
ما من أحد إلا وله توبة ، إلا سيء الخلق : فإنه لا يتوب من ذنب إلا دخل في  
شرمه .

هل أو حاتم رضى الله عنه : الكريم محمود الأثر في الدنيا ، مريض العمل  
في العقبى ، يحبه اقرب والقاصى ، ويألفه المتسخط وارضى ، يدورقه الأعداء  
واللئام ، ويصحه العقلاء والكريم .

وما رأيت شيئاً أكثر عملاً في نقص كرم الكريم من الفقر ، سواء كان  
ذلك ناقلاً أو بالوجود .

(١) لا يريم : لا يعارق .



ونقد أشدني المنتصر بن ملاك الأنصاري :

عمرك ، إن المال قد يحمل الفتي سبيد ، وإن الفخر صبره قد يُرري  
ولا رقع النفس لمدينة كالفى ولا وضع النفس الكريمة كالفقر  
حدث الحسن بن سعيد ، حدثا أو نكر بن أبي شيبه ، حدثت حميد بن  
عبد الرحمن عن ركب بن أبي رائدة عن علي بن الأقر عن أبي حنيفة قال :  
« حاسو الكبراء ، وحاطوا الحكماء ، وسألو العلماء »

ذكر الرجز عن قبول قول النُشاه

أما أو علي ، حدث عبد الله بن محمد بن أسير ، حدث مهدي بن محبوب  
حدثت واصل الأحمد عن أبي وائل عن حذيفة « أنه بلغه أن رجلا سُم  
الحديث ، فقال حذيفة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يدخل  
الجنة نذ »

قال أبو حاتم رضى الله عنه ، أوجب على الناس كافة محبة الإفك في  
السبب الذي يؤدي إلى المعصية ، والمصلحة بين الناس ، والشيء فيه يترك لهم  
ويشتت شملهم ، والعقل لا يحوض في الأفكار فيه ذكرها ، ولا يقبل سعيه الوشى  
بحيلة من الخيل ، علمه بما يركب لو شئ من الإثم في العقاب فعنه ذلك .

ولقد أمدنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا عنه من بن الوليد بن مزبد عن أبيه  
عن الأودعي عن يحيى بن أبي كثير قال : قال سليمان بن داود لأمه « يا بني ،  
إياك والجمعة ، فإنها أحد من السيف »

وأشدني الكريري

من سم في الناس لم تؤمن عقاره على الصديق ، ولم تؤمن أفاعيه  
كالتسلي بالليل ، لا يدري به أحد من أسحاء ، ولا من أين يأتيه ؟  
فالويل للعهد منه ، كيف يقصه ؟ والويل للود منه ، كيف يعنيه ؟

أخبرنا أحمد بن إسحاق الناقد واسط ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا  
أبو بكر بن عيَّاش عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون قال « لما تعجل موسى  
ابن عمران إلى ربه رأى رجلا تحت العرش ، فخطه بمكاه ، فسأل ربه أن يحبره  
باسمه ، قال : لكنني أخبرك من عمله بثلاث خصال : كان لا يحسد الناس على  
ما آتاهم الله من فضله ، ولا يعق والديه ، ولا يمشي بالميمية »

أما نا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن يعقوب الرعي ، حدثنا محمد بن  
إبريس المليل عن العتي قال « سمعت أعرابية توصي ابنها ، فقالت : عليك  
محفظة السر ، وإياك والميمية ؛ فإنها لا تترك مودة إلا أفدتها ، ولا صغية إلا  
أوقدتها .

ثم لا بد لمن عرف بها وسب إلى مقارفتها من أن يحترز من محالسته ،  
وأن لا يوثق بمودته ، وأن يزهد في مواصلات ومعاشرته .  
ولذلك يقول أحور ربيعة :

تَحَنَّنْتَ فِينَا يَا لِمِيمٍ ، وَإِنَّمَا تَمَرَّقَ بَيْنَ الْأَصْفِيَاءِ الْهَيْئُ  
وَمَا رَلْتَ مَسْوَبًا إِلَى كُلِّ آفَةٍ وَمَا رَانَ مَسْوَبًا إِلَيْكَ الْمَدْلَامُ  
لَأَنَّكَ لَمْ تَسُدِّمْ شَيْئًا فَطَلَتْ وَمَا تَأَتْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّكَ فَادِمُ

أخبارنا عمرو بن محمد ، حدثنا «نفلان» حدثنا محمد بن عبيد الله الجشني ، حدثنا  
علي بن محمد المدائني قال « رشي واش عبد الله بن همام السلولي إلى رباد ، قال :  
بعثت رباد إلى ابن همام ، فجاء ، فأدخل الرجل بيتاً ، فقال له زياد : يا ابن همام .  
بلغني أنك هجونني ، فقال له : كلا ، أصلحك الله ! ما فعلت ، وما أتَ لذلك  
أهل ، قال : فإن هذا أخبرني — وأخرج الرجل — فأصرق ابن همام هنيئة ،  
ثم أقبل على الرجل فقال :

وَأَنْتَ اسْمُؤْ : إِنَّمَا اسْتَمْتَكُ حَايَا فَخُنْتُ ، وَإِنَّمَا قُلْتَ قَوْلًا يَبْلَا عَم

فأتت من الأمر الذي كان بيننا عمرة بين الخيامة والإقليم  
قال : فعجب رباد عوايه ، وأذناه ، وأقصى الساعى ، ولم يقبل منه .  
وأشدى ابن ربحى العدادى :

يمشون فى الناس يبعون العيوب لمن لا عيب فيه ، لكى يستشرف العصب  
من يعلموا الخير يحفوه ، وإن علموا شراً أذاعوا ، ومن لم يعلموا كذبوا  
أخبرنى محمد بن أبى على ، حدثنا ابن أبى شيبه أبو حمزة ، حدثنا الحسن بن  
صالح قال : سمعت حُجَيْنَ بنِ المثنى يقول « سمى رجل باليث بن سعد إلى وإلى  
مصر ، فبعث إليه فدعاه ، فلما دخل عليه قال له : يا أبا الحارث ، إن هذا أبلغى  
عنك كذا وكذا ، فقال له الليث : سل — أطلع الله الأمير — عما أمرك :  
أهو شئ . ائتمناه عليه فحاشا فيه ، فما ينبغي لك أن تقل من خائن ، أو شئ . كذب  
علينا فيه ، فما ينبغي لك أن تقبل من كاذب ؟ فقال ابوالى : صدقت يا أبا الحارث .  
أخبرنا ابن حرسا ، حدثنا عبد الله بن هانىء بن عبد الرحمن عن ابن أبى عميرة  
عن أبيه عن عمه ، راهم بن أبى عبيد قال : « كنت جالسا مع أم الدرداء ، فأتها  
أت ، فقال : يا أم الدرداء ، إن رجلا نال منك عند عبد الملك بن مروان ،  
فقلت : إن تؤن<sup>(١)</sup> بما ليس فينا فطالما رُكِّفنا بما ليس فينا »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الإغصاء عما ينفل الوشاة ،  
وصرف جميعها إلى الإحسان ، وترك الخروج إلى ما لا يليق بأهل العقل ، مع ترك  
الإفكار فيما يردى بالعقل : لأن من وثق بالشئ إلى إسان بعينه يكون قصده  
إلى الخبر أكثر من قصده إلى الخبر به ، لمشافهته أيام بالشئ الذى يثق به  
علمه وسماعه »

ولقد أحسن الذى يقول :

(١) تؤن : تنهم .

من تحبوك شتم عن أح وهو الشتم ، لا من شتمك  
ذلك شيء م شامك به عما اللوم على من أعطك  
كيف لم يصرك ؟ إن كان أح ذا ودة عبد من قد ظمك  
إما رام ببلاغ الذي نعم فيه - فاعلم - أن يرمك  
فمنه ، إنه من نومه إن شبهه بهوان أكرمك  
سكن الحر إذا أكرمه لم تصرك ، ولكن فحمتك

أبناؤنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن عبد الله السويدي قال : سمعت العباس  
ابن ميمون يقول : شيع المؤمن الحسن بن سهل ذا الوردتين ، فلهما معا غايه  
الشيع ، قال له المؤمن - يا حسن - ألك حاجة ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، يحط  
على من قلبك ما لا أستطيع دراكه بلاك ، ويكون بيني وبينك قور كثير عرة .  
وكور على البرشين نكده شعنة كما أنا ، فلو انني ألد شعوب  
أحبر ، محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا محمد بن حزيمة المصري ، حدثنا حذيفة  
حدثنا عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبي كثير قال « . . . ي عمله الماء في ساعة  
لا يعمله الساحر في شهر »

أحبرنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثنا محمد بن الحسن الخلال ، حدثنا أبو عروبة  
المصري ، حدثنا داود بن شبيب ، حدثنا حماد بن سلمة قال « ناع رجل من رجل  
غلاماً له ، وقال : أبرا إيلك من التهمة ، فاشتراه على ذلك ، فجاء إلى مولاه ،  
فقال . إن زوجك ليس يملك ، وهو ينسرى عليك ويتروج ، أفتردين أن يعط  
عليك ؟ قالت : نعم ، قال . حدى موسى فخلق به شعرات من باطن لحية  
ومخرية بها ، وجاء إلى ارجل ، فقال : إن امرأتك تنعى ، وتصادق ، وهى  
فانتك ، أفتردين أن يبين لك ذلك ؟ قال : نعم ، قال تناوم لها ، قال : فتناومها ،  
فجاءت موسى تخلق الشعر ، فخذها فقتلها ، فأنخذ أولياؤها فقتلوه »

ول أبو حاتم رضى الله عنه : هذا وأمثاله من ثمرة النخلة : لأنها تهتك الأستار  
وتفشي الأسرار ، وتورث الصعاش ، وترفع المودة ، وتحدد العداوة ، وتدد الجماعة  
وتهيج الحقد ، وتريد الصد ، فمن رُشِيَ إِيَّيه عن أخ كان الواجب عليه معانته  
على المصونة ، كانت ، وقبول العذر إذا عتذر ، وترك الإكثار من العتب ، مع  
توطئ النفس على الشكر عند الحفاظ ، وعلى الصبر عند الصيغ ، وعلى العانة  
عند الإساءة .

وأشدنى منصور بن محمد السكر يزي :

كأب الخليل على المودة منها      وإذا أساء فكافه بقتاله  
وإذا عتبت على امرئ أحبته      فتوق طهر عييه وسداه  
والن حناك ما استلان لوده      وأحب أخاك إذا دعا بحواه  
وأشدنى على بن محمد السامى :

أعاب إخواني ، وأبقى عليهم      ولست لهم مد العتاب قاطع  
وأعمر دنب المرء إن زل رلة      إذا ما أتتها كرها غير طاع  
وأحزع من لوم الخميم وعمله      وما أنا من حبل الجمل بخارع  
أخبرني محمد بن علي الخلابي ، أخبرني محمد بن يزيد المحوي عن العتب  
عن أبيه قال : عتب ابن الزبير على معاوية في شيء ، فدخل عنده ، فقال : يا أمير  
المؤمنين : اسمع أيتها أعتبتك فيها ، قال : هات ، فأشده<sup>(١)</sup> .

لعمرك ما أدرى ، وإني لأوجل      على أيتها تغدو لمنية أول  
وإني على أشبه منك تربي      كثيراً لمد صمغ على داك تحمل  
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته      على طرف الهجران لو كان يعقل  
فقال له معاوية : لقد شعرت بعدى يا أبا بكر ، فدخل عنده ممن بن أوس  
المرزبي بعد ذلك ، فقال له معاوية : هل أحدثت بعد ما شينا ؟ قال : نعم ، ثم أشده :

(١) الأيات لمن بن أوس ، وسيدكر المؤلف ذلك .

\* لعمرك ما أدري وإني لأوجل \*

فقال : علي بن الزبير ، فقال : أليس هذا لك فيما رعت ؟ قال : أنا أعت  
العي ، وهو ألب القواي ، وهو بعد طثري ، ومهما قال من شيء فأنا قتته ،  
فضحك معاوية ، وكان مثنى بن أوس مسترصعاً في مزية .

سمعت الحسين بن إسحاق الأصفهاني يقول : كتب علي بن حجر السدي  
إلى بعض إخوانه :

أحس إلى عتابك ، غير أني أجلبك عن عتاب في كتب  
ونحن إذا التقينا قبل موت شفيت غليل صدري من عتابي  
وإن سبقت بنا أيدي المنايا فكم من عتاب تحت التراب  
وأنشدي عبد العزيز بن سليمان الأعرش :

صائف عندي للعتاب طويته ستشر يوماً ، والعتاب بطول  
كتاب لعمري لا تمان يحطه وسوف يؤديه إليك رسول  
سأكتب إن لم يجمع الله بيننا وإن عتبع يوماً فسوف أقول  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل أن لا يقصر عن معاتبة  
أبيه على ربه : لأن من لم يعاتب على الزلة لم يكن بحفظ للخلة ، ومن أعتب  
لم يدب ، كما أن من اعتذر لم يعاقب ، وطاهر العتاب خير من مكتوم الخقد ،  
ورب عتب أنفع من صفح ؛ ولذلك أنشدي محمد بن إسحاق الواسطي :

إذا ما مروا ساءتلك منه حقيقة فكأنته ، فالوفن في ذاك تركب  
لعلك لو عانته ، نعم كُنته لعمرك ، حتى لم تكن تتعصب  
وأنشدي السكري :

فإن تكن العتي فأهلاً ومرحباً وحق لها الضبي لدين وقست

وإن تكن الأخرى ، فإن وراءها مغاور لو سرت بها العيس كَلَّت  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يحب على العاقل أن يناقش على تصحيح  
الإعتاب بالإكثار مخافة أن يعود العتاب إلى ما عوتب عابه ؛ لأن من عاتب على  
كل ذنب أخاه ، تحقيق أن يعلمه ويفلأه ، وإن من سوء الأدب كثرة لعتاب ،  
كما أن من أعظم الحياء ترك العتاب ، والإكثار في المعاتبة يقطع الود ، ويورث الصد  
ولقد أنشدنى عبد الله بن أحمد النقيب البغدادي لابن نمير :

معاتبة الإلئين تحسنُ مرّةً      فإن أكرهوا إدماسها أفد الح  
إذا شئت أن تُقلّ فرز متاعها      وإن شئت أن تزداد حُبّاً ، فرز غيّا  
وأنشدنى محمد بن أبى على الصيدارى<sup>(١)</sup> :

إذا كنت في كل الأمور معاتبا      حليتك لم تلق اللى لانتاته  
فعلش واحداً ، أو صل أخاك فإنه      مقارف ذنب مرةً ومحاسنه  
إذا أستم تشرب مِراراً على القدى      طمِئت ، وأى أناس تصفو مشاربه؟  
أخبرنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن الحسن الدهلي عن أبى لسائب قال :  
قال على بن أبى طالب رضى الله عنه « لا تكثر العتاب ، فإن العتاب يورث  
الضعيفة والبغضة ، وكثرته من سوء الأدب »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت ما يشاكل هذه الحكايات في كتاب  
« مراعاة الإخوان » ، فأعنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

### ذكر استحباب قبول الاعتذار من المعتذر

أنما أنا على بن الحسن بن عبد الجبار - بنصيبين - حدثنا على بن حرب الطائى  
حدثنا وكيع عن الثوري عن ابن جريج عن العباس بن عبد الرحمن بن مينا عن

(١) تنسب الأبيات لبشار بن برد .

جودان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اعتذر إلى أخيه فلم يقبل كان عليه مثل حطينة صاحب مكس »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أنه خائف أن يكون ابن حريج رحمة الله ورسوله عليه دلس مد ، الخبر بأن سمعه من العباس بن عبد الرحمن فهو حديث حسن . فالواجب على العاقل إذا اعتذر إليه أخوه لجرم مسمى ، أو تقصير سبق ، أن يقبل عذره ، ويحمله كمن لم يذنب ؛ لأن من تَصَلَّ إليه فلم يقبل أحف أن لا يَرِدَ الخوض على المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومن قَرَطَ منه تقصير في سب من الأسباب بحب عليه الاعتذر في تقصيره إلى أخيه ولقد أشدنى محمد بن عبد الله بن زنجي البغددي :

إذا اعتذر الصديق بك يوماً من التقصير عذر أخ مُقَرَّرٌ  
فصنه عن جفائك ، وعَفُ عنه فإن الصفيح سيئة كل حُرٍّ  
وأشدنى محمد بن إسحاق الواسطي :

شفيع من أسلمه جرمه إقراره بالجرم والدنب  
وتوبة المدب من ذنبه إعتاب من أصبح ذا عتب

أباً عمرو بن محمد ، حدثنا الفلاحي ، حدثنا ابن عائشة ، قال : غصب سليمان ابن عبد الملك على خالد بن عبد الله ، فلما دخل عليه قال : يا أمير المؤمنين ، القدرة تذهب الحفيظة ، وأنت تجل عن العقوبة ، فإن تعف فأهل ذلك أنت ، وإن تعاقب فأهل ذلك أنا ، قال : فعفا عنه .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب للمرء أن يستنر بحيلة إلى من لا يجب أن يمد له عذراً ، ولا يجب أن يكثر من الاعتذار إلى أخيه ؛ فإن الإكثار من الاعتذار هو السبب المؤدى إلى التهمة ، وإلى استعجاب الإقلال من الاعتذار على الأحوال كلها ، لعلمى أن المماذير يعتربها الكذب ، وقل ما رأيت أحداً



اعتذر إلا شات اعتذاره بالكذب ، ومن اعترف بلزلة استحق اصفح عنها ،  
لأن دُلَّ الاعتذار عن الزلة يوجب تسكين الغضب عنها ، والاعتذار إذا كان محضاً  
حصص في قومه ، ودلَّ في فعله ، كما أشدى المتعصر بن ملال :

أيارت قد أحصت عوداً ومدأةً إلى ، فلم يهص باحسانك الشكر  
فمن كان ذا عذر إليك وحجةٍ بعدى إرارى بأن لس لي عذر  
وأشدى الكربرى :

و،ي وإن أظهرت لي منك جفوةً وأنزمتي ذنباً وإن كنت مجرماً<sup>(١)</sup>  
لراضٍ لىسى مريضاً لها به أراك بها مى أبراً وأرحم  
أنبأنا محمد بن عثمان العتيبي ، حدثنا الفيض بن الجهم التميمي ، حدثنا عبد الله  
ابن حبيب قال : كان يقال : احتمل من ذل عيك ، وأقبل من اعتذر إليك .  
أبناء بكر بن محمد بن عبد الوهاب القزاري - بالبصرة - حدثنا إسماعيل بن  
إبراهيم أبو بشر قال : سمعت أبي قال : حدثنا سارك بن قضة عن حميد الطوس  
عن أن قلابة ، قال : إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له عذر ، فإن لم  
تجد له عذراً فقل : لعل له عذراً لا أعلمه .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب للمرء أن يعلن عتوبته من لم يعلن  
ذنبه ، ولا يجوز المعتذر في اعتذاره من أحد رجلين : إما أن يكون صادقاً في  
اعتذاره ، أو كاذباً ؛ فمن كان صادقاً فقد استحق العفو ، لأن شر الناس من لم  
يقبل العورات ولا يستر الزلات ، وإن كان كاذباً فالواجب على المرء إذا علم من  
المعتذر ثم الكذب ورينته وخضوع الاعتذار ودلته أن لا يعاقبه على الذنب السالف

(١) إن الأخيرة نافية ، والمعنى : وما لم أكن في الواقع مجرماً ، على حد قوله تعالى  
( ٣٥ : ٤١ ) إن أمكهما من أحد من بعده ) وقوله ( ٧٢ : ٢٥ ) إن أدري أقرب  
مانوعدون ) .

بل يشكر له الإحسان المحدث ، لدى جاء به في اعتدائه ، وليس يعيب المعتذر  
إن دَلَّ وحُضِعَ في عتدائه إلى أخيه .  
وأشدى الأبرش :

هَبْنِي أَسَاتُ ، كما زعمت ، فأين عاطفة الأحوّة ؟  
أو إن أسأت ، كما أسأت ، فأين فضلك والمروّة ؟  
وأشدى على بن محمد البسامي :

هَبْنِي مَسِينًا كَالَّذِي قَلْتَ ظَالِمًا      فَعَفُوْهُ حَمِيلٌ كَيْ يَكُونَ لَكَ الْعَصَدُ  
فَإِنْ لَمْ أَكُنْ لِلْعَفْوِ مِنْكَ - لَسُوهُ مَا      أَتَيْتُ بِهِ - أَهْلًا ، فَأَنْتَ لَهُ أَهْلُ  
وأشدى ابن رنجي البغدادي :

هَبْنِي أَسَاتُ ، وَكَانَ حُرْمِي      مِثْلَ حَرَمِ أَيْ لِمَا  
فَأَنَا أَتُوبُ كَمَا أَسَأْتُ      ت. وَكَمْ أَسَاتُ فَمَ تَنْبُ ؟

وأشدى محمد بن أبي علي ، أشدما الرعي عن الأصمعي :  
أَتَيْتُكَ تَذِيْبًا مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ      وَحَيْرَ النَّاسِ مِنْ أَلْطَفِ تَتَابَا<sup>(١)</sup>  
أَلَيْسَ اللَّهُ يُسْتَعْفَى بِعَفْوِهِ      وَقَدْ مَلَكَ الْعَقُوبَةُ وَالتَّوْبَا  
وأشدى محمد بن إسحاق الواسطي :

عَصَبْتُ وَتَبْتُ ، كَمَا قَدْ عَصَى      وَنَابَ إِلَى رَبِّهِ آدَمُ  
فَقُلْ قَوْلَ يُوسُفَ لَا تَثْرِبًا      لَكُمْ يَغْفِرُ الْعَصَا الرَّاحِمُ  
أبيانا محمد بن المهاجر المذلل ، حدثنا محمد بن عبد الله الجرجي عن حميد بن  
سنان النخعي - وكان يديماً لأبي دَلْفٍ - قَالَ : دَحِيتُ عَلَى أَبِي دَلْفٍ يَوْمًا ،  
وَبَيْنَ يَدَيْهِ كِتَابٌ وَهُوَ يَضْحَكُ ، فَقُلْتُ : هَذَا كِتَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ، وَفِيهِ  
أَيُّتُ أَحَبُّ أَنْ أَشْدُكَ إِيَّاهَا ، وَذَلِكَ أَيْ كُنْتُ اسْتَبْطَأْتُهُ فِي بَعْضِ الزَّامِرَاتِ ،  
فَكُتِبَتْ إِيَّاهُ :

(١) أخطأ : أصله أخطأ ، فقلب الهمزة ألفاً لانفتاح ما قبلها .

أرى وذاك كالأورد ليس بدائم ولا خير فيمن لا يدوم له عهد  
وودي نك كالأس حسداً وسهجة له نصرة تبقى إذا هي لورد  
فكتب إلى هذه الأبيات :

شئت ودي الورد ، فهو مث كل واحد زهر إلا وسيد الورد ؟  
وشئت منك الود ، الأس في البق ولم تحلف التشيه عليك ولم تمد  
فودك كالأس المرير مذاقه وليس له في ربح قبل ولا بعد

أخبره عبد الكبير بن عمر الخطابي ، ببصرة ، حدثنا أبو حاتم السجستاني عن  
الأصمعي قال : حدثني عيسى بن عمر قال : كان لأبي الأسود الدؤلي صديق ،  
فراى منه بعض ما يكره ، فقال أبو الأسود :

رأيت امرأة لم أكن أبه<sup>(١)</sup> أتاني ، فقال : اتخذني خليلاً  
فخالته ، ثم صابته فلم ينقص الود منه فتبلا  
فراجعتني ، ثم عاتبته عتاباً رفيقاً ، وقولا جميلاً  
فأعنته غير متعجب ولا ذكر الله إلا قليلاً  
أنت حقيقاً توديه وأسمع ذلك هجراً ضويلاً

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الاعتذار يذهب الموم ، ويحلى الأحرار ،  
ويدفع الحقد ، ويذهب الغد ، والإقلال من استغرق فيه الجنائيات المظلمة  
والذنوب الكثيرة ، والإكثار منه يؤدي إلى الاتهام وسوء الرأي ، فلم يكن  
في اعتذار المرء إلى أخيه حيلة نحمد إلا نبي التعجب عن النفس في الحال لكان  
الواحب على العاقل أن لا يفارقه الاعتذار عند كل زلة.

(١) هكذا في الأصل ، والمحفوظ رأيت امرأة ، كنت لم أبه ، إلخ ، مع بعض

واقعد أشدنى الكرى :

فاظفر إلى طرف غير ذى مرض      وطل ما صبح لي من طرفك النظر  
 'درك بفضلك عظمًا كنت تحفه      واجمع رققك ما قد كاد ينتشر<sup>(١)</sup>  
 أنبأ عمرو بن محمد الأنصري ، حدثنا الغلابي ، حدثت مهدي بن سائق ،  
 حدثنا عطاء بن مصعب قال : قدم عبد الرحمن بن عتبة بن سعيد ، على ممن بن  
 زائدة باليمن ، وكانت بينهما عداوة ، فلما رآه قال له : يا عبد الرحمن ، بئى وجه  
 أنتنى ؟ ولأى خير أملى ؟ قال : أصلح الله الأمير ! اسمع منى حتى أشدك  
 بيتين قالها نصيب بن عبد العزيز بن مروان ، قال : وما هما ؟ فأشده :

لو كان فوق الأرض حى فعاله      كفعلك ، أو لفعل منك مقارب  
 لقلت له هذا ، ولكن تعدرت      سواك على المستعين لمذهب  
 فقال : أقم ، فإنى لا أراخذك فيما مضى ، ولا أعنتك فيما بقى .

أبانا الخلالى حدثنا محمد بن موسى السمرى عن حماد بن إسحاق ، قال ابن  
 السكك لمحمد بن سليمان ، أو حماد بن موسى لكاتبه ، ورآه كالمعرض عنه : ما لى  
 أراك كالمعرض عنى ؟ قال : بنغى عنك شئ كرهته ، قال : إذا لا أبالى ، قال : ولم ؟  
 قال : لأنه إن كان دنبا عفرته ، وإن كان باطلا لم تقبله ، قال : فعاد إلى المؤاساة .  
 قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت ما يشاكل هذه الحكايات فى كتاب  
 « مراعاة العشرة » ، فأغنى ذلك عن تكرارها فى هذا الكتاب .

### ذكر الحث على لزوم كتمان السر

أبانا محمد بن سليمان بن فارس الدلال ، حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد  
 العبدى ، حدثنا المهيم بن أيوب العطار السلمى ، حدثنا سهل بن عبد الرحمن عن  
 محمد بن مطرف أبى عسان عن محمد بن المنكدر عن عروة عن أبى هريرة قال :

(١) ينتشر : يتفرق ويذهب ههنا وههنا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استعينوا على الحوائج ككتان السمرة ؛ فإن لكل نعمة حاسداً »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : هذا إسناد حسن ، وطريق غريب ، إن كان عمرو هذا هو ابن الزبير بن العوام ، وسعيد بن سلام ما أرى حفظ حديثه ؛ فلذلك تنكبت <sup>(١)</sup> عن ذكره .

فالواجب على من سلك سبيل ذوى الحجب لروم ما انطوى عليه الصمير بتركه إبداء المكور فيه ، لا إلى ثقة ولا إلى غيره ؛ فإن الدهر لا بد من أن يصر صرمانه ، فيوقع صدأ الوصل بينهما بحالة من الأحرار فيعترحه وجود صد ما انطوى عليه قديم من وفاته إلى محبة الخروج ماسكية إلى جمائه ، فإداء مكتوماته ، والكشف عن محيآته .

ولقد أبانا محمد بن عثمان العتيبي ، حدثني محمد بن عبد الكريم العسدي ، حدثنا بكر بن يونس بن كبير ، حدثني موسى بن علي عن أبيه عن عمرو بن العاص أنه قال : عجبت من ارحل يفر من القدر ، وهو موافقه ، ومن الرجل يرى لقدادة في عين أخيه ، ويدع الجذع في عينه ، ومن الرجل يخرج الصن من موضع ويدع الصن في نفسه ، وما دمت على أسرقط لأممت نفسي على تندي عيه ، وما وضعت سري عند أحد فامته على أن يفشيه ، كيف ألومه وقد ضقت به ؟  
وأشدني على بن محمد السامي

تبيع سرك صيقاً به	وتبعي لسرك من بكم
وكتاتك السر عن تخاف	ومن لائحته أكرم
إذا ذاع سرك من مخد	فانت ، وإن لمسه ، ألوم
وأشدني عبد العزيز بن سليمان :	

إذا ضاق صدر المرء عن بعض سره فلقه في صدري ، فصدري أصيق

ومن لامي في أن أصيغ سره وصيغته قبلي ، قدر السر أحرق<sup>(١)</sup>  
أحبرنا محمد بن المهاجر بعدل ، حدثنا أحمد بن محمد الصيداوي ، حدثنا حماد  
ابن إسحاق عن المدائني قال : كان يقال : أصبر الناس الذي لا يفشي سره إلى صديقه  
مخافة أن يقع بينهما شيء فيفشي ، وأشدني البعدادي :

صن السر بالسكتان يرصيك غيبه فقد يظهر المرء المصيع فيندم  
فلا تلجئن سرّاً إلى غير حرزه فيظهر حرره لسوء ما كنت تكتم  
وأشدني محمد بن إسحاق الوسطي :

إذا لم لم يحفظ سريرة نفسه وكان لسراً الأئح غير كتوم<sup>(٢)</sup>  
فبعداً له من ذي أئح ومودة وليس عي ود له بمقيم  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : من حصّن لكتمان سره تمّ له تديره ، وكان  
له الظفر بما يريد والسلامة من العيب والسرور ، وإن أخطأه التمكن والظفر ،  
والحازم يحمل سره في وعاء ، ويكتمه عن كل مستودع ؛ فإن اضطره الأمر  
وغبه أودعه العاقل الناصح له : لأن السر أمانة ، وإفشاؤه خيانة ، والقب له  
وعاؤه ، فمن الأوعية ما يضيع بما يودع ، ومنها ما يتسع لما استودع .

وأشدني الكريزي :

احمل لسرك من فؤادك مدولا لاستطيع له اللسان دخولا  
إن للسان إذا استطاع إلى الذي كتم المؤاد من الشئون وصولا  
ألبيت سرك في الصديق وغيره من ذي العداوة فاشياً مدولا  
وأشدني استصر بن بلال الأنصاري :

سكتته سري ، وأكتم سره ولا غرني أني عليه كريم  
حليم فيمشی ، أو جهول يديعه وما الناس إلا جاهل وحليم  
أحبرني محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا إبراهيم بن الجعيد ، حدثني علي بن عيسى

(١) أحرق : أحمق . (٢) الأئح : ههنا بتشديد الحاء ، وهي لعبة .

عن محمد بن زياد عن ابن الأعرابي قال : كان يقال : العاقل من حذر صديقه ،  
وأشدى بعض إخواننا :

أعمر كتمان القتي سر ماوى      أعت وأدى للرشد وأكرم  
وأجل في ث الخديت مفاته      وأحسن في الأخلاق دوما وأحزم  
وأشدى الكريزى :

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سره      فأت ذا حنته النفس أصيح  
ويصحت في وجهي إذا ما لقيته      ويبشى بالغيب يوما ويلسم  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الإفراط في الاسترسال بالأسرار عجز ، وما كتمه  
المرء من عدوه فلا يحب أن يظهره لصديقه ، وكفى لدى الألباب عبراً ماجر بوا ،  
ومن استودع حديثاً فليستر ، ولا يكن مهنأ كما ، ولا مشياً ، لأن السر إنما سمي  
سراً لأنه لا يفتش

فيجب على العاقل أن يكون صدره أوسع لسره من صدر غيره بأن لا يفتشه .  
ولقد أبا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن يعقوب الأعلم  
قال : أنشدني محمد بن سليمان بن سلام الجمحي لرجل من عند شمس :

إذا ماضاق صدرك عن حديث      فأفشاء الرجال ، فمن تلوم  
إذا عاتبت من أفشى حديثي      وسرى عنده فانا الظالم  
وإني يوم أسام حمل سري      وقد صمته صدرى سؤوم  
مت محدث سري حليلى      ولا نفس إذا حصرت هموم  
وأطوى السر دون الناس ؛ إني      لما استودعت من سر كنوم  
وأنشدني علي بن حيدة الكاتب ، قال : أنشدنا عبد الرحمن بن سدار  
لشيطان الطاق :

أمت السر بكلمات ولا      بسمع منك إذا استودعت سر

فإذا صفت به درعا ، فلا نصمن سرك إلا عد حر  
 أنانا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا الرمادي ، حدثنا مسدد قال : سمعت ابن  
 داود يقول : سمعت الأعمش يقول : يضيق صدر أحدكم سره ، حتى يحدث به ،  
 ثم يقول : اكتبه علي .

وأنشدني إبراهيم بن علي الظفري <sup>(١)</sup> أشدني الحسين بن عبيد الله :  
 لا يكتنم السر إلا من له شرف والسر عد كرام الدس مكثوم  
 السر عندى في بيت له غلق ضمت مفاتيحه والباب محتوم  
 أما الخلالدي ، حدثنا أحمد بن عبد الله بن شعاع البياضي ، قال : أنشدنا  
 عبد الرحمن بن محمد :

وإلى لأسى السر كيا أصوبه فيا من رأى شيئا يُصان بأن ينسى  
 مخافة أن يجرى بيلك ذكره فيحمله قسي إلى منطق حلت  
 قال أبو حاتم رضي الله عنه : الظفر بالحزم ، والحزم باجالة الرأي ، وأمرأى  
 بتحسين الأسرار ، ومن كتم سره كانت الخيرة في يده ، ومن أنبا الناس بأسراره  
 هان عليهم وأذاعوها ، ومن لم يكتنم السر استحق الندم ، ومن استحق الندم صار  
 نافص العقل ، ومن دام على هذا رجع إلى الجهل .

فحسين السر للعاقل أول به من التلطف بالندم بعد خروجه منه .  
 ولقد أحسن الديقول :

حشيتُ ساني أن يكون خؤونا فأودعته قلبي ، مكان أميننا  
 فقلت ، ليخفي دون شخصي وما ظري : أيا حرَكاني كن في سكوتا  
 أنبأنا إبراهيم بن إسحاق الأعملى ، حدثنا محمد بن سليمان اللصيصي ، حدثنا  
 ابن عيينة عن ابن شبرمة عن الحسن في قوله تعالى ( ٣ : ١٥٩ ) وشاورهم في الأمر

(١) وجد في هامش الأصل « نسخة الطريقي » .



قال : ما كان يحتاج إليهم ، ولكن أحب أن يستنّ به مَنْ بعده .  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : المستشار مؤتمن ، وليس بصامن ، والمستشير  
متحصن من السقط ، متخير للرأى

والواجب على العاقل السالك سبيل ذوى الحجب : أن يعلم أن المشاورة تنفى  
الأسرار ، فلا يستشير إلا الملبى الناصح الودود العاقل فى دينه . وإرتداء الشَّيْخِ  
المستشير قضاء حق النعمة فى الرأى ، والمشورة لا تخلو من البركة إذا كانت مع  
مثل من وصفنا نفعته .

ولقد أنبأنا عمرو بن محمد ، حدثك العلانى ، حدثنا بن عائشة ، قال : قال الحسن  
ماحزب<sup>(١)</sup> قوماً قط أسرها فاجتمعوا فمشوروا فيه إلا أرشدهم الله لأصوبه .  
وأشدى الكرى :

دَرَّ إِذَا مَارَمْتَ أَمْرًا بِفِكْرَةٍ      لتعلم مائتاتى وما تتجرب  
وشاور نقيّ الرأى عند التباسه      لكى يصيح الأمر الذى هو أصوب<sup>(٢)</sup>  
وأشدى المتصر بن لبال :

لا نسبقنّ الناس بالرأى واتد      عليك إن تعجل إلى القول نزل  
ولكن تصفح رأى من كان حاضراً      وقل نعمهم رسلاً ، وبالحق فاعمل  
أنبأنا محمد بن عثمان القتيبي ، حدثنى يحيى بن يزيد بن محمد الأبلّ ، حدثنى  
إسماعيل بن حبيب أبو حميد الأبلّ عن عبد الله بن الدبلى عن وهب بن منبه  
أنه قال : فى التوراة أربعة أحرف مكتوبة : من لم يشاور يندم ، ومن استغنى  
استأثر ، والفقر الموت الأحمر ، وكما تدين تُدان .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا أَسْ آتَسُ مِنْ استشارة عاقل ودود ، ولا  
وحشة أوحش من مخالفته ؛ لأن المشاورة والمناظرة بابا بركة ومفتاح رحمة ،

(١) حزيم : اشتد عليهم وشق .

(٢) يصح : مزارع وصح ، إذا اشتد ظهوره .

ومن استشير فليشر بالصيحة ، وليحتد بالرأى ، وليبرم الحق ، وقصد السبيل  
وليجعل المستشار كمنه ترك الحياة ، ونزل الصيحة ، ويكون كما أشدنى على  
ابن محمد السامى :

ومن الرجال إذا زكت أعلامهم من ينشر إذا استشير فيطرق  
حتى يحول بكل واد قلبه فيرى ويعرف مايقول وينطق  
إن الحليم إذا تفكر لم يكذب يحفى عليه من الأمور الأوقى  
أما أبو يعلى ، حدثنا غسان بن الربيع ، حدثنا يزيد بن ثابت عن عيسى  
ابن زعزل عن الحسن ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ماشور قوم قط  
إلا هودوا إلى رشدهم » .

أخبرني محمد بن المنذر ، حدثنا أحمد بن خالد السيرافى ، حدثنا شيبان ، حدثنا  
أبو الأشهب قال : قال الحسن : لا يندم من شور مرشدا .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل إذا استشير قوة هو فهم  
أن يكون آخر من يشير : لأنه أمكن من الفكر ، وأبعد من الزلل ، وأقرب من  
الحزم ، وأسلم من السقط ، ومن استشار فلينعذ الحزم بأن لا يستشير عاجراً ، كما أن  
الحارم لا يستعين كسيلاً ، وفي الاستشارة عين الهداية ، ومن استشار لم يعد مرشداً ،  
ومن ترك المشاورة لم يعد غياً ، ولا يندم من شور مرشداً ، ولقد أشدنى الواسطى :

الهم ما لم تمضه لسيله سقم القلوب وآفة الأبدان  
ومقول الرجل الموفق رأيه عند اعتراض طوارق الأحزان  
وإذا الحوادث سددت أسبابه كان الناصر أمجد الأعوان  
وإذا أضل سبيله تديره طلب الهدى بتشاور الإخوان  
أبانا محمد بن عثمان العقبى ، حدثنا مطروح بن شاكر ، حدثنا أصبع عن ابن  
وهب عن إبراهيم بن شبيب عن ابن أبي حسين قال : كان يقال : ماهلك امرؤ  
عن مشورة ، ولا سعد بتوحد .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من شيم العاقل عند النائبة منوره : أن يثور عاقلاً ، صحاً ذا رأى ثم بطيئه ، وليعتزف للحق عند المشورة ، ولا يتعاضى في الباطل ، بل يقبل الحق بمن جاء به ، ولا يحقر رأى الجليل إذا أتاه به الرجل الحقير ؛ لأن اللؤلؤة أخطر لا يشبهها قلة خطر غاصها لدى سخر حها ، ثم ليستخر الله ، ويمص فيها أشر عليه : ولقد أنشدني البغدادي :

أطعم الخليم إذا أطعم عصبك    إن الخيم إذا عصاك هذا كما  
وإذا استشارك من تود ، فقد له :    أطعم الخليم إذا الخليم بها كما  
ولس أبيت لتأين خلاقه    أرى يحوطك ، أو يكون هلاكاً  
واعلم بأنك بن تسود ، ولن ترى    سل الرشاد إذا أطعت هواك  
أبنا أبو محمد عبد الرحمن بن عبد المؤمن بجرخان ، حدثت محمد بن حميد الزرار حدثنا جرير عن ابن المقفع عن وزير كسرى قال : ثلاثة لس لهم رأى ، فلا تستبروهم : صاحب الخف الصيق ، وحقن البول ، وصاحب المرأة لسوء السبيطة <sup>(١)</sup> .

### ذكر الخث على لزوم النصيحة للمسلمين كافة

أنما الحسين بن محمد بن أبي معشر - بجران - حدثنا عبد الرحمن بن عمرو البجلي ، حدثنا زهير بن معاوية عن سهيل بن أبي صالح عن عطية بن يزيد الليثي عن تميم الداري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدين النصيحة ، فبين لمن يارسول الله ؟ قال : لله ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم » قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم النصيحة للمسلمين كافة ، وترك الخيانة لهم بالإحصار والقول والفعل معاً : إذ المصطفى صلى الله عليه وسلم كان يشترط على من فامعه من أصحابه « النصيح بكل مسلم » مع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة .

(١) السبيطة : أى الذينة اللسان التي تكثر من قوا اسوء .

وأخبرني محمد بن أبي علي الحلادي ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلي عن أبي السائب قال : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه « لا تعمل بالخديعة فإياها خلق اللئام ، واتحصن أحاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة ، وزل معه حيث زال » .  
وأنشدني الكريزي :

قل للنصيح الذي أهدى نصيحتـه      سرّاً إلينا ، وسامته التكاليفُ  
النصح ليس له حدٌّ فتعرفه      والنصح مستوحش منه ومألوف  
حتى إذ صرَّحتَ غناً عواقبه      كانت لنا عِظَةً منه وتغنيف  
لو كان للنصح حدٌّ يستبين به      ما نالنا خسارة منه وتلهيف  
لكن له سُلٌّ شتى محلقة      بعضٌ لعص ، فجهول ومعروف  
والناس عاور ، وذورشد ، ومحتلط      والنصح ممضًى ، ومردود ، وموقوف  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : حير الإخوان أشدهم مباغة في النصيحة ، كما  
أن حير الأعمال أخذها عاقبة ، وأحسنها إحلاصا ، وضرب الناصح خير من  
نحية الشاني .

ويجب أن يكون للعاقل نصيحة مبدولة للعامة أكثر مما من العام والخاص ما قدر  
عليه ، وليس الناصح بأولى بالنصيحة من المنصوح له .

وأبانا عمرو بن محمد ، حدثنا العلاءي ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن القاسم  
التميمي ، حدثني أبي قال « لما قدم على الكوفة لقيه المنيرة بن شعبة ، فقال له :  
إني أشير عليك برأى فاقبه ، قال : هات ، قال : أقرّ معاوية على الشام ، يسمح  
لك طاعته ، فإن أهل الشام قد ذاقوه فاستمدوه ، ووليهم عشرين سنة لم يعتبوا  
عليه ، ولم يعتبوه في عرض ولا مال ، فقال : والله لو سألتني قرية ما وليته إياها ،  
قال : فقال المنيرة : أراه سئل أرحمين وقرّيات »

أبانا محمد بن المهاجر ، حدثنا ابن أبي شيبة ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ،

حدثنا ابن المبارك عن معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قال « المؤمن شعبة من المؤمن ، وهو مرآة أخيه ، إن رأى منه ما لا يحب سدده وقومه ونصحه في السر والعلاية » وأشدنى علي بن محمد الساسي :

أُمنْتُ على السر امرأ غير حارم      ولكنني في النصيح غير مريب  
مدّاع به في الناس ، حتى كُأنا      عطياء نازٍ أوقدت بثقوب  
ما كل ذي لب عمّوك نصحه      وما كل مؤت نصحه بليب  
ولكن إذا ما استجمعا عند واحد      فحقّ له من طاعة نصب

سمعت محمد بن نصر بن نوفل الروري ، يقول : سمعت أبا داود السنجي يقول : سمعت ابن الأعرابي يقول : قال بعض الحكماء « اثنان ظالمان : رجل أهديت له النصيحة فآخذها ذنباً ، ورجل وسّع له في مكان صيق فجلس مترعاً » قال أبو حاتم رضي الله عنه : النصيحة محاطة بالهمة ، وليست النصيحة إلا لمن قبلها ، كما أن الدنيا ليست إلا لمن تركها ، ولا الآخرة إلا لمن طبعها ، وليس على كل ذي نصيح إلا الجهد ، ولو لم يقبل من صحائه ما ينقل عليه لم يحمّد عبّ رأيته ، ومشاورة الأعمى أحد من الناصح المعرض عنه ، ومن بذل نصيحة لمن لا يشكر كان كالباقر في السبخ ، وأكثر ما يوجد ترك قبول النصيحة من المعجب برأيه ، وأشدنى الأبرش :

إذا نصحت لذي عجب لترشده      فم يطمك ، فلا تنصح له أبدا  
فإن ذا العجب لا يعطيك طاعته      ولا يُحبب إلى إرشاده أحدا  
وما عليك ، وإن عاوى غوى حقّاً      إن لم يكن لك قرى ، أو يكن ولدا  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : النصيحة تجب على الناس كافة على ما ذكرنا قبل ؛ ولكن إذا واهل لا يجب إلا سرّاً ؛ لأن من وعظ أخاه علانية فقد شانه ، ومن وعظه سرّاً فقد رانه ، فالأغ الحفود المسلم بها يرين أخاه أخرى من القصد فيها يشبهه .

ولقد أباها محمد بن عثمان المقي حدثنا الرمادي حدثنا علي بن المديني حدثنا  
سعيد قال : قلت لمسلم « تحب أن يجررك رجل ميو بك ؟ قال : أما أن يحسب  
إسنان فهو يخشى بها فلا ، وأما أن يحسب : ناصح فنعم » .

أخبرنا محمد بن أبي علي انحلاي حدثنا محمد بن المغيرة التوملي حدثنا محمد بن  
علي الشقيق حدثنا أبي عن ابن المبارك قال « كانت الرجل إذا رأى من أخيه  
ما يكره أمره في ستر ، وسهائه في ستر ، فيؤجر في ستره ، ويؤخر في سبه » ، فأما  
ليوم فلذا رأى أحد من أخدماء يكره استغضب أخاه ، وهتك ستره »

أخبرنا محمد بن سعيد المقرار حدثنا محمد بن منصور حدثني علي بن المديني عن  
سفيان قال . جاء طلحة إلى عبد الجار بن وائل - وتلقاه قوم - فساءه شيء ،  
ثم بصرف ، فقال : أتدرون ما قال لي ؟ قال : رأيتك التفت أمس وأنت نصلي  
قال أبو حاتم روى الله عنه : النصيحة إذا كانت على نعت ما وصفنا نقيم  
الألفة ، ونؤدى حق الأمانة .

وعلاوة الناصح إذا أراد زينة المصوح له أن ينصحه سراً ، وعلاوة من  
أراد شيه أن ينصحه علانية ، فليحذر العاقل نصحه الأعداء في السر والعلانية .  
ولقد أنشدني ابن رجب البغدادي :

وكم من عدو فعلن لك صحة      علاية ، والعش تحت الأصابع  
وكم من صديق مرشد قد عصيته      فكنت له في الرشد غير مطوع  
وما الأسر إلا بأسواقب : إنها      سيبدو عيبها كل سر وفائع  
وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

وصاحب غير مأمون غوائله      يبدى لي النصيحة منه وهو مشتمل  
على خلاف الذي يبدى ويظهره      وقد أحطت بعلى أنه دغل  
عبوت عنه انتظاراً أن ينوب له      عقل إليه من الزلات نقتل

دهرا فلما بدا لي أن شيئا عس ريس له عن ذلك فمتقل  
تركته ترك قال لا رجوع له إلى مودته ما حمت الإبل<sup>(١)</sup>  
أخبرنا عبد الله بن محمد الفيراطي حدثنا محمد بن يزيد النقيب يحمش حدثنا  
يعلى بن عبيد حدثنا أبو حيان عن أبيه قال : كتب الربيع بن خثيم وصية :  
« سم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به الربيع بن خثيم ، وأشهد عليه ،  
وكفى بالله شهيدا وجازيا لعباده الصالحين شيئا ، إني رضيت بالله ربا ، وبالإسلام  
دينا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ، وأن يعبد الله<sup>(٢)</sup> من أطاعني في العبادين  
وبحمده في الحامدين ، وينصح الجماعة المسلمين »

#### وصية الخطاب بن المعلی المخزومي ابنه

أخبرني محمد بن المدر بن سعيد حدثنا أبو حاتم محمد بن إدريس الحطلي  
حدثني عبد الرحمن بن أبي عصية الحمصي عن الخطاب بن المعلی المخزومي القرشي  
أنه وعظ ابنه فقال « يا بني ، عليك بتقوى الله وطاعته ، وتحب محارمه باتباع  
سنته ومعاله ، حتى تصح عيوبك ، وتقر عينك ، فيها لا يحى على الله خافية ،  
وإني قد سمعت لك ومما ، ووصعت لك رسما ، إن أت حفظته ووعيته وعمات  
به ملأت أعين الملوك ، واعتاد لك به الصلوك ، ولم تزل مرتحيا مشرفا محتاج  
إليك ، وبرعب إلى ما في يديك ، وأطع أمرك ، واقتصر على وصية أبيك ، وفرغ  
لذلك ذهنك ، واشغل به قلبك ولذتك ، وإياك وهذر الكلام ، وكثرة الضحك  
والمزاح ، ومهازلة الإخوان ، فإن ذلك يذهب السناء ، ويوقع الشقاء ، وعليك  
بالرزانة والتوقر ، من غير كبر يوصف منك ، ولا خيلاء تحكى عنك ، والقي  
صديقك وعدوك بوجه الرضى ، وكف الأذى ، من غير دألة لم ولا هيبة منهم ،

(١) الإبل لا تترك الحظير ، فهذه كناية عن دوام تركه إياه .

(٢) في الأصل « وأن يعبد الله ومن أطاعني » والواو مفتحة .

وكن في جميع أمورك في أوسطها ، فإن حير الأمور أوسطها ، وقلل الكلام ،  
وأفش السلام ، وامش متمكناً قداماً ، ولا تخط برحلك ، ولا تسحب ذيلك ،  
ولا تنو عُنقك ، ولا ردائك ، ولا تنظر في عطفك ، ولا تكثر الالتفات ، ولا  
تقف على الجماعات ، ولا تتخذ السوق محسباً ، ولا الخوايت متحدثاً ، ولا تكثر  
المراء ، ولا تنارع السفهاء ، فإن تكلمت فاختصر ، وإن مزحت فاقصر ، وإذا  
جلست فترع ، وتحفظ من تشبك أصابعك ونفقيهما ، والعيت بلحيتك وحاتمك ،  
وذؤابة سيفك ، وتحليل أسنانك ، وإدخال يدك في أمك ، وكثرة طرد الذباب  
عنك ، وكثرة الثاؤب والتمطى ، وأشبه ذلك مما يستنخه الناس منك ، ويغتمزون  
به فيك .

وليكن مجلسك عادياً ، وحديثك مقسوماً ، وأصع إلى الكلام أحسن ممن  
حدثك ، بعير إظهار عجب منك ، ولا مسألة إعادة ، وغض عن الفكاهات ،  
من المضحك والحكايات ، ولا تحدث عن إعجابك بوليك ، ولا جارييتك ،  
ولا عن فارسك ، ولا عن سيفك ، وإياك وأحاديث الرؤيا ، فإنك إن أظهرت  
عجباً شئ منها طمع فيها السفهاء ، فولدوا لك الأحلام ، واغتمزوا في عطفك ،  
ولا نصنع نصنع المرأة ، ولا تبدل تبدل العبد ، ولا تهلب<sup>(١)</sup> لحيتك ولا  
تسطها ، وثوق كثرة الحف ، وتنف الشيب ، وكثرة الكحل ، والإسراف في  
الدهن ، وليكن كلك غبياً ، ولا تلح في الحاجات ، ولا تحشع في الصليات ، ولا  
تعلم أهلك وولدك - فضلا عن غيرهم - عدد مالك ، فليهم إن رأوه قليلاً هنت  
عليهم ، وإن كان كثيراً لم تبلغ به رصامهم ، وأخفهم في غير عنف ، وإن لم في  
غير ضعف ، ولا تهازل أمتك ، وإذا حاصمت فتوقر ، وتحفظ من جهلك ، وتحجب

(١) هلب الشعر : تنف ما علط منه ، وتبطين النحية : أن لا يؤخذ مما تحت اللحية  
والحك من الشعر



عن عجلتك ، وتفكر في حُجَّتِكَ ، وأر الحاكم شيئاً من حلك ، ولا تنكر الإشارة بيدك ، ولا تحفز على ركبتك ، وتوق حرمة الوجه ، وعرق الحين وابن سعة عليك فأحلم ، وإنا هداً غصبتك فتكلم ، وأكره عرضك وألق لعضول عت ، وإن قرمت سلطان فكن مع عي حد السنان ، وإن استرس إليك فلا تأمن من انقلابه عليك ، وارفق به رفقت بالصبي ، وكله بما يشتهي ، ولا يحملك ما ترى من إبطائه إليك ، وخاصته بك : أن تدخل بينه وبين أحد من ولده وأهله وحشمه ، وإن كان لذلك منك مستمعاً ، والقول منك مطيعاً ، فإن سقطة الداخل بين الملك وأهله صرعة لا بهض ، ورثة لا تقال ، وإذا وعدت فحقق ، وإذا حدثت فاصدق ، ولا تنهر عنطقك كندرع الأسم ، ولا تحاوت به كتحذفت الأحرس ، وتخير محاسن القول بالحديث المقبول ، وإذا حدثت سماع فأنسه إلى أهله ، وإليك والأحاديث العابرة المشفوعة التي تنكرها القلوب ، وتنف لها الخلود<sup>(١)</sup> ، وإليك ومضعف الكلام مثل : نعم ، نعم ، ولا ، لا ، وعجل ، عجل ، وما أشبه تلك ، وإذا توضحت فأجد عزرك كعبك : وليكن وضعك لحرص<sup>(٢)</sup> من الأشرار في بك كفعلك بالسواك ، ولا تنجع في الطست ، وليكن طرحك الملك من فيك منزلاً ، ولا تمنع فتتصيح على أقرب حسائك ، ولا تعص نصف القصة ، ثم تعيد ما بقي منها منصيفاً ، فإن ذلك مكرره ، ولا تنكر الاستقاء على مائدة الملك ، ولا تعبت بالمشاش<sup>(٣)</sup> ، ولا تعب شيئاً مما يقرب إليك على مائدة بقلة خل أو قابل أو غسل ، فإن السعاية قد صيرت لنفسها مهابة ، ولا تمسك بمساك المشور ، ولا تذر تبذير السفية المروء ، واعرف في مالك واجب الحقوق ، وحرمة الصديق ، واستغن عن الناس محتاجوا إليك ، واعلم أن الجشع يدعو إلى

(١) تنف لها الخلود . تصغر .

(٢) الحرص - بزة قفل أو عتق - الأشرار تصد به الأيدي إثر الطعام .

(٣) المشاش - بزة غراب - العظم الذي لا منح فيه .

الطبع ، والرغبة كما قل تدق الرقة ، ورب أكلة تمنع أكالات ، والتصف  
مال حسيم ، وخلق كريم ، ومعرفة الرجل قدره ، تشرف ذكره ، ومن تعدى  
القدر ، هوى في بعد القمر ، والصدق دين ، والسكذب شين ، ولصدق يسرع  
عطب صاحبه أحسن عاقبة من كذب يسر عليه قائله ، ومعاداة الخليم خير من  
مصادقة الأحمق ، ولزوم الكريم على الموان خير من صحبة اللئيم على الإحسان ،  
ولقرب ملك جواد ، خير من مجاورة بحر طراد ، وزوجة السوء الداء المضال ،  
ونكاح المجوز يذهب بقاء لوجه ، وطاعة النساء ترضى بالعتلاء .

تشبه بأهل العقل تكن منهم ، وتصنع للشرف تدركه .  
واعلم أن كل امرئ حيث وضع نفسه ، وإعما ينسب الصانع إلى صناعته ،  
والمرء يعرف نقر به ، وإيالك وإخوان السوء فإنهم يحبون من رآهم ، ويحزنون  
من صادقهم ، وقرهم أعدى من الجرب ، ورفضهم من استكمال الأدب ،  
واستخفاف الاستعجير لزوم ، والعجلة شوم ، وسوء التدبير وهن .

والإخوان اثنان : فحافظ عليك عند البلاء ، وصديق لك في الرخاء ،  
فاحفظ صديق البلاء وتحبب صديق العافية ، فإنهم أعدى الأعداء .

ومن اتبع أهوى ، مال به الردى ، ولا يعجبنيك الجهم من الرجال ، ولا  
تخفر ضئلا كالخلال<sup>(١)</sup> ، فإعما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، ولا يفتنع به بأكثر  
من أصغريه .

وتوف الفساد ، وإن كنت في بلاد الأعادى ، ولا تفرش عرضك لمن دونك ،  
ولا تحمل مالك أكرم عليك من عرضك ، ولا تكثر الكلام فتثقل على  
الأقوام ، وامنع البشر جليستك ، والقبول ممن لا فاك .

وإيالك وكثرة التبريق والتزليق ، فإن ظاهر ذلك ينسب إلى التآييث ، وإيالك

(١) الخلال - بكسر الحاء ، برة الكتاب - العود الذي تخلل به الأسنان ،

يريد الرجل النحيف البالغ النحافة .

والتصنع بخزانه النساء ، وكن متقرباً ، متمزراً ، مشهوراً في فرصتك ، رفيقاً في حاجتك ، متثبتاً في حملتك ، والبس لكل دهر ثيابه ، ومع كل قوم شكلهم .  
واحذر ما يلزمك اللأمة في آخرتك ، ولا تمحل في أسر حتى تنظر في عاقبته ، ولا ترد حتى ترى وجه المصدر .

وعليك بالنورة في كل شهر مرة ، وإياك وحلاق الإبط بالنورة ، وليكن السواك من طبيعتك ، وإذا استكنت فغرضاً ، وعليك بالمرّة ، فبهما أنفع التجارة ، وعلاج الزرع خير من اقتناء الفرج ، ومنارعتك التيم نطمعه عليك ، ومن أكرم عرضه أكرمه الناس ، وذم الجاهل إياك أفضل من ثنائه عليك ، ومعرفة الحق من أخلاق الصدق ، والرفيق الصالح ابن عم ، ومن أيسر أكبر ، ومن افتقر احتقر ، قصر في المقالة ، بحاجة الإجابة ، والساعي إليك غالب عليك ، وطول السر ملالة ، وكثرة الملى ضلالة ، وليس لطائب صديق ، ولا على لئيم شفيق ، وأدب شيخ عناء ، وتأديب الملام شقاء ، والقاحش أمير ، والوفاح<sup>(١)</sup> وزير ، والحليم عطية الأحمق ، والحق داء لاشفاء له ، والحلم خير وزير ، والدين أرين الأمور ، والساجدة سفاهة ، والسكران شيطان ، وكلامه هديين ، والشعر من السحر ، والتهدد هتجر ، والشح شقاء ، والشجاعة نقاء ، والهدية من الأخلاق السرية ، وهي تورث المحبة ، ومن ابتدأ المعروف صار ديناً ، ومن اعروف اتسدا من غير مسألة ، وصاحب الرياء يرجع إلى السخاء ، ولرياء مخير خير من مسالة بشر ، والفرق ترّاع . والعدة طبيعة لازمة : إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، ومن حل عقداً احتمل حقداً ، ومراجعة السلطان حرق بالإنسان ، والفراغ عار ، والتقدم مخاطرة ، وأجمل منفعة إيسار في دعة ،

(١) الوفاح - بفتح الواو - الوصف من الوقاحة ، وهي الإفراط في سوء الأدب

وكثرة العلل ، من التحل ، وشر الرجال ، الكثير الاعتلال ، وحسن القاء ،  
بذهب بالشحاء ، ولين الكلام ، من أخلاق الكرام .

يا بني ، إن زوجة الرجل ككته ، ولا عيش له مع حلافها ، فإذا هممت  
بفكاح امرأة فسل عن أهلها ، فإن لبروق الطيبة نبت اثمار الحوة .

واعلم أن النساء أشد اختلافاً من أصابع الكف ، فتوق منهن كل ذات  
بدا ، مجبولة على الأذى ، فمنهن المعجبة بنفسها ، المزرية لعلها ، إن أكرمها رآته  
لغفلها عليه ، لا تشكر على جميل ، ولا ترضى منه بقليل ، لسانها عليه سيف  
صقيل ، قد كشفت القمعة ستر الحياء عن وجهها ، فلا تستحي من إغوارها ، ولا  
تسعى من حارها ، كلية هراة ، مهادنة عقارة<sup>(١)</sup> ، فوجه زوجها مكلوم ،  
وعرضه مشنوم ، ولا ترعى عليه لدين ولا لدي ، ولا تحفظه لصحة ولا لكثرة  
بنين ، حجابها مهتوك ، وستره منشور ، وخبره مدفون ، يصبح كثيباً ، ويمسى  
عائياً ، شرابه مر ، وطعامه غيظ ، وولده ضياع ، وبيته مستهلك ، وثوبه وسخ ،  
ورأسه شعث ، إن ضحك فواهن ، وإن تكلم فتكاره ، ساره ليل ، وليله ويل ،  
تلدغه مثل الحية العقارة ، وتسئنه مثل العقرب الجررة .

ومن شفتين شمع سلفع<sup>(٢)</sup> ، ذات سم متع ، وإراق واختلاق ،  
تهب مع الرياح ، ونظير مع كل ذي جناح ، إن قال : لا ، قالت : نعم ، وإن  
قال : نعم ، قالت : لا ، مولدة لحازيه ، مخنقة لما في يديه ، تصرع له الأمثال ،

(١) هر الكلب هراة : نبح ، وعقارة : نمر صاحبها كما يقرر الكلب .

(٢) الشفتين ، العوز المترخية ، والشعشع : الطويلة ، والسلفع : الصحابة  
البذيئة السيئة الخلق ، والسم اللعق : الردي .

وتقصربه دون الرجال ، وتنقله من حال إلى حال ، حتى قلا بيته ، ومَلَّ ولده ،  
وغث عيشه ، وهامت عليه مهته ، وحتى أنكره بخوانه ، ورجحه جيرانه .

ومنهن الورهاء الحقاء<sup>(١)</sup> : ذات اللؤلؤ في غير موضعها ، الماضنة للسائب ،  
الآجلة في غير شأنها ، قد قنعت بحبه ، ورضيت بكسبه ، تأكل كالحمار الراجع ،  
تنشر اشمس وما يُسمع لها صوت ، ولم يكس لها بيت ، طعامها ناث ، وإياؤها  
وصير<sup>(٢)</sup> ، وعجيبها حمص ، وماؤها قاتر ، ومتاعها مزروع ، وماعومها ممسوع ،  
وخادمها مضروب ، وجارها محروب .

ومنهن العطوف الودود ، المباركة الولود ، المأمونة على عيبتها ، المحبوبة  
في جيرانها ، المحمودة في سرها وإعلامها ، الكريمة النبل ، الكثيرة التفضل ،  
الخافضة صوتا ، التظيفة يتا ، خادمها مسمن ، وابنتها مزين ، وخيرها دائم ،  
وزوجها دغم ، مومقة مألوفة ، ومالغاف والخبرات موصوفة .

جعلك الله يا بني بمن يتندى بالهدى ، ويأتم بالتقى ، ويحجب السخط ،  
ويحب الرضى .

والله حبيتي عليك ، والمتولى لأمرك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ،  
وصلى الله على محمد نبي الهدى وعلى آله وسلم تسليما كثيرا .

### ذكر الزجر عن تهاجر المسلمين كافة

حدثنا أبو يعلى الموصلي حدثنا وهب بن بنية الواسطي حدثنا خالد بن  
عبد الله عن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري عن أس قان : قال رسول الله

---

(١) الورهاء : الحقاء ، وأصله قولهم « سحابة ورهاء » أي كثيرة المطر  
(٢) الوصر - صنع الواو والضاد - نية السم والدهن في الإماء ، والوصير  
- يكسر الضاد - الوصف منه .

صلى الله عليه وسلم « لا تباغضوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تداروا ،  
وكونوا عباد الله إخوانا » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يحل التباغض ولا التنافس ولا التحاسد  
ولا التدار بين المسلمين ، والواجب عليهم أن يكونوا إخوانا كما أمرهم الله ورسوله  
فإذا تألم واحد منهم تألم الآخر بألمه ، وإذا فرح فرح الآخر بفرحه ، بنفى العسر  
والدغل ، مع استسلام الأنفس لله عز وجل ، مع الرضا بما يوجب القضاء  
في الأحكام كلها ، ولا يجب المحران بين المسلمين عند وجود زلة من أحدهما ،  
بل يجب عليهما صرفها إلى لإحسان والعطف عليه بالإشفاق ، وترك المحران .

ولقد حدثني محمد بن المهاجر حدثني موسى بن محمد الأحباري عن الميموني  
حدثني محمد بن يحيى الكتاني قال : أشدني أبو غزوة معاوية بن عبد الله  
ابن جعفر :

لَا يُرْهِدُكَ فِي أَخٍ لَكَ أَنْ تَرَاهُ رُلَ رُلَهُ

والرُل يطرحه الدين يلونه في شر الله<sup>(١)</sup>

ويحويه من مامن أهل البطالة والسَّخَّةِ<sup>(٢)</sup>

والموت أعظم حادث مما يمر على الحيَّةِ

أشدني محمد بن الحسن بن قتيبة أشدني حميد بن عياش :

ولأنك في حب الأخلاء مفرطاً فإن أنت أنفست الغيصة فأجبل

فإنك لا تدري متى أنت مبغض حبيبتك أو تهوي البغيض فأعقل

(١) « الألة » بفتح المعزة - أسله الحرب والسلاح ، وأراد في شر موضع

(٢) « السخلة » الدخيلة وباطل الأمر ، وأصلها بسكون الخاء فأتبع حركتها

حركة الدال .

وأشدني عمرو بن محمد بن عبد الله السوي ثلب :

وما صدودُ ذواتِ الدَّلِّ يُرْمَضُ لَكِنَّا المَوْتَ عِنْدِي صَدُّ إِحْوَايِ  
إِنِّي لِأَضْبَرُ مِنْ عَوْدِهِ حَلَبَ عِنْدَ الْمَلَكَاتِ إِلَّا عِنْدَ عَمْرَانِ<sup>(١)</sup>  
إِذَا رَأَيْتَ ارْوَرَارًا مِنْ أَخِي ثَقَّةَ صَاقَتْ عَلَى بَرْحِ الْأَرْضِ أَوْطَانِ  
وأشدني الأبرش :

أَبْلُ الرِّجَالِ إِذَا أُرِدَتْ إِخْوَاهُمْ وَتَوَسَّمْنَ أُمُورَهُمْ وَتَفَقَّدَ  
فَإِذَا ظَفَرَتْ بِذِي اللَّيَابَةِ وَالتَّقَى بِهِ الْيَدَيْنِ قَرِيرَ عَيْنٍ فَاشْدُدِ  
فَتَى يَزَلُّ ، وَلَا مَحَالَةَ ، زَلَّةً عَلَى أَخِيكَ فَضَّلَ حَلَاكَ فَارِدَدِ  
وَإِذَا انْخَلَّتْ نَقْضُ الْحَيِّ فِي مَحَلْسٍ وَرَأَيْتَ أَهْلَ الطَّيْشِ قَامُوا فَاقْعَدِ  
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا يَجِبُ لِلْمَرْءِ أَنْ يَدْخُلَ فِي جَمْعَةِ الْعَوَامِّ وَالْمُهْجَرِ  
بِإِحْدَاثِ الْوَدِّ لِإِخْوَانِهِ ، وَتَكْدِيرِهِ لَهُمْ بِالْخُرُوجِ بِالسَّبَبِ الَّذِي يُؤْدِي إِلَى الْمُهْجَرِ  
الَّذِي نَهَى الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ بَيْنَهُمْ ، بَلْ يَقْصِدُ قَصْدَهُ الْإِغْضَاءَ عَنْ  
وَرُودِ الزَّلَّاتِ ، وَيَتَحَرَّى تَرْكَ الْمُنَاقَشَةِ عَلَى الْهَفَوَاتِ ، وَلَا سِيَّما إِذَا قِيلَ فِي أَحَدِهِمْ  
الشَّيْءُ الَّذِي يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ حَقًّا وَبَاطِلًا مَعًا ، فَإِنَّ النَّاسَ لَيْسَ يَخْلُو وَصْلَهُمْ مِنْ  
رَشَقِ أَسْهَمٍ لَمَذَالٍ فِيهِ .

ولقد سمعت محمد بن عثمان العقبى يقول : سمعت عبد العزيز بن عبد الله يقول :

قال محمد بن حميد :

وَمَنْ ذَا مَنْ عَيَّوبِ النَّاسِ نَاجٍ مَحْتَيَّ قَبْلِ فِيهِ ، أَوْ قَرَفِ<sup>(٢)</sup>  
فَيُصِحُّ بِي إِذَا خَالَتْ حَلَا وَلَا زَمَّ حَتَّى أَنْ لَا أَكْفَى  
وَكُلُّ مَوَدَّةٍ لَا خَيْرَ فِيهَا إِذَا لَمْ تَحْتَمِلْ حَقَّ النُّصَايِ

(١) العود - بالفتح - الحبل الممن ، والحلب : القروح

(٢) أقرفه بكنا وقرفه : اتهمه .

فأما في الكلام مكم وفي ولكن في الشدائد لا يوافق  
إذا أحيت لم أقص إخائي ولم أس الإخاء على اعتساف  
ولكن أمتح الكرماء وذا ولا أدعو اللثام إلى العطف  
متى تقطع صدقك بعد وصل ولا تثبت ، فعهدك غير واف  
إذا ما المرء أدر لم تطفه وصار المستقيم إلى خلاف

سمعت محمد بن النضر يقول : سمعت محمد بن عبد الرحمن يقول : سمعت أبا عمار  
الحسين بن حريث يقول : قيل رجل : ألك عيوب ؟ قل : لا ، قيل له : فلك  
من يتمسها ؟ قال : نعم ، قال : فما أكثر عيوبك ! .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : السبب المؤدى إلى الهجران بين المسلمين ثلاثة  
أشياء : إما وجود الزلة من أحبه — ولا محالة يرل — فلا يعصى عنها ولا يطلب لها  
ضدها ، وإبلاغ وإشر يقدر فيه ، ومشى عاذل بئس له فيقبله ولا يطلب لتكذيبه  
سنا ، ولا لأخيه عنرا ، وورود ملل يدخل على أحدهما ، فإن اللالة تورث القطع  
ولا يكون للول صديق .

وقد أخبرني محمد بن أبي علي الخلابي حدثنا محمد بن إبراهيم اليسرى

حدثني عبد الرحمن بن إبراهيم الأصهباني أشدني بعض أهل الأدب :

إنَّ الملوَّةَ ودُّهُ مثل السراب يدم وردُّهُ

أو كالسحاب الرائد البراق لم يصدقك وعدُّهُ

أو كالحمام هرزته عند الضراب ، فكَلَّ حَدُّهُ <sup>(١)</sup>

لا تقبِّلْ إخاءهُ فوعيدهُ كَذِبٌ ووعدهُ

بيننا بؤسك رأى عيـنك إذ بدالك منه صدـه

وتغـيرت أخلاقهُ وأزورٌ ، حتى مال حدـه

(١) كل حده : ضعف



أبنا محمد بن يعقوب الخطيب بالأهوار حدثنا معمر بن سهل حدثنا إبراهيم  
ابن شار عن مغيان قال : كان لابن شُرْمَة أخ ، مخفاه ، فكتب إليه :  
كلانا غنى عن أحبه حياته ونحن إذا متنا أشد تقابلا  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يحمل لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاثة  
أيام : فمن فعل ذلك كان مرتكباً لعن التي صلى الله عليه وسلم ، وخيرهما الذي  
يبدأ بالسلام ، والسابق بالسلام يكون السابق إلى الجنة ، ومن هجر أخاه سنة  
كان كسفك دمه ، ومن مات وهو مهاجر أخاه دخل النار ، إن لم يغفر الله  
عليه بفحومه ورحمة ، وعية ما أبيع من المهاجران بين المسلمين ثلاثة أيام .

ولقد أنشدني عبيد الله بن محمد الأنطاقي قال : أنشدني محمد بن الحسن :  
ياسيدي عندك لي مظلة فاستفت فيها ابن أبي حيشه  
فإنه يرويه عن شيخه قال : روى الضحاك عن عكرمه  
عن ابن عباس عن المصطفى نبينا المبعوث بالرحمة  
إن صدود النخل عن حله فوق ثلاث ربنا حرمة<sup>(١)</sup>  
وأشدني محمد بن شاه الأبيوردي بالموصل :

ما ودني أحد إلا بذلت له صفو المودة مني آخر الأبد  
ولا جفائي وإن كنت المحب له إلا دعوت له الرحمن بالرشد  
ولا أمنت على سرفيحت به ولا مددت إلى غير الجميل يدي  
ولا أخون خليلي في خديته حتى أغيب في الأكفان والحد  
أبنا محمد بن المهاجر حدثنا أحمد بن عبد الله بن شجاع حدثنا محمد بن سماعة .

(١) وفي غير الأصل بعد الأبيات

وأنت منذ شهر لنا هاجر فم مخاف الله فيها ؟

قال : جئت يوما إلى أبي على المصرى أسلم عليه ، قال : فشرّ بي واحتملني في حجره ، ثم قال :

حسبي وصلك في حياتي لدةً ورصيتُ في ذاك المعاد ثوابا  
لو كنتَ رزقي ما أردتُ رينةً ولقلتُ : أحسنَ خالقي وأطابا

### ذكر الحث على لزوم الحلم عند الأذى

أما ما محمد بن الحسن بن قتيبة حدثنا يزيد بن خالد بن موهب الرملي حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا حلِيم إلا ذو عَثرة ، ولا حلِيم إلا ذو تجربة » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الخبر في الصرب الهدي ذكرت في كتاب فصول السن بأن العرب تُصيف الاسم إلى الشيء للقرب من التمام ، وتنفى الاسم عن الشيء للنقص من الكمال ، فلما كان الغالب على المرء أن لا يكون حلِيمًا حتى يكون ذا عَثرة نفى النبي صلى الله عليه وسلم اسم الحلِيم عن من لم يكن بذى عَثرة ، لنقصه عن الكمال .

فالحلِيم : عظيم الشأن ، رفيع المكان ، محمود الأمر ، مرضى الفعل .  
والحلم : اسم يقع على زَمِّ النفس عن الخروج عند الورود عليها ضد ما تحب إلى ما نهى عنه .

فالحلم يشتمل على المعرفة والصبر والأناة والتثبت ، ولم يقرن شيء إلى شيء أحسن من عفو إلى مقدرة .

والحلم أجل ما يكون من المقتدر على الانتقام .

ولقد حدثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي ببنداد حدث يحيى

ابن معين قال : حدثنا الحسن بن واقع عن صبرة قال : « الحلم أرفع من العقل ، لأن الله تبارك وتعالى تسمى به » .

وأشدني محمد بن عبد الله بن ربحي الغدادي .

أَمْ تَرَى أَنَّ الْحِلْمَ رَبٌّ مَسْوَدٌ لَصَدْحُهُ وَالْجَهْلُ لَلْفَرِّ شَتْنُ  
فَكُنْ دَاهِيًا لِلشَّرِّ بِأَخْبَرِ تَفْرَحُ مِنْ أَلَمٍ ، إِنْ لَخِبَرُ لِلشَّرِّ دَائِنُ  
وأشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

بِذَا شَتَّ يَوْمًا أَنْ تَسُودَ عَشِيرَةٌ فَبِالْحِلْمِ شُدُّ ، لَا مَانَسِرْعَ وَالشَّتْمُ  
وَالْحِلْمُ حَيْرٌ - فَاعْصِنَ - نَعْنَةٌ مِنْ لُجْهِ ، إِلَّا أَنْ تَشْرِسَ مِنَ الْعِلْمِ<sup>(١)</sup>  
وأشدني علي بن محمد البسامي :

فَارْضَ عَمَّا حَمَّ مِنْ قَضَاءِ يُعِينُكَ مِنْ ذَلِكَ الْخِيَارِ  
وَعِشْ حَيْدًا ، رَجِيَّ بِالْ مَلَأَكَ الْحِلْمُ وَالْوَقَارُ  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من نفاة اسم « الحلم » وارتاع قدره ،  
أن الله حل وعلا نسي به ، ثم لم يُسمَّ بالحلم في كتابه أحداً إلا إبراهيم خليله  
وإسحاق ذبيحه ، حيث قال : ( ٩ : ١١٤ ) إن إبراهيم لأوَّاهٌ حلِيمٌ وقال :  
( ٣٧ : ١٠١ ) فَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ<sup>(٢)</sup> .

(١) يعني أن الظلم المعتدى لا يباست الحلم معه ، فلا ينبغي أن يعامل إلا بالشراسة التي تردعه .

(٢) هذه الآية من سورة الصافات ، والساق فيها واضح جداً بأنه إسمايل ، فإنه سبحانه وتعالى بعد أن ساق قصة الدبيع وصبره وأبيه ورضاهما التام عن ربهما وأمره ونجاحهما في هذا الداء العظيم قال تعالى ( ٣٧ : ١٠٩ - ١١٣ ) سلام على إبراهيم ، كذلك نجزي المحسنين ، إنه من عبادنا المؤمنين ، وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ، وباركنا عليه وعلى إسحاق ، ومن ذريتهما محسن وظالم لعنه ميئ<sup>==</sup>

ولو لم يكن في الحلم خصلة محمد إلا ترك اكتساب المعاصي ، والدخول في  
المواضع الدسنة لكان الواجب على العاقل أن لا يفرق الحلم ما وجد إلى  
استعماله ميلا .

والحلم : سَحِيَّة ، أو تجربة ، أو عَمَل .

حدثنا أبو حمزة محمد بن عمر بن يوسف حدثنا عبد الله بن سعيد الكندي  
حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه قال : سمعت معاوية بن أبي سفيان  
يقول « لا حلم إلا بالتجربة » .

وأشددى المنتصر بن بلال الأنصارى :

صافي الصديق يؤدّه وإذا ذك شبراً مزده  
راحلم إذا نطق السمينه ، فمن برّد جهلاً يحده  
أبأنا محمد بن علي اصيرف بالبصرة حدثنا ابن أبي الشوارب حدثنا أبو عوانة  
عن عبد الملك بن عمير عن رجاء بن حيوة عن أبي الدرداء قال « إنما العلم بالتعلم ،  
وإنما الحلم بالتحلم ، ومن يتوخ الخير يسطه ، ومن يتوق الشر يوقه » .  
وأشددى الكريزي :

إذا أنا كافيت الجهول بفعله فهل أنا إلا مثله إذا أحاوره ؟  
ولكن إذا ما طاش بالجهل طائش على ، فإني بالتحلم قاهره  
أنا أنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار حدثنا يحيى بن معين حدثنا عثمان  
ابن صالح حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث ، أن رجلاً كتب إلى أح له :  
اعلم أن الحلم لبس العلم فلا نترين منه .

= والعجب لعجب أن يعي هذا على ابن حبان وغيره حتى يقولوا : إن القديح  
إسحاق ، مقلدين في ذلك من غير بيان حجة ، ثم عاودوا عن التصوم القرآنية الصريحة ،  
وبالأخص في هذه السورة بهذا السياق البين .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يلزم الحلم عن الناس كافة ، فإن صب ذلك عليه فليتخا لم ، لأنه يرتقى به إلى درجة الحلم .

وأول الحلم : المعرفة ، ثم الثبوت ، ثم العزم ، ثم التصبر ، ثم الصبر ، ثم الرضا ، ثم الصمت والإغضاء ، وما الفصل إلا لمحسن إلى المسمى ، فأما من أحسن إلى المحسن ، وحسن عن لم يؤذ : فليس ذلك بحم ، ولا إحسان .

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقبى حدثنا إسحاق بن زكريا حدثنا عبد الصمد ابن حسان حدثنا أبو عمر الدزني عن وهب بن منبه أنه قال : يابى لا تجادل العلماء فتبون عليهم في فصولك ، ولا تمارين السفهاء فيجعلوا عليك ويشتموك ، فإنه يحق بالعلماء من صبر ورأى رأيهم ، وينحون من السفهاء من صمت وسكت عنهم ، ولا تحسن أنك إذا ماريت أفتيه إلا زدت غيظاً دائماً ، ولا تحمين من قليل تسمعه فيوقعك في كثير تكرهه ، ولا تفصح بمسك لتشفى غيظك ، فإن جهل عليك جاهل فلينعن إياك حلمك ، وإياك إذا لم تحسن حتى يحسن إليك فما أحرأك ، وما فصلك على غيرك ؟ فإذا أردت الفصيلة فأحسن إلى من أساء إليك ، واعف عن ظلمك ، وانفع من لم ينفعك ، وتطر تواب ذلك من قبل الله ، فإن الحسنة الكاملة التي لا يريد صاحبها عليها ثواباً في الدنيا .

وأشدنى محمد بن حبيب الواسطي :

إذا المرء لم يصرف عذاباً من الأذى حياء ، ولم يعمر لأخرق مدب  
فلم يصطنع إلا قليلاً صديقه ومن يدفع لعوراء بالحلم يغلب  
وأشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

احفظ لسانك إن لقيت مشامخ لا تحربن مع اللثيم إذا جرى  
من يشتري عرض اللثيم بعرضه يحوى الندامة حين يقبض ما اشتري

أبنا إبراهيم بن نصر لعبري حدثنا علي بن الأزهر الرازي حدثنا إبراهيم  
ابن رستم قال : سمعت ابن المبارك يقول : دعانا عبد الله بن عون إلى طعامه ، فكنّا  
نأكل ، فقامت الخادم ومعهما سمعة ففُثرت في ثوبها ، فسقطت الصفحة من يدها  
فقال لها ابن عون : مَرَسَ آزادي<sup>(١)</sup>

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الفلاحي ، حدثنا ابن عائشة قال : قال محمد بن  
السدي لابنه عروة ، لما ولي اليمن : إذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك ، وإلى  
الأرض تحتك ، ثم عَظَّمْ خالقهما .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل ، إذا غضب واحتدّ أن  
يذكر كثرة حلم الله عنه مع تواتر انتهاكه محارمه وتعديه حرمانه ، ثم يحلم ،  
ولا يخرج غيظه إلى الدخول في أسباب المعاصي .

والنفس على ضروب ثلاثة : رجل أعزُّ منك ، ورجل أنت أعزُّ منه ، ورجل  
سواك في العز ؛ فالتجاهل على من أنت أعزُّ منه لؤم ، وعلى من هو أعزُّ منك  
جَنَفٌ ، وعلى من هو مثلك هراش كهراش الكلبين ، وتغار كغفار الديكين ،  
ولا يفترقان إلا عن الخدش والتقرُّ والهَجْر ، ولا يكاد يوجد التجاهل وترك  
التعامل إلا من سفهين ، ولقد أحسن الذي يقول :

ما تَمَّ حلمٌ ولا عَمَّ بلا أدبٍ      ولا تجاهلٌ في قوم حليانٍ  
وما التجاهل إلا ثوبٌ ذي دنسٍ      وليس يلبُّهُ إلا سفهانٍ  
وأشدني ابن زنجي البغدادي :

وما شيء أسرُّ إلى لئيمٍ      إذا شَمَّ الكرام من الجواب  
متاركة اللئيم بلا جوابٍ      أشدُّ عليه من مُرِّ العذب

(١) معناه بالفارسية : لا تخافي ، أنت حرة .

وأشدي الكريزي :

نحرد ما استطعت من أسفيه بحسن الحلم ، إن لعزاً به  
فقد بعصى السفيه مؤديه وبُثِرِمَ باللجاجة منصفية<sup>(١)</sup>  
تدين له فيغافل جانباه كعبر السوء يرمحُ عالفيه<sup>(٢)</sup>  
أبنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا الحسن بن محمد الأزدي الكوفي ، حدثنا  
عمر بن حفص بن غياث عن أبيه قال : كنت جالساً عند جعفر بن محمد ، ورجل  
يشكو رجلاً عنده ، قال لي كذا ، وفعل لي كذا ، فقال له جعفر : من أكرمك  
فأكرمه ، ومن استخف بك فأكرم نفسك عنه .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : ماضٍ شيء إلى شيء هو أحسن من حلم إلى علم ،  
وما عُدِمَ شيء في شيء هو أوحش من عدم الحلم في العالم ، ولو كان للحلم أوان  
لكان أحدهما العقل والآخر الصمت ، وربما يُدفع العاقل إلى الوقت بعد  
الوقت إلى من لا يُرضيه عنه الحلم ولا يُقنعه عنه الصمت ؛ حينئذ يحتاج إلى سفيه  
يقتصر له ؛ لأن ترك الحلم في بعض الأوقات من الحلم .

ولقد حدثني محمد بن المنذر ، حدثنا يزيد بن عبد الصمد ، حدثنا عبد الرحمن  
ابن إبراهيم ، حدثنا الوليد عن سعيد بن عبد العزيز ، أن رجلاً استطل على  
سليمان بن موسى ، فكت له سليمان وانتصر له أحوه ، قال : فقال مكحول : دَلَّ  
مَنْ لاسفيه له .

حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري ، حدثنا الغلابي ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن  
ابن القاسم عن أبيه قال : قال أبو حنيفة لـشيطان الطاق<sup>(٣)</sup> : ما تقول في اللمة ؟

(١) أبرمه باللجاجة . أي عاظه بكثرة المباحة والتهاذي في السوء والجمل . ولج في

الأمر : أوعى فيه وزاد . (٢) العير : الحمار ، ورمح : بعى روس .

(٣) شيطان الطاق : شاعر رافض مشهور .

قال . حلال ، قال . فَيَسْرُكُ أَنْ أَمَلَكَ رَوْحَتِ مَنَعَةٍ ؟ فَسَكَتَ عَنْهُ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ :  
يَا أُمَا حَنِيفَةَ : مَا تَقُولُ فِي النَّيْذِ ؟ قَالَ : حَلَالٌ ، قَالَ : وَشَرِبَهُ وَبَيَّعَهُ وَشَرَاؤُهُ ؟  
قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَيَسْرُكُ أَنْ أَمَلَكَ بَبَادَةَ ؟ قَالَ : فَسَكَتَ عَنْهُ أَبُو حَنِيفَةَ .

أَشَدْنِي عَلَى بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَسْمِي :

إِذَا كُنْتَ بَيْنَ الْحِلْمِ وَالْجَهْلِ قَاعِدًا      وَخَيْرْتُ : أَنِّي شِلْتُ ، فَالْحِلْمُ أَفْضَلُ  
وَلَكِنْ إِذَا أَصَفْتَ مَنْ لَيْسَ مِنْصَعًا      وَلَمْ يَرْضَ مِنْكَ الْحِلْمَ ، فَالْجَهْلُ أَفْضَلُ

وَأَشَدْنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ الْوَاسِطِيُّ :

إِذَا أَمِنَ الْجَهْلُ جِهْلَكَ مَرَّةً      فَعَرَضْتُكَ لِلْجَهْلِ غُفْمٌ مِنَ الْغَمِّ  
فَمُمْ عَلَيْهِ الْجَهْلُ وَالْحِلْمُ وَاقِعُهُ      بِعَرَبِيَّةٍ بَيْنَ السَّادَةِ وَالسَّلَامِ  
فَيَرْجُوكَ تَارَاتٍ ، وَيَحْشَاكَ قَارَةً      وَتَأْخُذُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ بِالْحَزَمِ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَانَ الْعَقْبِيُّ ، حَدَّثَنَا يَرِيدُ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ الدَّمَشْقِيُّ ، حَدَّثَنَا  
أَبُو مَسْهَرٍ ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ مَكْحُولٍ قَالَ : لَا حِلْمَ مِنْ لَا جَاهِلَ لَهُ  
وَحَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا الْعَلَاءِيُّ ، حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ بْنُ سَابِقٍ قَالَ : قَالَ  
الْمَأْمُونُ : يَحْسُنُ مَالُكَ الْحِلْمَ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ ، إِلَّا عَنْ ثَلَاثَةٍ : قَادِحٍ فِي مَلِكٍ ، أَوْ  
مَذْبِيعٍ لِسِرٍّ ، أَوْ مَعْرُضٍ لِحُرْمَةٍ .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . الْحِلْمُ عَلَى ضَرْبَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : مَا يَرُدُّ عَلَى النَّفْسِ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ مِنَ الْمَصَائِبِ الَّتِي أَمْنَعَنَ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ  
هِيَ صِرَافَةُ الْعَاقِلِ تَحْتَ وَرُودِهَا ، وَبِحِلْمٍ عَنِ الْخُرُوجِ إِلَى مَا لَا يَلِيْقُ بِأَهْلِ الْعَقْلِ .  
وَالْآخَرُ : مَا يَرُدُّ عَلَى النَّفْسِ بِصَدِّ مَا تَشْتَهِيهِ مِنَ الْخُلُوقِ ، فَمَنْ تَعَوَّدَ احْتِلْمَ فَلَيْسَ  
بِمُحْتَاجٍ إِلَى التَّصَرُّفِ ، لِاسْتَوَاءِ الْمَدَمِّ وَالْوُجُودِ عِنْدَهُ .

كَأَحَدِنَا أَبُو حَزْرَةَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ عَمْرِو بْنِسَا ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ  
الدُّوْرَقِيُّ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ الْعَجَلِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي عَتْبَةَ يَقُولُ :



قيل للأحنف بن قيس التميمي : ممن تعنتت الخلم ؟ قال : من قيس بن عاصم التميمي ، أباة أبي وهو محتب ، فقال : ابن أخيك قتل ابنك ! قال : عصي ربه ، وفَتَّ عَصْدَهُ ، وقطع رجليه ، جهزوه ، وما حَلَّ حَيُوتُهُ ، ففنه تعنتت الخلم .

حدثنا محمد بن شاذل الهاشمي ، حدثنا أحمد بن الخليل البغدادي ، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق ، أخبرنا عبد الله عن حمير بن سليمان قال : كانت امرأة بالبصرة متعبة ناصبها المصائب ، فنكر من صبرها ، حتى أصابها مصيبة موحشة ، فصبرت ، فذكرت ذلك لها ، ففانت : مامن مصيبة تصيبني فأذكر معها النار إلا صادت في عيني مثل الزراب .

حدثنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي بالبصرة ، حدثنا عمرو بن إسحاق بن خلاد الجهمي ، حدثنا خالد بن خدّاش ، حدثنا ابن وهب عن بكر بن مضر قال : كان أبو الهيثم مات ولده ، وبقى له بُنَى صغير ، فأت ، فأتاه إخوانه بعزونه وهو في ناحية المسجد ، فقال لهم : تركني حزن يوم القيامة لا آسى على شيء . فأتني ، ولا أفرح لما أتاني .

حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي ، حدثنا القاسم بن الحسن الزبيدي ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، قال : مات ابن شريح ، فلم يصيحوا عليه ، ولم يشعر به أحد ، فقيل له : يا أبا آمنة ، كيف هو ؟ قال : قد سكن عَذْرُهُ <sup>(١)</sup> ورجاه أهله ، ولم يكن منذ اشكني أسكن منه الليلة .

ذكر الحث على لزوم الرفق في أمور وكرهية العجلة فيها

حدثنا محمد بن صالح الطبري بالصيرة ، حدثنا عبد الجبار بن الملاء الططار حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملكة عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أعطى

(٢) اعز - محركة - قلق وخفه وهم يعيب المريض والمختضر .

حَفْظُهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَفْظُهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَمَنْ مَنَعَ حَفْظَهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ مَنَعَ حَفْظَهُ مِنَ الْخَيْرِ»

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الرفق فى الأمور كلها وترك المعجلة والمخجلة فيها : إذ لله تعالى يحب الرفق فى الأمور كلها ، ومن منع الرفق منع الخير ، كما أن من أعطى الرفق أعطى الخير ، ولا يكاد المرء يشك من بعينه فى سلوك قصده فى شيء من الأشياء على حسب الذى يحب : إلا بمقاربة الرفق ومعارضة المعجلة.

وأشدنى التنصر بن بلال الأمصارى :

لرفق مما سيقى أيمَنَ صاحبهُ      وأخرق منه يكون العنفَ وزلا  
والحرم أن يثأر المرء فرصته      والكف عنها إذا ما أمكنت قسلا  
والبرُّ لله خير الأسر عاقبةً      والله للبرِّ عونٌ ماله مثل  
خيرُ البرية قولاً حيرم عملاً      لا يصلح القول حتى يصح العمل

وأشدنى منصور بن محمد الكريزى :

الرفق أيمَنُ شيء أنت تتبعه      وأخرق أشأم شيء يقدم أرجلا  
وذو الثبوت من حمد إلى طفر      من يركب الرفق لا يستحب الزلا  
حدثنا محمد بن أبى على الخلابى ، حدثنا محمد بن خلف البسامى عن أحمد

ابن موسى الأزرق أنه أنشده :

وزن الكلام إذا نطقت ، فإنما      يبدى القول أو العيوبَ النطقُ  
لا أتميت ناولاً فى غربة      إن القريب بكل سهم يُرشق  
لو سار ألف مدحج فى حاجة      لم تقضها إلا الذى يترفق  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يلزم الرفق فى الأوقات ، والاعتدال فى الحالات ؛ لأن الزيادة على القدار فى المبتغى عيب ، كما أن النقصان فيما يجب

من المطلب عجز ، وما لم يصحبه الرفق لم يصلحه لعنف ، ولا ذليل أُمهر من رفق ،  
كما لا طهير أوثق من العقل ، ومن الرفق يكون الاحتراز ، وفي الاحترار ترجى  
السلامة ، وفي ترك الرفق يكون الحرق ، وفي لزوم الخرق تخاف الهسكة .  
وتقد أشدنى الأرش .

عليك بوجه التمسد ، فاسلك سبيله ففي الجور إهلاك ، وفي القصد مسلك  
إذا أنت لم تعرف لنفسك قدرها تحمّلها ما لا تطيق فتبث  
قل أبو حاتم رضي الله عنه : رافض لا يكاد يسبق ، كما أن العجل لا يكاد  
يتحق ، وكذا أن من سكت لا يكاد يندم ، كذلك من بصق لا يكاد يعلم ،  
والعجل يقول قبل أن يعلم ، ويحجب قبل أن يفهم ، ويحمد قبل أن يُحرَّب ،  
ويذم بعد ما يحمد ، يعزم قبل أن يفكر ، ويمضى قبل أن يعزم ، والعجل تصحبه  
الندامة ، وتعتزله السلامة ، وكانت العرب تسمى العجلة أمّ الندامات .  
وتقد أشدنى بعض أهل العلم :

العجز ضرٌّ ، وما بالخزم من ضرر وأخزم الخزم سوء الظن بالناس  
لا تترك الخزم في أمر تحاذره فإن أمنت فما بالخزم من ناس  
أخبرنا عمرو بن محمد حدثنا القلابي حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب قال :  
كان يقال : لا يوجد المجول محموداً ، ولا المضروب مسروراً ، ولا الحر حريراً ،  
ولا الكريم حسوداً ، ولا الشر غنياً ، ولا اللؤلؤ ذا إحور  
وأشدنى محمد بن عبد الله الشاذلي :

إذا ما أتيت الأمر من غير ما به نصّبت ، حتى لا ترى فيه مُرتقى  
وإن الذي يصطاده التمعّن عتا على الفصح كان التمعّن أعنى وأصيقا  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : العجلة تكون من الحدة ، وصاحب العجلة  
إن أصاب فرصته لم يكن محموداً ، وإن أخطأها كان مذموماً ، والعجل لا يسير

إلا منا كنا للقصد ، منحرفا عن الحادّة ، يلتبس ما هو أسكد وأوعر وأخفى مسار ، يحكم حكم الوَرَّهَاء ، ويناسب أخلاق النساء .

ولقد حدثنا عمرو بن محمد الأنصارى حدثنا لفلان حدثنا مهدي بن ساق قال : قال خالد بن برمك : من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياء فهو خليف أن لا ينزل به كبير مكروه : العجلة ، واللجاجه ، والعجب ، والتواني ، فثمره العجبة الندامة ، وثمره اللجاجة الخيرة ، وثمره العجب البغضة ، وثمره التواني الدل .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العجلة موكل بها لندم ، وما عجل أحد إلا اكتسب ندامة ، واستفاد مذمة ؛ لأن الزلل مع العجل ، والإقدام على العمل بعد التأني فيه أحرم من الإمساك عنه بعد الإقدام عليه ، ولا يكون العحول محموداً أبداً ، والمائل يعلم أن العجز في الأمور يقوم في النقص مقام الإفراط في السعي ، فيتجنبهما معاً ، ويجعل نفسه مسلماً بينهما .

ولقد حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو الدرداء عبد العزيز بن منيب حدثني إبراهيم بن عاصم قال : سمعت صدقة يقول : سمعت اشعري يقول : نكح العجز التواني ، فولد الندامة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : سب النجاح ترك التواني ، ودواعي الحرمان الكسل ؛ لأن الكسل عدو المروءة ، وعذاب على الفتوة ، ومن التواني والعجز أتت الملكة ، وكما أن الأناة بعد الفرصة أعظم الخطأ كذلك العجلة قبل الإمكان نفس الخطأ ، والرشد من رشده عن العجلة ، والتائب من خاب عن الأناة ، والمجمل مخطيء أبداً ، كما أن المثبت مصيب أبداً .

وحدثني محمد بن عثمان العقي حدثنا محمد بن الحسن المصري حدثني سم بن حماد حدثنا ابن المبارك حدثنا معمر قال : كتب عمرو إلى معاوية يعاتبه في الثاني « أما بعد ، فإن التفهم في الخير زيادة ورشد ، وإنه من لا يفهم الرفق

يفضره الخرق ، ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعاني - أو قال : المعالي - ولا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغيب حله جهله ، وتصبره شهوته ، ولا يدرك ذلك إلا بقوة الحلم .

وأشدني محمد بن حبيب الواسطي :

بني ، إذا ماساقت الضر فأتيت  
فلأرقق أولى ، لأريب وأحرر  
فلا تحمين عند الأمور تعزرا فقد يورث الدال الطويل التعزرا

أخبرني محمد بن المندر حدثنا إسماعيل بن إسحاق حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد عن أيوب قال : قال أكنم بن صيفي : ما يسري أي نزلت بدار معجزة « سمعت وألبت »<sup>(١)</sup> . قيل له : لم ؟ قال : لأنني أحب أن أتمد المعجز عادة .

أشدني لمتصر بن بلال :

وعبك في بعض الأمور صموية والرفق للمستصعيات مداني  
ومحسن عقل المرء يثبت حاله وعسى الممارس ثمر العيدان  
حدثنا عمرو بن محمد حدثنا العلابي حدثنا مهدي بن سابق عن عبد الله بن عياش عن أبيه قال : شهد أعرابي عند معاوية شهادة ، فقل معاوية : كذبت ، فقال الأعرابي : إن الكاذب للمتمزئ في ثيابه ، فقال معاوية : هذا حزاء من يعجل .

ذكر الحث على تعلم الأدب ولزوم الفصاحة

حدثنا الحسين بن إدريس الأنصاري أبنا أحمد بن أبي بكر عن مالك عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن من البيان لسحرا »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : قد شبه النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر

(١) ألبت : صرت داسم ، وألبت : صرت دالين .

البیان « سحر : إذ الساحر يستعمل قلب الماظر إليه سحره وشعوذته والفصيح  
الذربُ اللسان يستعمل قلوب الناس إليه بحسن فصاحته وبظم كلامه ، فالأنس  
تكون إليه تائفة ، والأعين إليه رافقة .

ولقد حدثنا أبو حنيفة حدثنا أبو محمد النوزي النحوي حدثنا عبد الله بن صالح  
حدثنا حبان بن علي قال : سمعت ابن شبرمة يقول : ما رأيت لباساً على رجل أحسن  
من فصاحة ، ولا على امرأة من شحم ، وإن الرجل ليتكلم فيعرب ، فكأن  
عليه الحرّ الأدكن ، وإن الرجل ليتكلم يلعن فكأن عليه أسماً<sup>(١)</sup> ، إن  
أحببت أن يصغر في عينك الكبير ، وبكبر في عينك الصغير : فتعلم النحو .  
وأشدني الكريزي :

أكرم بذى أدب ، أكرم بذى حسب	فإنما العرم في الأحساب والأدب
ولئس صنفان ذو عقل ، وذو أدب	كمدن الفضة لبيضاء والذهب
وسائر الناس من بين ، لورى همج	كانوا موالى ، أو كانوا من العرب

وأشدني البسامي :

ليس المسود من المال سؤدده	بل السود من قد ساد بالأدب
لأن من ساد بالأموال سؤدده	مادام في جمع دا الأموال والنشب
إن قل يوماً له مال يصير إلى	هون من الأمر في دل وفي تمب

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الفصاحة أحسن لباس يلبسه الرجل وأحسن  
إزار يتر به العاقل ، والأدب صاحب في الغربة ، ومؤنس في القلة ، ودين في  
الحافل ، وريادة في العقل ، ودليل على المروءة ، ومن استفاد الأدب في حديثه  
انتفع به في كبره ؛ لأن من غرس فسيل<sup>(٢)</sup> يوشك أن يأكل رطبتها ، وما يستوى  
عند أولى النهى ، ولا يكون سيان عند ذوى الحجى ؛ رجلان : أحدهما يلعن ،  
والآخر لا يلعن .

(١) الأسما : الثياب لبالية . (٢) القليل : صغار النخل .

ولقد حدثنا الحسين بن محمد بن مصعب السنجي حدثنا أبو داود حدثنا  
عبد الله بن بكر بن حبيب حدثنا أبي عن سالم بن قبيصة قال : كنت عند  
ابن هبيرة بجري الحديث ، حتى ذكروا المريية ، فقال : والله ما استوى رجلان  
حسبهما واحد ، ومروءتهما واحدة ، أحدهما يلحن ، والآخر لا يلحن ، إلا أن  
أفصلهم في الدنيا والآخرة الذي لا يلحن ، قال فقلت : أصلح لله الأمير هذا  
أفضل في الدنيا لفصل فصاحته وعمر بيته ، أرايت الآخرة ما باله فصل فيها ؟ قال :  
إنه يقرأ كتاب الله على ما أزل ، والذي يلحن يحمله لحنه على أن يدخل في  
كتاب الله ما ليس فيه ، ويخرج منه ما هو فيه ، قال قلت : صدق الأمير وبراً !  
وأشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

أيها الطالب فحراً بالنسب إنما الناس لأم ولأب  
هل تراهم خفقوا من قصة أوحديد أو محاس أو ذهب ؟  
أو ترى فضعم في حلقهم هل سوى لحم وعظم وعصب ؟  
إنما الفضل بحلم راجح وبخلق كرام وأدب  
ذاك من فخر في الناس به فاق من فاجر منهم وغيب  
وأشدني محمد بن نصر بن نوفل أنشدني عبد العزيز بن أحمد بن بكار إمام  
مسجد مكة :

ما حلة نسجت بالدُر والذهب إلا وأحسن منها المرء بالأدب  
حدثنا محمد بن أبي علي الخلابي حدثنا أحمد بن محمد السروقي حدثنا محمد بن  
الحسين البرجلاني حدثنا أبو عمر العمري حدثني عبد الله بن سلمة بن مرداس عن  
أبيه قال : قال لي رجل من حكماء القوس : أقرب القرابة المودة الدائمة ، وأفضل  
ما ورث الآباء الأبناء حسن الأدب .  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : أفضل ما ورث أب ابتائاه حسن وأدب نافع ،  
والحرص عندي خير من البيان بالكذب ، كما أن الحصور خير من العاهر .

فيجب على الناقد أن يدرك قلبه بالأدب ، كما يدرك النار بالخطب ؛ لأن  
من لم يدرك قلبه رآه حتى يَسْوَدَّ ، ومن تعلم الأدب فلا يتخذ الحرارة عُدَّةً ،  
ولا العبارة ملحاً ، ولكن يقصد قصد الانتفاع بنفسه ، وليستمع به على  
ما يقربه إلى فادته .

ولقد أنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

أدبُ المرء كلهم ودمٍ ماحواه رجل إلا صلح  
لو وزتم رجلاً ذا أدب بألوف من ذوى الجهل رجح  
أباً ما أحد بن شر الكرحى حدثاً محمود بن الخطاب حدثاً رُسنة  
عبد الرحمن بن عمر قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول : ما ندمت على شيء  
ندمته إلا أني لم أنظر في العربية .

سمعت إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل القاضي يقول : سمعت ابن أبي  
الأسمنى يقول : سمعت عمي يقول : تعلموا النحو ، فإن بني إسرائيل كفروا بكلمة  
واحدة ، كانت مشددة فخففوها ، قال الله « يا عيسى إني ولدتك » فقرأوا يا عيسى  
إني ولدتك فخفف فكفروا .

حدثنا الحسن بن إسحاق الإصبهاني حدثنا أبو أمية حدثنا عبد الله بن صالح  
حدثنا أبو زيد النحوي قال : جاء رجل إلى الحسن ، فقال : ما تقول في رجل  
ترك أبيه وأخيه ؟ فقال الحسن : ترك أباه وأخاه ، قال الرجل : فما لأباه ولأخاه ؟  
فقال : الحسن فما لأبيه ولأخيه ؟ فقال الرجل : كلما تابعتك خالفت

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا رتبة أحسن من زينة الحسب ، كما أن من  
أجل الجمال استعمال الأدب ، ولا حسن لمن لا أدب له ، ومن كان من أهل  
الأدب ممن لا حسب له يبلغ به أدبه مراتب أهل الأحساب ؛ لأن حسن الأدب  
خَلَفَ من الحسب ، وليست الفصاحة إلا إصابة المعنى والقصد ، ولا لبلاغة



إلا تصحيح الأقسام واختيار الكلام ، ومن أحمد الفصاحة لاقتدار عند البداهة  
والغزارة عند الإطالة ، وأحسن البلاغة وضوح الدلالة ، وحسن الإشارة .

ولقد سمعت محمد بن نصر بن نوفل المروزي يقول : سمعت أبا داود السنعي  
يقول : سمعت الأصمعي يقول : ليست البلاغة حمة اللسان ، ولا كثرة التمدين ،  
ولكن بإصالة المعنى والتقصيد إلى الحاجة . وإن تبع الكلام ما لم يكن مغرور  
المخدع ، ولا البدوي للمرب .

وأشدنى الكريزي :

ولم أر فصلاً ثمَّ إلا شيمة ولم أر عقلاً صح إلا على أدب  
ولم أر في الأعداء حين اختبرتهم عدواً يعقل المرء أعدى من القصب  
حدثنا عمر بن محمد حدثنا الفلابي حدثنا محمد بن عبيد الله الجشمي قال : قال  
المدايني : ذكر عند علي بن عبد الله بن عباس بلاغة رجل ، فقال : إني لأكره  
أن يكون مقدار لسانه فاضلاً على مقدار عقله ، كما أكره أن يكون مقدار عقله  
فاضلاً على مقدار عقله .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الكلام مثل اللؤلؤ الأزهر ، والزبرجد الأخضر  
والياقوت الأحمر ، إلا أن بعضه أفضل من بعض ، ومنه ما يكون مثل الخرف  
والحجر والغراب والمدبر ، وأحوج الناس إلى لزوم الأدب وتعلم الفصاحة أهل  
العلم : لكثرة قراءتهم الأحاديث ، وحوضهم في أنواع العلوم .

ولقد سمعت محمد بن نصر بن نوفل يقول : سمعت أبا داود السنعي أو  
حدثني سهل بن هاني عنه ، قال : سمعت الأصمعي يقول : إن أحرف ما أخاف  
على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل فيما قال النبي صلى الله عليه وسلم  
« مَنْ كَفَبَ عَلَى مَعْمَدٍ فَلْيَقْبُوا مَعْمَدَهُ مِنَ النَّارِ » : لأنه عليه الصلاة والسلام لم  
يكن لحاماً ، ولم يلحق في حديثه ، فمما رويته عنه ولحيت فيه كذبت عليه .

وأشدني ابن رحي البغدادي :

لبس اعنى كل النقي إلا العتي في أده  
ومعض أخلاق العتي أولى به من سبه  
خشف امرئ لسانه في جدّه أو لعمه  
بين اللهى مقتله ركب في مركه

سمعت أحمد بن الخطاب بن مهران يتسّتر يقول : سمعت عثمان بن حُرّ زَادَ يقول : سمعت علي بن الجعد يقول : سمعت شعبة يقول : مثل الذي يطب الحديث ولا يعرف النحو مثل الدابة عليها الخلالة ، ليس فيها شيء .

### ذكر إباحة جمع المال للقائم بحقوقه

حدثنا أحمد بن محمد بن الحسين ابن بنت الحسن بن عيسى بن ماسرّ حسن حدثنا جدي حدثنا ابن المبارك أنبأنا موسى بن علي بن رباح عن أبيه عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يا عمرو جمع المال الصالح للرجل الصالح » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الخبر يصرح عن النبي صلى الله عليه وسلم بإباحة جمع المال من حيث يحب ، ويحل للقائم فيه حقوقه ، لأن في تقيده الصلاح بالمال والرجل معاً باتنا واضحا ، لأنه إنما أباح في جمع المال الذي لا يكون بمحرم على جامعه ، ثم يكون الجامع له قائماً بحقوق الله فيه ، وقد ذكرت هذه المسألة بتمامها بالملل والحكايات في كتاب « الفضل بين الفنى والفقر » بما أرجو الفنية فيها لمن أراد الوقوف على معرفتها ، فغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

أشدني منصور بن محمد الكريزى :

إذا كان ما حَقَّتْ بِسِيسِ بِسَامِعٍ فَأَتَتْ وَأَقْصَى النَّاسِ فِيهِ مَوَاهِ  
 عَلَى أَنْ هَذَا خَارِجٌ مِنْ ثَمَامِهِ وَأَتَتْ الَّتِي نَجَرَى بِهِ وَنَسَاءُ  
 أَنبِيَانَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ فَارَسٍ حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ مِنَ الصَّبَاحِ حَدَّثَ  
 أَبُو عِيَادٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: سَمِعْتُ مُطَرِّفَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّحِيرِ يَحْدُثُ  
 عَنْ حَكِيمِ بْنِ قَبَسٍ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَوْصَى بِيَهُ عَدَمُونَهُ ، فَقَالَ : عَلَيْكُمْ  
 بِالنَّاسِ وَاصْطِنَاعِهِ فَإِنَّهُ مَنْهَةٌ لِلْكَرِيمِ ، وَاسْتِغْنَى بِهِ عَنِ اللَّثِيمِ ، وَإِنْ كُنْتُمْ وَمَدَالَةً  
 فَالْمَنَاسِ ؛ فَيُهِمُّهَا آخِرُ كَسْبِ الرَّحْلِ .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : بَنِي مِنْ أَحْسَنِ مَا يَنْصَحُ لِنَفْسِهِ [ بِهِ ] فِي عَمَلِهِ وَرِسَدِ  
 الْمَمَاتِ تَقْوَى اللَّهِ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ .

فَوَاجِبٌ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَعْمَلَ فِي شِسَالِهِ فِيمَا يَفِيقُ بِهِ أَوْدَهُ ، كَالشَّيْءِ الَّذِي  
 لَا يَفَارِقُهُ أَبَدًا ، وَفِيمَا يَصْلُحُ بِهِ دِينَهُ كَالشَّيْءِ الَّذِي لَا يَجِدُهُ غَدًا ، وَيَكُنْ تَعَاهُدُهُ  
 لِمَالِهِ مَا يَصْبَحُ بِهِ مَعَانِهِ ، وَيَصُونَ بِهِ نَفْسِهِ ، وَفِي دِينِهِ مَا يَقْدَمُ بِهِ لِآخِرِهِ ، وَبِرَضَى  
 بِهِ حَالِقِهِ ، وَالْعَاقِلُ خَيْرٌ مِنَ الْغَنِيِّ بِالْحَرَامِ ، وَالْغَنِيُّ الَّذِي لَا مَرْوَةَ لَهُ أَهْوَنُ مِنَ  
 الْفَكْرِ ، وَإِنْ هُوَ مُلَوِّقٌ وَحَدِيدٌ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُمَانَ الْعَقْبِيُّ حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى بْنِ أَيُّوبَ حَدَّثَنِي أَبِي  
 حَدَّثَنِي عَيْسَى بْنُ يُونُسَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُوْفَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدَرِ قَالَ : سَمِعْتُ الْعَوْنَ  
 عَلَى تَقْوَى اللَّهِ الْغَنَى .

وَأَشَدُّ عَلَى بَنِي مُحَمَّدٍ الْبَسَامِيُّ :

أَرَى كُلَّ ذِي مَالٍ يَسُودُ بِعَالِهِ وَإِنْ كَانَ لَا أَصْلَ هُنَاكَ وَلَا هَهُنَا  
 وَآخِرَ مَنْسُوبٍ إِلَى الرَّأْيِ حَسْبًا وَأَفْزَكَ مَحْمُولًا ، لَهُ الْجَاءُ وَالْجَبَلُ  
 فَلَا دَا بِفَضْلِ الرَّأْيِ أَهْدَكَ بُلْعًا وَلَمْ أَرَهُنَا صَرَّهَ السُّوْكُ وَالْجَهْلُ  
 وَأَشَدُّ مِنْصُورِينَ مُحَمَّدَ الْكَرِيمِ لِيَحْيَى بَنِي أَكْتَمَ :

إذا قلَّ مالُ المرءِ قلَّ بهاؤه وضاعت عليه أرضه وسهؤه  
وأصبح لا يدرى، وإن كان حازماً أقدامه خيرٌ له أم وراؤه  
ولم يعض في وجهه من الأرض واسعٍ من الناس إلا صاق عنه فضاؤه  
وأصبح سروداً عليه مقالُه وكان به قد يقتدى خطبؤه  
وإن يبق لم يضرُّ عدواً بقاؤه وإن يفتن لم يفقد خيراً قناؤه  
حدثني محمد بن المهاجر حدثنا أبو أحمد بن حماد البربري عن سليمان بن أبي  
شيخ حدثني الزبيرى قال : مر عمر بن الخطاب بمحمد بن مسلمة وهو يغرس  
ودية<sup>(١)</sup> . فقال : ما تصنع يا ابن مسلمة ؟ قال : ما ترى ، أستغنى عن الناس . كما  
قال صاحبكم أحيعة بن الجلاح :

استغن ، أو مت ، فلا يغزرك ذونسبٍ من ابن عم ، ولا عم ، ولا حال  
إني أظنُّ على الزوراء أغمرها إن الحبيب إلى الإخوان ذو المال  
أنا أنا محمد بن لندر حدثنا علي بن عبد الرحمن عن عبدان قال : دخلت على  
عبد الله المبارك ، وهو يبكي ، فقلت له : مالك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : بضاعة لي  
ذهبت ، قال : قلت : أو تبكى على المال ؟ قال : إنما هو قوام ديتي .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أسعد الناس من كان في غناه عفيفاً ،  
وفي مسكنته قنعاً ؛ لأن من نزل به الفقر لم يجد نداءً من ترث الحياء ، والفقر  
يذهب العقل والروءة ، ويذهب لعلم والأدب ، وكاد الفقر أن يكون كفراً ،  
ومن عرف بال فقر صار مقعداً للثمة ، ومحماً للبلايا ، اللهم إلا أن يرق المرء قلباً  
نقياً قنعاً ، يرى الثواب المدخر من الصجر الشديد ، فيفتد لا يبالي بالعالم بأمرهم

(١) الودى - يفتح الواء وكسر الدال وياء مشددة - صغار الحبل ، واحدته ودية -

والدنيا وما فيها ، والفقر داعية إلى المسهانة ، كما أن العى داعية إلى السهانة ، ولقد أحسن الذى يقول :

يغطى عيوب المرء كثرة ماله      وصدق فيما قال ، وهو كذوب  
ويزرى بعقل المرء قلة ماله      يحتمه الأقوام وهو ليب  
أبنا بكر بن أحد بن سيد الصاحى حدثنا نضر بن قادم حدثنا حماد بن ريد  
عن أيوب قال : قال لى أبو قلابة : يا أيوب ، الزم سوقك : فامك لا تزال كريما  
على إخوانك ما لم تحتج إليهم .

وأشدنى العقبي أشدنى عمد بن حنف التيمى بالكوفة :  
كأن مقللاً حين يغدو الحاجة      إلى كل من يلقى من الناس مذنب  
وكان بنوعى يقولون : مرحب      فلما رأوني مغمماً مات مرحب  
وأشدنى الكريزى :

لعمرك ، إن المال قد يحمل الفتى      سيبا ، وإن الفقر بالمرء قد يررى  
ولا رفع النفس الدنيئة كالغنى      ولا وضع النفس الكريمة كالفقير  
حدثنا محمد بن يحيى العى ببغداد حدثنا الصلت بن مسعود حدثنا حماد بن  
زيد حدثنا أيوب قال : قال لى أبو قلابة : الزم السوق : فإن العى من العافية .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : ليس خلة هى الفقى مدح إلا وعى للفقير عيب ؛  
فإن كان الفقير حلماً قيل : بديد ، وإن كان عاقلاً قيل : مكار ، وإن كان بليفاً  
قيل : مهذار ، وإن كان ذكياً قيل : حديد ، وإن كان صموتاً قيل : صمى ، وإن  
كان متسائلاً قيل : جبان ، وإن كان عارماً قيل : حرى ، وإن كان حوادا  
قيل : مسرف ، وإن كان مقدراً قيل : ممسك .

وشر المال ما اكتسب من حيث لا يحل وأنفق فيما لا يحسن ، ووجوده

وعنده يسا بتعهد ولا بكثرة حيلة ، ولكنه أنسام ومواهب من الخلاق العليم<sup>(١)</sup>  
ولقد أنشدني الأبرش :

يشقى رجا ، ويشقى آخرون هم      ويسعد الله أقواما بأقوام  
وليس رزق الصقي من حسن حيلته      لكن جود بأرزاق وأقسام  
كالصيد يحرمه الراعي المجيد ، وقد      يرمى فيرثقه من لس براى  
حدثني محمد بن سعيد القزاز حدثنا أحمد بن داود بن موسى العطار حدثنا  
أحمد بن نصر المديني حدثنا المديني قال : قال أبو قيس بن معدى كرب ، وكان  
له أحد عشر ذكرا : يا بني ، اطلبوا هذا المال أجل الطلب ، واصرفوه في أحسن  
مذهب ، صلوا به الأرحام ، واصطنعوا به الأقوام ، واحطوه حنة لأعراسكم  
تحسن في الناس فالتكم ، فإن جمعه كمال الأدب ، وبذله كمال المروءة حتى إنه  
يسود غير السيد ، ويعوى غير الأيد ، وحتى إنه ليكون في أنف الدس نيبا ،  
وي أعينهم مهبيا . ومن جمع مالا فلم يصن عرصا ، ولم يعط سائلا ، بحث الناس  
عن أصله : فإن كان مدخولا هتكوه ، وإن كان صحيحا نسبوه إما إلى عرصر  
دنية ، وإما إلى نوص<sup>(٢)</sup> لئيم حتى يهجنوه .

(١) فإذا كان كذلك لما بال أي قلابة يقول د الزم سوقك فإن العلي من  
العافية ؟ نعم هو هبة من الخلاق العليم ، ولكن الخلاق العليم هو سبحانه  
الخير الحكيم ، الذي جعل لكل شيء سببا ، ودعا الإنسان إلى الأحسن بأسباب  
مضمر له في السموات والأرض ، متوكلا على الله ، ضارعا إليه أن يديم عليه التوفيق  
لهذه الأسباب ، والإحسان فيها والتقدير لها ، وشكرها لمسيديها ، والله يقول ( من  
كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها ، وهم فيها لا يحسون )

(٢) في اللسان : لاصه جينه لوصد ، ولاوصه : طالعه من خلل أو ستر . وقبله :  
الملاوصة النظر بعة ويسرة ، كأنه بروم أمرا - إلى أن قال - والإنسان يلاوص =

حدثنا مطهر بن يحيى بن ثابت بواسط حدثنا سنان القطان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال «سمع رجل صوتا في عمام : اذهبي إلى أرض فلان ، فاسقيه قال : فقال الرجل : لا تين فلا ، هذا فلا ظرو ما يعمل في أرضه ، فتاه وقد مطر فيه وهو قائم يفتح لأوعى ، قسم عبه ، وقال : يا عبد الله ، أخبرني ما تعمل في أرضك هذه ؟ قال : أنظر إلى ما أخرج الله منها ، فأورد فيها الله ، وأتصدق ثلثه ، وآكل أنا وعيالي ثلثه . قال علقمة : فكان ابن مسعود يبعثني إلى أرض له يزار أن أفعل فيها مثل ذلك » .

قال أبو حنيفة رضي الله عنه : إن شر لئال مالا يُخرج منه حقوقه ، وإن شراً منه ما أخذ من غير حقه ، ومنع من حقه ، وأفق في غير حقه ، واستأجر الدل قوام المعاش ، ولا بد للمرء من إصلاح ماله ، وما ارتفع أحد قط عن إصلاح ماله صالح كان أو طالحا .

ولا يحب للعاقل أن يعتمد على مجاورة نعم الله عنده فلا يقصى منها حقوقها ؛ لأن من أساء مجاورة ريم الله أسأت مجاورته . وتحولت عنه إلى غيره .

ولقد أشدني ابن رجب البغدادي :

وإن كنت في خير ، فلا تنقر به      ولكن قل : اللهم ستم وتم  
من لم يقص عرقا إذا ما استفده      ويشكر لأهل خير أسأت ويديم

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا العلاء أشدنا مهدي بن سابق

وربُّ مُملِكٍ مالا كثيرا      ولكن حظه منه قليل

في أشجرة إذا أراد قلعها بالعماس ، فتراها يلاصق في بطرء يمتد ويسرعة كيف يصبرها ، وكيف يأتينا ليقتلعها .

يمش نفضله هذا وهذا وقد سالت به فيه سيول  
له منه الذي يحيا عليه بعيشته ، وسائر فضول  
حدثنا أحمد بن الحسين الحراري - بالموصل - حدثنا أحمد بن سنان القطان  
حدثنا كثير بن هشام عن عيسى بن إبراهيم عن معاوية بن عبد الله عن كعب  
قال : أول من صرب الدينار والدرهم آدم ، وقال : لا تصلح المعيشة إلا بهما .  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : قد ذكرت ما شا كل هذه الحكايات في كتب  
« السخاء والنذل » فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

### ذكر الحث على إقامة المروءات

حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل القاسمي وعبد الله بن محمود بن سليمان  
السدي قالا : حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله العثمي حدثنا مسلم بن خالد الزنجي  
عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه  
وسلم « كرم الرجل دينه ، ومروءته عقله ، وحسنه خلقه » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : صرح النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر  
بأن المروءة هي العقل ، والعقل اسم يقع على العلم بسلوك الصواب واجتناب الخطأ .  
فالواجب على العاقل أن يلزم إقامة المروءة بما قدر عليه من الخصال الحمودة ،  
وترك الخلال المدمومة .

وقد نبهت نابعة اتكّلوا على آثامهم ، واتكّلوا على أجدادهم ، في الذكر  
والمروءات ، وبعثوا عن القيام بإقامتها بأنفسهم .

ولقد أنشدني منصور بن محمد في دَمٍّ مَنْ هذا نمته :

إن المروءة ليس يُدركها امرؤ ورث المروءة عن أبي ، فأضاعها



أمرته نفس ببداهه وأخفا  
ومته عن طيب العلى فأطاعها  
عابدا أصاب من الأمور عقيمة  
بني الكريم بها المروءة باعها  
وأشدنى محمد من إسحاق :

خسة أخلاق الرجال كشبنهم  
وقل غناء عنهم السب المحص  
يصولون بالآباء في كل مشهد  
وقد غيّت آباءهم عنهم الأرض  
صويل تذيبهم بمجد أيهم  
ومالم في المجد طول ولا عرض  
وأشدنى الحسين بن أحمد البغدادي :

بس الكريم ممن يندس عرضه  
وبرى مروءته تكون بمن مصى  
حتى يشيد بقاءه يتساه  
وزين صالح ما أتوه عما أتى  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : ما رأيت أحدا أحسر صفقة ، ولا أظهر حسرة ،  
لا أخيب قصدا ، ولا أنفل رشدا ، ولا أحق شعرا ، ولا أدنس دثرا ، من  
لغتخر بالآباء الكرام وأحلاقهم الجسام ، مع تفرّيه عن سلوك أمثالهم ، وقصد  
شباههم ، متوهم أنهم ارتفعوا عن قبلهم ، وسادوا بمن تقدمهم ، وهيهات ! أتى  
سود المرء على الحقيقة إلا نفسه ؟ وأتى يتسل في الدارين إلا نكده ؟

ولقد أشدنى البسامي :

وكم قائل : إني ابن بيت ، هو ابنه  
وقد هدم البيت الذي مات عامرة  
غزوى تموداه ، ورثت حباله  
وأصبح أولاء ، وأفسد آخره

وأشدنى الأبرش :

فقلت : لي بآء صدق ومنصب  
كريم وإخوان مضت وجلود  
صدفت ، ولكن أنت هدمت ما بنوا  
بصكفك عمدا ، والبناء حديد

وأشدنى محمد بن عبد الله البغدادي :

إن لم تنكس بمعال نفسك سامياً لم يضر عنك سمو من تسمو به  
يس القديم على الحديث راجع إن لم تحده آخذا بنصيبه  
ورعاً اقترب لمعيد بوده وغدا القريب مباعدة لقريبه  
أنبأنا الحسين بن محمد بن مصعب السنجي حدثنا أبو داود السجى حدثنا  
عبد الرزق عن معمر عن الحسن قال : لا دين إلا بمروءة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : اختلف الناس فى كيفية المروءة :  
فمن قائل قل . المروءة ثلاثة : إكرام لرجل ، حوائ أبه ، وإصلاحه ماله ،  
وقعوده على باب داره .

ومن قائل قال : المروءة إتيان الحق ، وتعاهد الضيف .  
ومن قائل قال : المروءة تقوى الله ، وإصلاح الضيعة ، والغذاء والعشاء  
فى الأفنية .

ومن قائل قال : المروءة إصناف الرجل من هو دونه ، والسمو إلى من هو  
فوقه ، والجزاء بما أئى إليه .

ومن قائل قال : مروءة الرجل صلف لسانه ، واحتماله عثرات جيرانه ،  
وذلك المعروف لأهل زمانه ، وكفه الأذى عن أباعده وجيرانه .

ومن قائل قال : إن المروءة التباعد من الخلق الدنى فقط :  
ومن قائل قال : المروءة أن يعتزل الرجل الريبة ؛ فإنه إذا كان عريباً  
كان ذليلاً ، وأن يصلح ماله ؛ فإن من أسد ماله لم يكن له مروءة ، والابقاء  
على نفسه فى مطعمه ومشربه .

ومن قائل قال : لمروءة حسن العشرة ، وحفظ الفرج واللسان ، وترك المرء  
ما يعاب منه .

ومن قائل قال : للمروءة سخاوة لنفس ، وحسن خلق .

ومن قائل قال : المروءة العفة والخوف ، أى يَعْفُ عم حرم الله ، ويحْتَفِ فيما أحل الله .

ومن قائل قال : المروءة كثرة المال والولد

ومن قائل قال : المروءة إذا أعطيت شكرت ، وإذا منيت صبرت ، وإذا قدرت غفرت ، وإذا وعدت أتمرت .

ومن قائل قال : المروءة حسن الخيلة فى المطالبة ، ورقة الظرف فى المسكاتبة .

ومن قائل قال : المروءة اللطافة فى الأمور ، وجودة لفظة .

ومن قائل قال : المروءة مجانة الريبة : فإنه لا يسأل صريب . وإصلاح المال : فإنه لا يسأل فقير ، وقسمه مخوانج أهل بيته : فإنه لا يسأل من محتاج أهل بيته إلى غيره .

ومن قائل قال : المروءة السطافة ، وطيب الرائحة .

ومن قائل قال : المروءة الفصاحة والسياسة .

ومن قائل قال : المروءة طلب السلامة ، واستعطاف الدس .

ومن قائل قال : المروءة سرعة العهد ، والوفاء بالعقود .

ومن قائل قال : المروءة التمدل للأحباب بالتمنى ، ومدارة الأعداء بالترقى .

ومن قائل قال : المروءة ملاحاة الحركة ، ورقة الطبع .

ومن قائل قال : المروءة هى المعاكمة ، والمباينة .

حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مسدد بن عبيد أبو فراس

قال : قال ربيعة : المروءة مروءتان : فلاسفر مروءة ، وللحضر مروءة :

فأما مروءة السفر فمثل الزاد ، وقلة الخلاف على الأصحاب ، وكثرة المزاج

فى غير مساحط الله

وأما مروءة الحصر فلا إيمان إلى المساحد ، وكثرة الإحوان في الله ،  
وقراءة القرآن .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : اختفت ألفاظها في كيمية المروءة ومعاني  
ما قالوا قريبة بعضها من بعض .

والمروءة عندي خصتان : اجتناب ما يكره الله والمسلمون من الفعل ،  
واستعمال ما يحب الله والمسلمون من الخصال .

وهاتان الخصلتان يأتیان على ما ذكرنا قبل من اختلافهم ، واستعملها هو  
العقل نفسه ، كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم « إن مروءة المرء عقله » .

ومن أحسن ما يستعين به المرء على إقامة مروءته المال الصالح .  
وقد أشدنى منصور بن محمد الكريزى :

احتل لنفسك أيها المحتل فـن المروءة أن يرى لك مال  
كم ناطق وسط الرجال ، وإنما عنهم هناك تكلم الأموال

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يقيم مروءته بما قدر  
عليه ، ولا سبيل إلى إقامة مروءته إلا باليسار من المال ، فمن رزق ذلك وضنَّ  
ببنداقه في إقامة مروءته فهو أمدى خسر الدنيا والآخرة ، ولا آمن أن تقيأه المنية  
فتسله عما ملك كريها ، وتودعه قبراً وحيداً . ثم يرث المال بعد من يأكله  
ولا يحمله ، وينفقه ولا يشكره ، فأى ندامة تشبه هذه ؟ وأى حسرة تزيد عليها ؟  
وقد أشدنى محمد بن عبد الله البغدادي :

يا جامع المال في الدين لوارثه هل أنت بالمال قبل الموت منتفع ؟  
قدم لنفسك قبل الموت في مهل فإن حظك بعد الموت منقطع

أنيأنا المفضل بن محمد الجندي - بمكة - حدثنا إسحاق بن إبراهيم الطبري حدثنا  
أزهر عن ابن عون عن ابن سيرين قال : ثلاثة ليست من المروءة : الأكل في

الأسواق ، والأدهان عند العطار ، والنظر في مرآة الحجام .  
حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني حدثنا هشيم  
عن مغيرة عن الشعبي قال : ليس من المروءة النظر في مرآة الحجام .  
حدثنا محمد بن يحيى بن الحسن العمى ببغداد حدثنا الصلت بن مسعود حدثنا  
حماد بن زيد حدثنا أيوب قال : سمعت أبا قلانة يقول : ليس من المروءة أن  
يربح الرجل على صديقه .

وأشدنى البسامي :

اعلم يا بك ، لا أباك ، في الدير أصبحت تجمعه لعيرك حار  
إنَّ المنية لا تؤامر مَنْ أتت في نفسه برما ، ولا تستأذن  
أنبانا عمرو بن محمد حدثنا العلابي حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال : كان  
يقال : مجالسة أهل الديانة تخلو عن القلب صدأ الذنوب ، ومجالسة ذوي المروءات  
تدل على مكارم الأخلاق ، ومجالسة العلماء تذكى القلوب  
حدثني محمد بن أبي علي الخلابي حدثنا أبو أحمد بن حماد البربري عن  
سليمان بن أبي شريح حدثنا محمد بن الحكم عن عوامة قال قال معاوية بن  
أبي سفيان : آفة المروءة بخوان السوء .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : والواجب على العاقل تفقد الأسباب  
المستحققة عند العوام من نفسه حتى لا يثلم مروءته ؛ فإن المحقرات من ضد  
المروءات تؤذى السكامل في الحال بالرجوع في التهفري إلى مراتب العوام  
وأوباش الناس <sup>(١)</sup> .

ولقد حدثنا جعفر بن محمد الهمداني بصور ، قال : سمعت طلحة بن إسحاق  
ابن يعقوب قال : سمعت موسى بن إسحاق الأنصاري يقول : سمعت علي بن  
حكيم الأودي يقول : سمعت شريكاً يقول : ذل الدنيا خمسة : دخول الحمام

(١) عربية هذه السكفة « أو شاب الناس » أي أحلاطهم .

سَعَرَا بِلا كَرْسَب<sup>(١)</sup> ، وعبور البحر بلا قطعة ، وحضور مجلس لعل بلا نسخة ،  
وحاجة الشريف إلى الدين ، وحاجة الرجل إلى امرأته .

حدثنا أبو شعبه الحسن بن محمد الإصطخري حدثنا عبد الرحمن بن محمد  
ابن منصور ، حدثنا محمد بن عبد العزيز الرملي ، حدثنا رشدين بن سعد ، حدثنا  
طلحة بن زيد عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : « من قلعة مروءة ارجل نظره  
في بيت اخائه ، وحمله القلوس في كفه »

### باب الحث على لزوم السخاء ، ومجانبة البخل

أما أحمد بن يحيى بن زهير بن ستر ، حدثنا الحسن بن عرفة بن يزيد العدي  
حدثنا سعيد بن محمد أوراق ، حدثنا يحيى بن سعيد الأصاري عن الأعرج عن  
أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لسخى قريب من الله ،  
قريب من الناس ، والبعي بعيد من الله ، بعيد من الناس ، ولسخى جاهل ،  
أحب إلى الله من يحيل عائد »  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : إن كان حفظ سعيد بن محمد بسناد هذا الخبر  
فهو غريب غريب .

فالواجب على العاقل إذا أمكنه الله تعالى من حطام هذه الدنيا القانية ، وعلم  
رواسخه ، وانقلابها إلى غيره ، وأنه لا ينفذ في الآخرة إلا ما قدم من الأعمال  
الصالحة : أن يطلع بمجوده في أداء الحقوق في ماله ، والقيام بالواجب في أسبابه ،

---

(١) في القاموس : الكرسب - بالفتح ، ويكسر - الجميع ، والكرنة : إطعامه  
للصبي ، وأكل التمر باللس وهذه المعاني لا تناسب ما هنا ، والظاهر أنه أراد إلقاء  
يغرف به ، وفي مدينة حلب من سوريات يستعمل هذا اللفظ لإلقاء على شكل محصوص  
معد لتزويج الحامدات من بر ونحوه .

مبتنياً بذلك الثواب في المقى ، واندكر الحيل في الدنيا ، إذ السجاء بحبة ومحمدة  
كما أن المجل مذمة ومبغضة ، ولا حير في امال إلا مع اخود ، كما لاحير في  
المطلق إلا مع الحير .

وعد أشدني المنتصر من لال الأصارى :

اجود مكرمة ، والبجل مبغضة لا ينوى البخل عند الله والجلود  
والفقر فيه شغوص ، ولعى دعة والناس في المال مروق ومحدود<sup>(١)</sup>  
حدثني محمد بن أبي علي الخلابي حدثنا محمد بن الحسن الدهلي ، حدثنا محمد  
ابن يوسف السدوسي ، حدثنا أحمد بن خالد القمعي ، حدثنا سليمان مولى عبد الصمد  
ابن علي أن المنصور أمير المؤمنين قال لابنه المهدي . « علم أن رضاء الناس غية  
لا تدرى ؛ فتحبب إليهم بالإحسان جهلك ، ونوّد إليهم بالأفصال ، واقصد  
ما فصلك موصح الحاجة منهم »

وأشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

أعدتني ليوم ، ويحك ما مملأ وكما الأذى عني ، ولا تكثر العذلا  
دعاني تحد كفي بمسكت يدي سأصبح يوماً أترك اخود والبخلا  
إذا وضعوا فوق الصريح جنادلا عني وحفت الطيسة والرحلا  
فلا أما مختار إذا مارتته ولا أنا لافي ماثويت به أهلا  
أبنا إبراهيم بن إسحاق الأنطاقي ، حدثنا لوين ، حدثنا ابن أبي ارماد عن  
هشام بن عروة قال : كان أبي يقول « ما لي قوم قط أقاموا على ماء عذب »  
حدثنا عمرو بن محمد حدثنا العلاء حدثنا بكر بن عامر العتري ، حدثنا هشام  
ابن محمد عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال « من آتاه الله منكم  
مالاً فليصل به القراءة ، وليحسن فيه الصياغة ، وليفك فيه الحاني والأسير

(١) المحدود : - بالطاء ، المهلة - المنوع من المقت وغيره .

وابن السليل والمساكين والفقراء والمجاهدين ، وليصبر فيه على الذائبة : فإن هذه  
الخصال ينال كرم الدنيا وشرف الآخرة »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أجود الجود من جاد بماله ، وصال نفسه عن  
مال غيره ، ومن جاد ساد ، كما أن من بخل رذل .

والجود حارس الأعراض ، كما أن العدو زكاة العقل ، ومن أتم لجود أن  
يشعرى عن المنة : لأن من لم يمتن بتعروفه وقره . والامتنان يهدم الصنائع ، وإذا  
تعمت لصيغة عن إزار له طرفان : أحدهما الامتنان ، والآخر طلب الجزاء .  
كان من أعظم الجود ، وهو الجود على الحقيقة .

ولقد أشدنى ابن زنجى :

يارب عاذلة في الجود ، قلت لها : قللى ، على الله فيما أنفق خلقتا  
هل من يحيل رأيت المال أحله ؟ أم هل رأيت جوادا ميتا عَجَفًا ؟ <sup>(١)</sup>  
ما رأيتى أوتى المال طالبه ولا أبلى تلادا كان أم طرفا <sup>(٢)</sup>  
عدت سماحى تبذيرا ، ولست أرى ما يكسب الحمد تبذيرا ولا سرقا  
أبانا الحسين بن سفيان ، حدثنا حبان بن موسى قال : قسم ابن المبارك  
يوما بين إخوانه وأصحاب الحديث ألف درهم ، ثم أشأ يقول :

لاحير في المال لكتنازه إلا جواد الكف وهابه  
يعمل أحبانا برواره ما تعمل الخمر شرابه

حدثني محمد بن عثمان العقبي ، حدثنا الحسن بن محمد عن ابن السباك ، قال :

يا عجبى من يشتري المالك بالتمن ، ولا يشتري الأحرار بالمعروف .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أحسن خصال المرء أجود من غير  
امتنان ، ولا طلب ثواب ، والحلم من غير ضعف ولا مهابة .

(١) لعجب : المزال (٢) الطريق : نال التحدث ، وعرف ككرم .



وأصل الجود ترك الصَّ بالحقوق عن أهلها ، كما أن أصل تربية الجسد أن لا يحمل فيه في الأكل والشرب واللبس ، فكذلك لا تنفع المروءة بغير نوص ، ولا الحفظ بغير كفاية ، كذلك لا ينفع العيش بغير مدد ، ولا المال بغير حود ، وكما أن القراءة تتبع المودة ، كذلك المحمدة تتبع للاتفاق

أما أحمد بن الحسن بن عبد الجبار ، حدثني يحيى بن معين ، حدثني المبارك ابن سعيد الثوري قال : كان يقال : ثلاث هنَّ أحسن شيء عيسن وجدت فيه : بودة في غير ذل ، وحود بغير ثواب ، ونصب بغير الدنيا .

حدثنا أبو يعلى بالموصل ، حدثني محمد بن الصباح الدولابي ، حدثنا إسماعيل ابن زكريا عن عاصم الأحول قال : قلت للحسن : سمعتي قوله صلى الله عليه وسلم « اليد العليا خير من اليد السفلى » ؟ قال : يد المعطي خير من يد المانع . حدثنا أبو خليفة ، حدثنا ابن كثير ، أبو أنا سفين عن الأعشى عن ذكوان وعبد الله بن مرة عن كعب قال : من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومسح لله : فقد استكمل الإيمان .

وأشدني الكروزي ليعني بن أكرم :

ويُظهرُ عيبَ لمرءٍ في أناسٍ مُحملةً      ويستتره عنهم جميعاً سخاؤه  
تغطّي بأثواب السخاء : فإني أرى كل عيب والسخاء غطاؤه  
وأشدني أحمد بن محمد بن عبد الله الهيماني لبعض القرشيين :

سأبذُرُ مالي كلما جاء طالبٌ      وأجعلُه وقفاً على القرض والقرض  
فإما كرميما صُنْتُ بالجود عِرْصه      وإما لئلا صُنْتُ عن لؤمه عرضي  
وأشدني كامل بن مكرم أبو العلاء ، أنشدني هلال بن العلاء بن عمر الباهلي :  
ملاَّتْ يدي من الدنيا سررا      فما طمع العوائل في اقتصادي  
وما وجبتُ على زكاة مالي      وهل تجب الزكاة على الجواد ؟

قن أو حاتم رضى الله عنه : السجل شجرة في النار أعصابها في لديها ، من  
علق بنفس من أعصابها حره إلى النار ، كما أن الجود شجرة في الجنة أعصابها  
في الدنيا ، من تعلق بنفس من أعصاب حره إلى الجنة ، والجنة دار الأسخياء ،  
والبخيل يقال له في أول درجته : البخيل ، فإذا عت وطغى في الإساءة يقال  
له : الشحيح ، فإذا ذم الجود والأسخية يقال له : لثيم ، فإذا صار محتج للبخلاء  
ويعتد بهم في فعلهم يقال له : الملائم .

وما أترر رجل يارار أعتك لعرضه ، ولا أثلم لديته من السجل .  
ونقد أشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

لكلّ هم من الموم سقمه والبخل واللاؤم لافلاح معة<sup>(١)</sup>

قد يجمع المال غير آكله ويأكل الدار غير من جمعه

أقل من الدهر ما أتتك به من قر عينا بعشه نفعه

سمعت الخطابي بأبصرة يقول : سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سأل  
كسرى : أى شئ أصر على ابن آدم ؟ قالوا : الفقر ، قال : الشح أضرب منه ،  
إن الفقير إذا وجد انسح ، وإن الشحيح لا يتسع إذا وجد

أبو إبراهيم بن محمد بن يعقوب حدثنا عن أبي القعقاع قال قال أبو الهذيل :  
كنت عند يحيى بن خالد الرمكى ، فدخل عليه رجل هندي ، ومعه مترجم له ،  
فقال المترجم : إن هذا رجل شاعر ، قد حاول مدحك ، فقال يحيى : لينشد ،  
فقال الهندي :

أره أصره كسكراكى كره مندريه

فقال يحيى للمترجم : ما يقول ؟ قال : يقول :

إذا المسكراوم في آفاقنا ذكرت وإنما بك فيها يصرب المثل

قال : فأسر له بألف دينار .

(١) الأبيات محبوطة لأوس بن حجر ، وفيها « وانصبح واللى لا فلاح معه »

وأشدى عند الرحمن بن محمد القاسمي<sup>(١)</sup> :

إذا لم يلدس من اللؤم عروضةً      فكلُّ رداء يرتديه جميلٌ  
إذا قُتَّ : لا ، في كل شيء سُلِّتته      ميسر إلى حسن القضاء جميل

وأشدى عمرو بن محمد الأنصاري أشدى العلائي أشدى مهدي بن سابق :

يُمنع لذل ، كم تصنُّ به      تطمع بالله في تحوُّد معه ؟  
هل حمل المال ميت معه ؟      أما تراه نسيره جمعة ؟

أبناؤا عمران بن موسى السخيتي حدث سلمان بن ميسرة البروري حدثنا  
عثمان بن صالح حدث ابن وهب أخيراً يحيى بن أيوب عن أبي علي العافقي  
سمع عامر بن عبد الله اليحصبي قال : كان ابن ميسرة يقول : أحوود الناس في الدنيا  
من جاد بحقوف الله ، وإن رآه الناس بخيلاً به ، سوى ذلك ، وإن أحل الناس  
في الدب من يحمل بحقوف الله ، وإن رآه الناس كريماً حواداً عما سوى ذلك .

وأشدى علي بن محمد النسابي :

رب مال سبعم الناس فيه      وهو عن ربه قليل الغناء<sup>(٢)</sup>  
كان يشقى به ، وينصب فيه      ثم أضحى لعشر غرباء  
ماله عسدم جزاء إذا ما      اعموا فيه غير سوء القضاء  
رب مال يكون ذمّاً وغماً      وغنى يعد في الفقراء

حدثنا أحمد بن الحسن بن أبي الصمير البزازي حدثنا الربيع بن سليمان قال :  
سمعت أبا عبيد الله يقول : كان أبو حاتم - يعني الضائي - سخياً ، وكان يضع الأشياء  
مواضعها ، وكان حاتم مدراً ، فاجتمع يوماً عند أبيه أصحابه ، وشكوا إليهم حاتم ،  
قال : والله ما أدري ما أصنع ، لا بأخذ شيئاً إلا بذره ، فاجتمع رأيهم على أن

(١) أوله هدي بن البتين وعبر ناسهما في كلمة مشهورة للسؤال من عادياء

(٢) القضاء بالفتح والذ : الغف

لا يعطيه شيئاً سنة ، قال : فذم أبوه ، ولم يمكنه من شيء سنة ، مع ما هو فيه من الضر ، فلما مصت السنة أمر له بمائة ناقة حمراء ، قال : فلما وقفت عليه قال حاتم : من أحب شيئاً فهو له ، حتى أخذوها كلها ، فدعاه أبوه ، فقال له : أي بوي ، ماذا تصنع ؟ قال : والله يا أباي لقد بلغ الجوع مني شيئاً لا يسألني أحد شيئاً إلا أعطيته إياه .

وأشددني عبد العزيز بن سديان :

تجودُ بالمسال على وارث ولا ترى أهلاً له نمسا  
قدَّمَ حسن الظن بالله مَنْ جادَ ، وسوء الظن من أمسكا

أبناؤنا عمرو بن محمد ، حدثنا الفلاني ، حدثنا ابن عائشة قال : كان عمر بن عبد العزيز كثيراً ما يمشي بهذا الشعر ويعجبه .

وما زودَ مما كان يجمعه إلا حوطاً غداة البين مع حرقٍ  
وغيرَ نفحة أعواد تُشدُّ له وقلَّ ذلك من زادٍ لمنطقٍ

أبناؤنا أبو يعلى حدثنا يحيى بن أيوب لمقاري حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن نافع قال « مرض ابن عمر بالمدينة ، فاشتوى عنباً في غير زمانه ، قال : فطلبوا ، فلم يجدوا إلا عند رجل ، فاشترى سبع حببات بدرهم ، فجاء سائل فامر له به ، ولم يذقه »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : ما رأيت أحداً من الشرق إلى الغرب ارتدى برداء الجود وأترر بإزار ترك الأذى إلا رأساً أشكاه وأضداده ، وحضه له النخاس والعام ، فمن أراد الرفعة العالية في العقي ، والمرتبة الجليلة في الدنيا ، فليلم الجود بما ملك ، وترك الأذى إلى النخاس والعام ، ومن أراد أن يهلك عرضه ، ويهلك دينه ، ويمتله إخوانه ، ويستثقله جيرانه ، فليزلم البخل .

ولقد ذم البخل أهل العمل في الجاهلية والإسلام إلى يومنا هذا : منه  
ما أشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

كأنا نُقِرْتُ كَفَّاهُ من حَرِّ فليس بين يديه والمَدَى عملُ  
يرى التَّيَمُّ في بَحْرٍ وفي بلد بحافَّةٍ أن يُرى في كَفِّهِ نَمْلُ  
وأشدني عمرو بن محمد أشدني الفلاحي أشدنا مَهْدَى بن سائق :

لأرأى دَارَكَ أَنْبَتَتْ لَكَ، وَأَحْنَشَتْ إِرَاً يَصِيْقُ مَهَا فِينَا المَرْلِ  
وَأَنَّكَ يَوْسُفُ سَتَعْبُرُكَ إِرَاً لِيخْطِ قَدْ قَيْصَهُ لَمْ تَعْمَلْ  
وأشدني أحمد بن محمد بن أيوب :

وَكَفَّكَ لَمْ يَخْلُقَا لِلذَّيِّ وَلَمْ يَكْ مَحْصَاهَا بِدَعَاهِ  
فَكَفَّ عَنْ الْخَيْرِ مَقْبُوضَةٌ كَمَا حَطَّ مِنْ مَائَةِ سَبْعَةٍ (١)  
وَأُخْرَى ثَلَاثَةٌ آلَافٍ وَتَمَّعَ مِنْهَا لَهَا شِرْعَاهِ

سمعت محمد بن نصر بن نوفل المروزي يقول : سمعت محمد بن صالح التودكاني  
يقول : قيل للنضر بن شميل : أي بيت قالته العرب أسخى ؟ قال : الذي  
يقول :

قُلُوبٌ تَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ جَلَادَ مَهَا ، فليَتَّقِ اللهُ سَائِلُهُ  
قال : وأي بيت قالته العرب أغل ؟ فقال :  
نَوْ حَيْلَ الْخَرْدَلُ فِي كَفِّهِ مَا سَقَطَتْ مِنْ كَفِّهِ حَرْدَلَةٌ  
قال : وأي بيت قالته العرب أجهى ؟ قال :

الْعَجْرَفِيُّونَ لَا يَرْفُونَ مَا وَعَدُوا وَالْعَجْرَفِيَّاتُ يَنْعَجِرْنَ الْمَوَاعِدَا  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل ، إذا لم يُعرف بالساحة ،

(١) في المحاسن والمساوي ( كما نقصت مائة تسعة )

أن لا يعرف بالبخل ، كما لا يحب ، إذا لم يعرف بالشجاعة ، أن يعرف بالجلد ، ولا إذا لم يعرف بالشهامة أن يعرف بالمهانة ، ولا إذا لم يعرف بالأمانة أن يعرف بالخيانة ، إذ البخل بأس الشعار في الدين والآخرة ، وشر ما يُدحر من الأعمال في العقبي .

حدثنا أحمد بن عمرو بن جابر بالرمة حدثنا أبو عتبة المحصي أحمد بن القرج حدثنا ضمرة حدثنا إبراهيم بن أبي عبلة قل : سمعت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز تقول : أف البخل ، والله لو كان طريقاً ما سلكته ، ولو كان ثوباً ما لبسته .

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا العباس بن مكارم الهذلي قال : قال الحسن : من أيقن بالتخلف جاد بالعطية

### ذكر الزجر عن ترك قبول الهدايا من الإخوان

حدثنا محمد بن صالح الطبري حدثنا عبد الله بن عمران الأصماني - باري - حدثنا يحيى بن صريس ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أجيبوا الداعي ، ولا تردوا الهدية ، ولا تضربوا المسلمين»

قال أبو حاتم رضي الله عنه : زجر لنبي صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر عن ترك قبول الهدايا بين المسلمين .

فالواجب على المرء إذا أهديت إليه هدية أن يقبلها ولا يردّها ، ثم يثيب عليها إذا قدر ، ويشكر عنها ، وإني لأستحب للناس استّ الهدايا إلى الإخوان بينهم ، إذ الهدية تورث المحبة ، وتذهب الضغينة .

ولقد حدثنا محمد بن المهاجر ، حدثنا الدارمي ، حدثنا عبد الله بن صالح ،

أبياً، الليث قدّر . سمعت عبد الملك بن ربيعة القهسي يقول . الهدية هو السّخر  
لظاهر .

حدثني ، إبراهيم بن أبي أمية نظرسوس حدثني حامد بن يحيى السخى حدثنا  
سفيان قال : لما قدم أبو حنيفة قال ساس مساور الأوراق :

كنّا من الذين قبل اليوم في سعة      حتى نينا بأصحاب السّياس  
قوم إذ اجتمعوا صاحوا كأنهم      ثعالب صبّحت بين الواويس  
قال : فسمع ذلك يا حنيفة ، فمعت إليه نال ، فقال مساور حين قص نال :  
إذ ما الناس يوماً فيسوء      نداء من الفتيا طريفة  
أنبأهم بمقياس صحيح      مصيب من طراز أبي حنيفة  
إذا سمع الفقيه بها وعاما      وأثنى عليها محمد في صحيفة  
وأشدني الكربزى :

إن الهدية حرة      كاسحر تحسب القلوب  
لدى البعيد من الهوى      حتى تصيره قريب  
وتعيد مصطفى اعلا      وة بعد بعصته جيبا  
تنفي السخيمة من دوى السّسّسّحتنا      وتمتحق الدوببا

أنبأنا الحسين بن إسحاق الأصهبى - بالكرج - وإبراهيم بن محمد لدستوائى  
بتستر فالأ : حدثنا محمد بن عبيد بن عتبة البكندى حدثنا بكار بن أسود العامرى  
حدثنا إسماعيل بن أنان قال : بلغ الحسن بن عمارة أن لأعشى يقع فيه . فبعث  
إليه مكسوة ، فلما كان بعد ذلك مدحه الأعشى فقبل له : كيف تدمه ثم تمدحه ؟  
قال : إن خيشمة حدثني عن عبد الله قال « إن القلوب جبلت على حب من أحسن  
إليها ، وبنض من أساء إليها » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قال له هذان الشحان عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنا أهانه ، قال : والنشر محمولون على محبة الإحسان ، وكرهية الأذى ، واتخاذ المحسن إليهم حبيبا ، واتخاذ المسيء إليهم عدوا .  
فالعاقل يستعمل مع أهل زمانه زوم بعث الهدايا بما قدر عليه لاستجلاب محبتهم إياه ، ويمارق تركه مخافة بغصهم .  
ولقد أشدنى الأبرش :

هدايا الناس بعضهم نبعض      توند في قلوبهم الوصالا  
وتزرع في الضمير هوى وودا      وتكسوك المهابة والحلالا  
مصايد للقلوب بنير أنسب<sup>(١)</sup>      وتمنحك المحبة والجمالا

حدثني محمد بن سعيد لقزار حدثنا عبد الله بن لقمان البهراني النجراي حدثنا موسى بن أيوب حدثنا حداث بن المهاجر عن الحسن بن دينار عن ابن سيرين قال : كانوا يتهادون الدراهم في الجولات<sup>(٢)</sup> والأطباق .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يستعمل الأشياء على ما يوجب الوقت ، ويرضى بنفاد القضاء ، ولا يتمنى صد ما رزق ، وإن كان عده الشيء النافه لا يجب أن يمتنع من بذله لاستحقاقه واستقلاله : لأن أهون ما فيه لزوم الخلل واللتع ، ومن حقر شيئا منعه ، من يكون عنده الكثرة والقلة في الحالة سيان ؛ لأن ما يورث الكثير من الخصال أورث الصنير بقدره من الفعالم .  
حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب عن الأصبغى قال : دحنا على كهنس العابد ، فجاء بحمسة وعشرين سرقة حمراء ، فقال : هذا الجهد من أخيك ، والله السنعار .

(١) كذا بالأصل واللفظ والمعرب التعب

(٢) الجولات : أوعية من الخيش ونحوه كالزكايب والأخراج ، واحدها جوالق



وأشدى ابن دحى :

إن امى محمد لله صاحبها لعل حثف اسرى فيما تمام  
من ترى عبراً فيهن معتبر يجرى به قدر ، فأنه أجراه  
لا تحقرن من الإحسان محقرة أحسن ، فعالية الإحسان حسنه

حدثنا محمد بن أيوب بن مشكان - بطبرستان - قصة الأزد - حدثنا أبو عتبة  
حدثنا سلمة بن عبد الملك العرضي حدثنا لعاف بن عمران قال : سمعت ميمون  
يقول : من رضى من حلة الإخوان فلا شيء فليواح أهل قنور .

حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسي حدثنا محمد بن الوليد بن أمان العقيلي  
حدثنا عيم بن حماد قال : أشدى ابن المبارك :

ماذا ذاق طعم الفنى من لا قنوع له ولن ترى قاسا ما عاش مفتقرا  
والعرف من يأنه محمد عواقبه ماصاع عرف ، ولو أوليته حجرا  
سمعت يوسف بن موسى المرغاني يقول : بعث أبو السنور الشاعر إلى  
الأمير أوى الأشعث طبق ورد يوم النيروز هدية ، وبعث إليه بهذه الأبيات :  
منا بير تافه ، دون قدركم وماتت الألفاظ للفنل والسكر  
ولكن غلظا أن تزيد مودة فهل تكرمنا بالقبول وما المذر ؟  
وكان يرى حسب ما أنت أهل أذاك إذا روى على طبق البر

سمعت عمر بن محمد الحمداي يقول : سمعت وزيره بن محمد الفساي يقول :  
قدم بعض الكتاب العسكر ، فأهدى إليه إخوانه ، وكان فيهم من قعدت به  
الحال ، فوحه إليه بذقة وأشنان ، وكتب إليه : لو تمت الإرادة - جعلت فداك ! -  
ببلوع البية فيه ، ومكتنى الجدة كسط القدرة لأنعت السابقين إلى برك ،  
ولبرزت أمام المجتهدين في فضلك ، ولكن البضاعة قعدت بالهمة ، وفصرت عن  
مسماة أهل النعمة ، وكرهت أن تطوى صحيفة البر ، وليس لي فيها ذكر ،

مروحت إليك المبسدا به بجنة وبركته ، والمختتم به لطيبه ونفعه ، مقتصرأ عن  
الم التفسير فيه ، فاما ما سوى ذلك فالعبر عني فيه قول الله ( ٩ : ٩١ ) ليس على  
الضعفاء ولا على المرضى ، ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج ) والسلام .

حدثنا محمد بن يوسف الأرمي ، حدثنا إبراهيم بن عبد العزيز الموصلي ، حدثنا  
محمد بن علي بن الفضل الديني ، حدثنا عبد الله بن شعيب الزبيري ، حدثنا محمد  
ابن إسحاق المسيبي عن القاسم بن المعتز عن حميد بن معيوف عن أبيه قال « كنت  
من شهد الحكم بن حنطب بمنج ، وهو يريد أن يموت ، وقد كان نقي من الموت  
شدة ، ففقت ، أو قال رجل : اللهم هَوِّنْ عليه الموت ، فلقد كان ، وقد كان .  
فأنتي عليه ، فأفاق من عشيته ، قال : من التكم ؟ قال التكم : أنا . قال : إن  
ملك الموت يقول : إني بكل رجل سخي رفيق ، قال : نعم كأن فتيلة أطفئت  
فات ، فبلغ ابن هرمة الشعر موته ، فثأ يقول :

سلا عن اجد والمعروف أين ما ؟ فقلت : إنهما ماتا مع الحكم  
ماتا مع ارجل الموفى بذمته يوم الحفاظ إذا لم يوف بالدم  
ماذا بمنج لو تُنبش مقارها من التهم بالمعروف والكرم

حدثنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن موسى السمرى عن حماد بن إسحاق  
ابن إبراهيم عن أبيه قال : قيل للمغيرة بن شعبة : ما بقي من لذتك ؟ قال : الإفضال  
على الإخوان ، قيل : فمن أحسن الناس عيشاً ؟ قال : من عاش بعيشه غيره ، قيل :  
فمن أسوأ الناس عيشاً ؟ قال : من لا يعيش بعيشه أحد .

ذكر استحباب التفريح عن الناس بقضاء الحوائج

حدثنا أبو عمرو محمد بن محمود النسائي ، حدثنا حميد بن زنجويه ، حدثنا  
محاضر بن المورع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم « من نَقَسَ عن أخيه كُرْبَةً من كُرب الدبيب نَفَسَ الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يَسَّرَ على معسر ، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر على مسلم ستر الله عليه في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على المسلمين كافة نصيحة أنفسهم والقيام بالكشف عن همومهم وكربهم : لأن من نَقَسَ كربة من كرب الدنيا عن مسلم نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن تَحَرَّى قضاء حاجته ولم يَقْصَ قضاؤها على يديه فكان أنه لم يقصر في قضاها ، وأيسر ما يكون في قضاء الحوائج استحقاق الثناء ، والإخوان يعرفون عند الحوائج ، كما أن الأهل نَحْتَرِ عِدَّ الفقير : لأن كل الناس في الرخاء أصدقاء ، وشر الإخوان الخدال لإخوانه عند الشدة والحاجة ، كما أن شر البلاد بلدة ليس فيها حِصْب ولا أمن .

وأشدنى السكرى :

خير أيام لعمري يوم نَمَحَ واصطناع الدُفِّ أبق مصطَنَحَ  
ما يُنَالُ الخَيْرَ ما شَرَّ ، ولا يَحْصُدُ الزارع إلا ما وَرَعَ  
ليس كلُّ الدهر يوما وحدا ربما انحط القتي ، ثم ارتفع  
حدثنا محمد بن سليمان بن فارس ، حدثنا أحمد بن سعيد الدارمي ، حدثنا شر  
ابن عمر ، حدثنا الربيع قال : كان الحسن يقول « قضاء حاجة أح مسلم أحب  
إلى من اعتكاف شهرين » .

وأشدنى على بن محمد البسامي :

سابق إلى الخير وبادر به فَبَرَّ من حَقَّقَكَ ما تعلم  
وفدَّم الخير ، فكل امرئ على لدى قدمه يَقْدَمُ  
حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسي ، حدثنا محمد بن موسى البصري ، حدثنا

الأصمعي ، حدثنا أبو معمر شبيب بن شيبه الخضيب قال : لما حصرت ابن سعيد ابن العاص الوفاة قال لبيه « يا بني ، أيسم يقبل وصيتي ؟ فقال انه الأكبر : أيا قال : إن فيها قصصا ديبى ، قال : وما دينك يا أبت ؟ قال : ثمانون ألف دينار ، قال : يا أبت فبم أخذتها ؟ قال : يا بني في كريم سددت حمتي<sup>(١)</sup> ، ورجل جاءني في حاجة وقد رأيت السوء في وجهه من الحياء ، فبدأت بحاجته قبل أن يسألها » قال أبو حاتم رضى الله عنه : حقيق على من علم الثواب أن لا يمنع ما ملك من جاء أو مال إن وجد لسييل إليه قبل حلول المنة ، فيبقى عن الخيرت كلها ، ويتأسف على مفاته من المعروف .

والعاقل يعلم أن من سحب النعمة في دار الزوال لم يخل من قصدها ، وأن من تمام الصنائع وأعمالها إذا كان ابتداء من غير سؤال .

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الفلابي ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن المهدي قال : دخل أبو العتاهية على الرشيد ، فقال : سل يا أبا العتاهية ، فقال :

إذا كان المال بيد وجه فلا فرئت من داك المال  
وأشدني عبد العزيز بن سليمان :

يبقى التمسك وتمتد الأموال ولكل دهر دولة ورجال  
مانال تحمده الرجال وشكرهم إلا الصبور عيهم المفضل

حدثني محمد بن عبد بن الهدي الشعراي ، حدثنا محمد بن يزيد الطرسوسي حدثنا ابن عائشة قال : قال أبي « جاء رجل إلى يحيى بن طلحة بن عبيد الله ، فقال له : هب لي شيئا ، قال : يا غلام أعطه مامسك ، فأعطاه عشرين ألفا ، فأخذها بيحبها فقلت عليه ، فقدم بيكي ، فقال : مديكيك ؟ لملك استغلتها فأزيتك ، قال : لا ، والله ما استغلتها ، ولكن بكيت على ما تكل الأرض من كرمك ، فقال له يحيى : هذا الذي قتلت لما أكثر مما أعطيتك »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يحب الإلخاف عند السؤال في الخوائج ؛ لأن  
شدة الاجتهاد رعب كانت سبباً لأحرمان والمبع ، والطباب لله للاح كالعرب  
بمقداح : سهم له ، وسهم عليه ، فإن أعطى وجب عليه الحمد ، وإن منع لزمه  
الرضاء بالقضاء ، ولا يحب أن يكون السؤال إلا في ديار القوم ومنازلهم ، لا في  
المحال والمساكن والملا ؛ لأن محمد بن محمود السائي ، حدثنا ، قال : حدثت  
على بن حشرم ، حدثت جرير بن عبد الحميد الضبي عن حنيف المؤذن قال :  
قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه « لا تسألوا الناس في محاسنهم ومساكنهم  
فتمحشونهم ، واسكن سلوهم في مساكنهم ، فمن أعطى أعطى ، ومن منع منع » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه الذى قاله عمر بن الخطاب رحمة الله عليه ورضوانه  
إذا كان المسئول كريماً ؛ فإنه إن سئل الحاجة في نادى فومه ولم يكن عنده قضاؤها  
تشور وحجل ، وأما إذا كان المسئول أثمياً ودفع المراء إلى مسأله في الحاجة نفع  
له ، فإنه إن سئل في مجلسه ومسجده كان ذلك أقصى حاجته ؛ لأن اللئيم لا يقضى  
حاجة ديانة ولا أهرومة ، وإنما يقصمها إذا قصها طلباً للدكر والحمدة في الناس .  
على أنى استحب للعامل أن يدفعه الوقت إلى أكل القدر<sup>(١)</sup> ومضى الحصى  
ثم صر عليه لكان أخرى ، من أن يسأل لثماً حاجة ؛ لأن إعطاء اللئيم شين ،  
ومنعه حنق .

وقد أشدنى محمد بن عبد الله البغدادي

إذا أعطى القليل فتى شريف      فإن قليلاً ما يعطيك زين  
وإن تكن العطية من ذل      فإن كثيراً ما يعطيك شين

أبنا أحمد بن محمد بن الفضل السحستاني بدمشق ، حدثنا على بن حشرم  
قال : سمعت سعيد بن مسلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي يقول : خرجت حاجاً فقلت

(١) القدر : السبر من أجله تحصى به المال .

المحمل ، فبرلت أسابر القُطْرَات ، فقال : أتأنا أعراي ، فقال لي : يافتي لمن الجمل  
 بما عليها ؟ قلت : لرجل من باهلة . قال : يا لله أن يعطي الله باهليا كل ما أرى ،  
 قال : فأعجبني ازدرأوه مهم ، ومعى صُرَّة فيها مائة دينار ، فرميت بها إليه ،  
 فقال : جزك الله حيرا ! وافقت منى حاجة ، فقلت : يا أعراي ، أيسرك أن  
 تكون الجمل بما عليها لك وأنت من باهلة ؟ قال : لا ، قلت : أيسرك أن  
 تكون من أهل الجنة وأنت باهلي ؟ قال : بشرط أن لا أعلم أهل الجنة أى من  
 باهلة ، فقلت : يا أعراي ، الجمل بما عليها وأنا من باهلة . قال : فرمى بالصُرَّة  
 إلى ، فقلت : سبحان الله ! ذكرت أنها وافقت منك حاجة ، قال : ما يسرى  
 أن أتقى الله وأباهلي عندي يد ، فحدثت بها المأمون ، فعمل يتمجب ويقول :  
 ويحك يا سعيد ! ما كان أصبرك عليه .

حدثنا محمد بن الرقام بنسبنا حدثنا أبو حاتم السجستاني حدثنا الأصمعي حدثنا  
 هشيم بن القاسم قال : سألت سالم بن قتيبة حاجة ، فقصاه ، ثم سأته أخرى ،  
 فأنهزني وقال : حاجتين في حاجة ، أو قال : على الريق ؟ ثم دعا بالطعم ، فلما  
 تغدى قال : هات حاجتك ، أما سمعت قول الصبيان :

إذا تغديت وطابت نفسي فليس في الحق غلام مثلي

\* إلا غلام قد تغدى قلى \*

أبانا عمرو بن محمد حدثنا الفلابي حدثنا مهدي بن سابق عن عطاء بن مصعب  
 قال : قال أبو عمرو المنذري : أتيت مسلم بن قتيبة في حاجة ، وكان له صديق من  
 أهل الشام ، فكلمته أن يكلمه في حاجتي ، فجعل يقول : اليوم ، غداً ، فظل  
 على ، فقرأيت له ، وقد كان يعرفني ، فدعاني فقال : يا عمرو ، إنك لها هنا ؟  
 قلت : نعم أطالبك بحاجة مد كذا وكذا وسيتى فيها فلان ، فضحك ، وقال :  
 قد كنت أراك قد أحكت الآداب ، لا نستعن إلى من تطلب إليه حاجة بمن له

عنده طُعمَةٌ : فإنه لا يؤترك على طعمته ، ولا تستعن بكذب : فإنه تقرب لك  
العبد ويعد لك القريب ، ولا تستعن بأحق : فإن الأحق يجهد لك نفسه ،  
ولا يكون عنده شيء ، ولا يبلغ لك ما تريد ، فأصرفت فقلت : يكفيني هذا ،  
قال : لا ، ولكن تقضي لك حاجتك ، فقضاء .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يحب للعاقل أن يتوسل في قضاء حاجته  
باعدو ، ولا بالأحق ، ولا بالفاسق ، ولا بالكذاب ، ولا بمن له عند المسئول  
طعمة ، ولا يحب أن يجعل حاجتين في حاجة ، ولا أن يجمع بين سؤال وتقاصر ،  
ولا يظهر شدة الحرص في اقتضاء حاجته ، فإن الكريم يكفه العلم بالحاجة دون  
المطالبة والاقتضاء .

ونقد أشدنى منصور بن محمد الكريري :

وإذا طلبت إلى كريم حاجة      فاصبر ، ولا تك للمطال ملولاً  
لا تطير شجرة الخريص ، ولا تنكر      عند الأمور إذا نهضت ثقيلاً

وأشدنى محمد بن إسحاق الواسطي العرري :

وإذا طلبت إل كريم حاجة      لحضوره بكميك والتسلم  
فإذا رآك مسلماً عرف الدي      حلفت فكمائه مزوم

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يتسخط ما أعطى ، وإن كان تافهاً ؛  
لأن من لم يكن له شيء فكل شيء يستفيدة ربح ، ولا يحب أن يسأل الحاجة  
كل إنسان : فرب مهروب منه أضع من مستغاث إليه ، ولا يحب أن يكون  
السائل مستغاثاً لآخر ؛ لأن من لم يقدر على أن يسبح فلا يجب أن يحمل على  
عنته آخر ، ومن مثل فليبدل ؛ لأن مال اللئيم صمان ، له ما قدم ، ولوارثه  
ما خلف ، وأقرب الأشياء في الدنيا زوال المال والولاية ، والتعاهد للصنيعة

بالتحفظ عليها أحسن من ابتدائها ، ومن غرس غراساً فلا يضمن بالنفقة على  
نريته ، فذهب الدقة الأولى صيناعاً .

حدثني محمد بن أبي علي الخلابي حدثني محمد بن أبي يعقوب الرعي حدثنا  
عبد الكريم بن محمد الموصلي حدثنا أبي قال : سمعت أبا تمام حبيب بن أوس الطائي  
يقول : وقعت على باب مالك بن طوق الرحى أشهراً فلم أصل إليه ، ولم يعلم  
بمكاني ، فلأردت الانصراف قلت للحاجب : تَأْذِنُ لِي إِبْرَاهِيمَ أَمْ أَنْصَرِفُ ؟  
قال : أما الآن فلا سبيل إليه ، قلت : بإيصال رقعة ، قال : لا ، ولا يمكن هذا ،  
ولكن هو خارج اليوم إلى نستان له فاكذب الرقعة وارمها في موضع أرايه  
الحاجب ، فكتبت :

لعمري ، لئن حَبَبَتِي الْعَيْدُ عَيْدُكَ ، فلم تحبب العافية  
سأري بها من وراء الجدار شمعاً تأتيك بالدهية  
تصم السمع ، وتعمى البصير ومن بعدها تسأل العافية  
فكتبت بها ورمت بها من المكان الذي أرايه الحاجب فوقعت بين يديه ،  
فأخرجها ، فنظر فيها ، فقال : على بصاحب الرقعة ، فخرج الخادم ، فقال : من  
صاحب الرقعة ؟ قلت : أنا ، فأدحت عليه ، فقال لي : أنت صاحب الرقعة ؟  
قلت : نعم ، فاستنشدني ، فشدته ، فلما بلغت — ومن بعدها تسأل العافية —  
قال : لا ، بل تسأل العافية من قبلها ، ثم قال : حاجتك ، فأشأت أقول :  
ماذا أقول إذا انصرفت ، وقيل لي : ماذا أصبت من الجواد للفصل ؟  
بن قلت : أغداني كدبت ، وإن أقول : ضنَّ الجواد بمسأله ، لم يحصل  
فاحتر لنفسك ما أقول ، فإني لا بد أحرم ، وإن لم أسأل  
فقال : إذا والله لا أختار إلا أحسنها ، كم أقت بيابي ؟ قلت : أربعة أشهر ،  
قال : يعطى بعد أيامه الوفا ، فقبضت مائة وعشرين ألف درهم .



سمعت محمد بن نصر بن موفل يقول يقول : سمعت أبا داود السنجي يقول :  
كان بهمد رجل يقال له ابن الهفت ، ثم يوماً على سافل وافق على الخسر ،  
وهو يقول : اللهم ارزق المسكين حتى يعطوا ، فقال له : تسأل ربك الخوالة ؟

### ذكر الحث على إعطاء السؤال وطلب المعالي

حدثنا محمد بن صالح الطبري بالصيغة حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء  
الهمداني حدثنا مصعب بن النعمان حدثنا سفيان عن محمد بن النكدر عن  
جار قال « ما مثل النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً قط قصار لا ، ولا صرب بيده  
شيئاً قط »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : إني لأستحب للمره طلب المعالي من  
الأخلاق ، مع ترك رد السؤال : لأن عدم المال خير من عدم محاسن الأخلاق ،  
والندامة مؤكدة بترك معالجة الفرصة ، وإن الخرف حق الحر من أعتقته الأخلاق  
الجيالة ، كما أن أسوأ العبيد من استعبدته لأخلاق الديانة ، ومن أقصا أراد في  
المعاد اعتقاد الحمد الباقية ، ومن لزم معالي الأخلاق أنتج له سلوكها فراحا  
تطير بالسرور .

وقد حدثني محمد بن سعيد القزاز حدثنا هارون بن صدقة القاضي حدثنا  
المسيب بن واضح يقول : سمعت يوسف بن أسباط يقول : ما كان المال مذ  
كانت الدنيا أرفع منه في هذا الزمان .

وأشده محمد بن عبد الله بن يحيى البغدادي :

بادر هواك إذا همت بصلح خوف العواقب أن نجى فتغيب

وإذا همت بسيء فتعد ونحسب الأمر الذي يُجنب

قال أبو حاتم رضي الله عنه : ما صدع مال ورث صاحبه مجداً ، ولولا

المقنضون مات المتجمعون ، وليس يستحق للره اسم الكرم بالكف عن الأذى إلا أن يقرنه بالإحسان إليهم ، فمن كثرت في تعبير رغبته ، وكان اصطلاح العرف همة ، قصده الراحون ، وتأمله المتأمنون ، ومن كان عيشه وحده ولم يمش بعيشه غيره فهو - وإن طال عمره - قليل العمر ، وأبائس من طال عمره في غير الخير ، ومن لم يتأس بغيره في الخير كان عاجزاً ، كما أن من استعجن من نفسه ما يستقبحه من غيره كان كالفش لم يحب عليه نصيحته ، ومن لم يكن له همة إلا بطله وفرجه عُدَّ من السهائم ، والهمة تبلى رتبة العافية : لأن الناس يهتمهم .

ولقد حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الفلاني حدثنا ابن عائشة قال : قال عبيد الله بن زياد بن ظبيان . كان لي حل من كلب ، فكان يقول لي : يا عبيد الله ، هم ! فإن الهمة نصف المروءة .

وأشدني محمد بن سحاف الواسطي :

قد بلونا الناس في أخلاقهم فرأيهم لدى المال تبع  
وحبيب الناس من أطعمهم إعدا الناس جميعاً بالطعم

حدثنا عمر بن حفص البرار - بمجنديساور - حدثنا إسحاق بن الضيف حدثنا الحسن بن واقع الرملي حدثنا ضمرة بن ربيعة ، قال : سمعت كديراً أبا سليمان الصبي يقول « كان تقصر إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ثمانية أبواب من حيث جاء السائل أعطى »

حدثنا محمد بن أحمد الرقام - بقستر - حدثنا إسحاق بن الضيف حدثنا أبو مسهر حدثنا سعيد بن عبد العزيز أن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم : سمع رجلاً إلى حنبله يسأل الله أن يرزقه عشرة آلاف درهم ، فأنصرف فمعت بها إليه .

وأشدنى الكرى :

لا تحقرن صنع الخير نفسه ولا صغير عمل الشر من صغره  
فلو رأيت الهى استعصرت من حسي عد الثواب أطلت الحجب من كبره  
سمعت أحمد بن محمد بن عبد الله النجاشي يقول : سمعت صاحب من آدم يقول :  
أنشد ابن عبد الله بن جعفر هذين البيتين .

إن الصنعة لا تكون صبيغة حتى يصاب بها طريق المصنع  
وإذا صنعت صبيغة فاعمد بها لله ، أو لدوى القرابة ، أو دمع  
فقال عبد الله بن جعفر : إن هذين البيتين يحلان لباس ، ينبغي لمن عمل  
هذا أن يدعو لمن طلب حاجة بالبيئة ، بل نبت الصنعة ويرعى بها مواضع القطر  
حيث تحلت ، وفي مثله يقول العناني :

له في ذوى المعروف نعمى ، كأنه مواقع ماء القطر في البلد القفر  
إذا ما أتاه السائلون حاجة غلته مصابيح الطلاقة والبشر  
حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسي حدثنا أحمد بن مسروق حدثني ابن  
أبي سعيد عن شيخ له قال : رأيت ابن المبارك يعص يد خادم له ، فقلت له :  
تعص يد خادمك ؟ قال : كم أمره أن لا يمد الدراهم على السؤال ، أقول له :  
أخث لهم خثوا .

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الفلابي حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن القاسم عن  
عن أبيه قال : قال إبراهيم بن أبي البلاد . حدثني أخى قال : رأيت الحجاج عني  
في عمله على العراق ، وقام إليه رجال من أهل الحجاز يسألونه ، فقال : توهمتم  
بنا أن نغير بلادنا ومالككم مترك ، من هاهنا من أهل العراق ؟ فقام إليه تجار  
أهل العراق ، فقال : هل من سف ؟ فقالوا : نعم ، فحملوا إليه ألف ألف درهم ،  
فقسم ، فلما قدم العراق ردها ، رأى أكثر خلقها أهلها ومثلها معها

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أوجب على العاقل أن يبدأ بالصانع  
والإحسان الأقرض فالأقرض ، يبدأ بأهل بيته ، ثم بأحواله وجيرانه ، ثم  
الأقرب فالأقرب ، ويتجوزى المعروف والإحسان في أهل الدين والعلم منهم ،  
ويحسب ضد ما قلنا : لأن مثل من لم يفعل ما أومأنا إليه كما أشدنى الحسين  
ابن أحمد البغدادي :

تصول على الأدنى ، ونحسب العدا      وما هكذا تُبَيّى المكارمُ يا محبي  
فكنت كفعل السوء ينزروا به      ويترك باقي الخيل سائمة ترى  
وأشدنى البسامي :

وكنت كمهريق الدى فى صفائه      لرقراق ماء فوق رايصة صليد  
كرضعة أولاد أخرى ، وضيمت      بى بطنها ، هذا الصلال من القصد  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يتدنى بالصانع قبل أن يسأل ؛ لأن  
الاسداء بالصيغة أحسن من المكافأة عليها ، ولإمسالك عن التعرض حير من  
البذل ، والصنائع إما تحسن بالتمام ، والتحافظ عيب بعدها ؛ لأن بصلاح الخواتم  
تركوا الأوائل ، والعطية بعد الميع أجل من الميع بعد العطية ، والذس فى الصنائع  
على صريين : شاكر ، وكافر ، وقد أشدنى بعض إخواننا :

وما الناس فى حسن الصنعة عديم      وفى كرمهم إلا كبحص الزارع  
مزرعة طابت وأضعف ريعها      ومزرعة أكدت<sup>(١)</sup> على كل وارع  
وأشدنى محمد بن عبد الله البغدادي :

ومن يصنع المعروف فى غير أهله      يكن ضمه فى غير حمد ولا أجر  
وحسب امرئ من كثر نفعه جوده      إذ وقعت عند امرئ عير ذى شكر

(١) أي سعت وخبت طل لزراع ، وضمه من السكدية ، وهى قطعة  
العبقة الصلبة من الأرض لا يعمل الناس فيها .

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

اعبرك ما المعروف في غير أهله وفي أهله لا كعض الودائع  
فستودع صاع لى كان عنده ومستودع ما عدله غير ضائع  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : امتح من الناس إذا أحسن إليه يرى ذلك  
استحقاقا منه له ، ثم يرى الفضل لنفسه على المحسن إليه ، فلا يحمد عند الخير ،  
ولا يشكر عند لير ، ويتعجب من يشكر ، ويده من يحمد ، وإذا امتحن العاقل  
يقتل من هذا ضته استعمل معه ما أنشدني الكريزي :

إن ذا اللؤم إذا أكرمه حبيب الإكرام حقا لرمك  
فأنه بهوات : إيه إن شفه بهوات أكرمك

وأنشدني الأورش :

إذا أوليت معروفا لئما يسدك قد قتلت له فتيلا  
فكن من ذك معتذرا إليه وقل : إني أتيتك مستغيلا  
فإن نغمر ، فمحترى عظيم وإن عاقبت لم تظلم فتيلا  
ولست بعاثد أبدا هذا وقد حلفتني حملا نقيلا  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : أهنا الصائغ وأحسنها في الحقائق ، وأرقها  
بالقرب ، وأكثرها استدانة للنعم ، واستدقاء للنعم ، ما كانت خلية عن المن في  
البداء والنهاية ، متعزية عن الاستئذان ، وهو العاية في الصنية ، والنهاية في  
الإحسان .

ولقد أنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

أحسن من كل حسن في كل وقت وزمن  
صنيعه . مربة حالية من المن

حدثنا محمد بن غدار بن محمد الحارثي بالبصرة حدثنا سهل بن رادويه حدثنا

محمد بن أبي الدواهي عن أبيه قال : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :  
 ما أحسن الديبا وإقبالها ، إذا أطاعَ اللهَ من مالها  
 من لم يؤاس الناس من فضيلها عرض الإِدبار إقبالها  
 فأحدر زوال الفصل بإحاثراً واعط من الديبا لمن سلف  
 فإن ذا العرش سريع الجزاء يُخلف ما لم يمتلأ  
 حدثنا محمد بن المهاجر حدثنا محمد بن أحمد بن النضر المعنى حدثني سعيد  
 حدثني أبيك - يعني أبا أحمد بن النضر - قال : كان ما كوفة قوم من العرب ،  
 فأصاب رجل منهم حاجة ، فكان عياله يغزلون ويبيعون ، وكان يشرّكهم ،  
 فقالوا : لا تعود علينا بشيء ، وما لك سبب تشركنا فيه ، فأيف من قولهم ، فخرج  
 يوم بغداد ، ولم يدخل بغداد قبل ذلك ، وليس له حميم ولا قريب بها ، فدخلها  
 ومراً على وجهه ، فرأى على باب يعقوب بن دود كاتب يلهي ، فرأى قوما حوسا  
 عليهم رزة فقال : ما أخلق هؤلاء دعوا إلى وليمة ، لو دخلت معهم لسي أصيب  
 شعبة ، فاندس معهم ، فخرج الإذن ، فقال : ادخلوا ، فدخلوا إلى دار قوراء  
 كبيرة ، وإذا بهو في صدر الدار ، جلسوا في البهو يمتة ويسرة ، وأدخلوا الصدر  
 فجاء يعقوب فلم عيهم وقعد ، ثم قال : يا غلام ، هات ، فجاء بصواني عليها  
 مائدة منطى بها ، وإذا فيها أكياس ، فقال : أعطهم ، فوضعوا في حجر كل  
 رجل منهم كيسا ، ووضعوا في حجرى كيسا حتى فرغ منهم ، ثم قال : أعد  
 عليهم ، فوضع في حجر كل رجل منهم كيسا ، ووضعوا في حجرى كيسا حتى  
 والى بين خة أكياس ، ثم قال : قوموا مبرك لكم ، وقد تميمه الخدم ، وليس  
 له عندم اسم ولم يعرفوه : فلما بلغ الدهليز ربطوه فصاح وصاحوا ، وسمع يعقوب  
 الصوت ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : رجل دخل مع هؤلاء القوم لانسرفه ، فقال :  
 على به ، فقال له : يا عبد الله ، ما أدخلك هذه الدار ؟ فقص عليهم القصة والسبب

أدى دخل له ، فقال له : من أين أت ؟ قال : من أهل الكوفة ، قال : من يعرفك بالكوفة ؟ قال : يعرفني فلان وفلان ، فسعى له قوما يعرفهم ، فقال : حلوا عن الرجل ، إنما كاتبون إلى هؤلاء القوم : فإن كان الأمر على ما ذكرت ، فتعال كل سنة في هذا الوقت ، ولك عدد مثل هذا ، وكتب إلى القوم ، فسألهم فكتبوا بمعرفة ، فكان يحىء أيام حياته فيأخذ خمسة آلاف وينصرف

### ذكر الحث على لضيافة وإطعام الطعام

حدثنا حامد بن محمد بن شعيب ابىخى بغداد حدثنا منصور بن أفي مزاحم حدثنا أبو الأحوص عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم صومه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إنى لأستحب للعقل المتداومة على إطعام الطعام والمواظلة على قرى الضيف : لأن إطعام الطعام من أشرف أركان العدى ، ومن أعظم مراتب دوى الحى ، ومن أحسن حصال أولى النعم ، ومن عرف ما طعام الطعام شرف عند الشاهد والغائب ، وفصله اراضى والعاتب ، وقرى الضيف يرفع المرء وإن رفق نسه إلى منتهى نعيته وسهاية محنته ، وبشرفه رفيع الذكر وكان مدح.

حدثنا محمد بن رحويه القشيري حدثنا أبو مصعب حدثنا الدراردي عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : كان إبراهيم الخليل أول من أضاف الضيف

حدثنا الأنصارى حدثنا الثعلبى حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب حدثنا لأصمى أخبرني نافع بن أبي نعيم قال : قال رجل ممن قد أدرك الجاهلية « قدمت

المدينة ، فإذا مناد ينادى : من أراد الشحم واللحم فليأت دار دُلَيْم ، وهو جد سعد ابن عباد بن دُلَيْم سيد الخزرج ، ثم صرّب الرماح من ضربه ، فقدمت المدينة ، فإذا مناد ينادى : من أراد الشحم واللحم فليأت دار عبدة ، ثم ضرب الزمان من ضربه فقدمتها ، فإذا مناد ينادى : من أراد الشحم واللحم فليأت دار سعد .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : كل من ساد في الجاهلية والإسلام حتى عرف بالسؤدد ، وانقاد له قومه ، ورحل إليه القريب والقاصي ، لم يكن كمال سؤدده إلا باطعام الطعام ، وإكرام الصيف .

والعرب لم تكن تعدّ لجود إلا قري الضيف ، وطعام الطعام ، ولا تعد السخى من لم يكن فيه ذلك ، حتى إن أحدهم ربما سار في طلب الضيف الليل واليلين .

وقد حدثني محمد بن أسد حدثنا علي بن الحسن التلمسطيني حدثنا أبو بكر السبي حدثنا محمد بن سليمان القرشي قال : بينما أنا أسير في طريق اليمن إذا أنا بسلام واقف على الطريق في أذنيه قرطان ، وفي كل قرطة جوهرة يضئ وجهه من ضوء تلك الجوهرة ، وهو يعبد ربّه بأبيات من شعر ، فسمعتة يقول :

ملك في السماء به افتخاري عزيز القدر ليس به خفاء  
قدنوت إليه ، فسلمت عليه ، فقال : ما أنا براد عليك سلامك حتى تؤدي من حق النى يحب لي عليك ، قت : وما حقك ؟ قال : أنا غلام على مذهب إبراهيم الخليل ، لا أتعدى ولا أتعشى كل يوم حتى أسير لليل واليلين في طلب الضيف ، فأجبتني إلى ذلك ، قال : فرحبت بي وسرت معي حتى قربنا من حيمة شعر ، فلما قربنا من الخيمة صاح : يا أحتماء ، فأجابته جارية من الخيمة يالبيسكاه قال : قومي إلى ضيفنا هذا ، قال : فقالت الجارية : اصبر حتى أبدأ بشكر المولى الذى سبب لنا هذا الصيف ، قال : فقامت وصلت ركعتين شكرًا لله ، قال :



فأدخلني الخيمة ، وجلسي ، فأخذ الغلام الشفرة ، وأخذ عناقاً له ليدعها <sup>(١)</sup> ، فلما جلست في الخيمة طرت إلى جارية أحسن الناس وجهاً ، فكنت أسارقها النظر ، فمطنت لبعض لحظاتي ، فقالت لي : مه ، أما علمت أنه قد نقل إليها عن صاحب يثرب - يعني النبي صلى الله عليه وسلم - أن « رَئِيَ الْعَيْنِينَ النَّظَرَ » أما إلى ما أردت عهد أن أومحك ، ونسكى أردت أن أزدملك لكيلا تعود لمثل هذا ، فلما كان وقت النوم أتت أما والغلام خارج الخيمة ، وباتت الجارية في الخيمة ، قال : فكنت أسمع دوى القرآن الليل كله أحسن صوت يكون وأرقه ، فلما أن أصبحت قلت للغلام : صوت من كان ذلك ؟ قال : فقال : تلك أختي تمني الليل كله إلى الصباح ، قال : فقلت : يا غلام أنت أحق بهذا العمل من أختك ، أنت رجل وهي امرأة ، قال : فتبسم ، ثم قال : ويمحك يا فتى ! أما علمت أنه موفق ومغذول .

وأشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي .

إذا ما أتاك الصيف فابداً بحقه قبل العيال ، فإنَّ ذلك أשוב <sup>(٢)</sup>  
وعظم حقوق الصيف واعلم بأنه عليك بما توليه من وداهب  
أبنا أحمد بن قريش بن عبد العزيز حدثنا إبراهيم بن محمد الذهلي عن  
الحسن بن عيسى بن ماسرحس قال : سمعت ابن المبارك من خراسان إلى بغداد فإ  
رأيت أنه أكل وحده .

حدثني محمد بن عثمان العقبى حدثنا أبو أمة حدثنا عصام بن عمرو أبو حميد  
الطائي حدثنا عمرو بن هاني ، قال : كان رافع بن عميرة بن عمرو السنسي - فخذ  
من طيء - يُفَدِّي أهل ثلاثة مساحد ، وبغشيم ، يوماً بئراند ، ويوماً رطبة ،  
يعني الخبس . وماله قيص إلا قيص هو لجمته وهو للبيت .

(١) الشفرة - بالفتح - السكين . والمناق - بوزن السحاب - الأثني من ولد العز

(٢) عجز هذا البيت لا يستقيم مع صدره ولا مع ما بعده

قال أبو حاتم رضى الله عنه : يحب على العاقل ابتغاء الأضياف ، وبذل الكسبر ؛ لأن نعمة الله إذا لم تُصَنَّ بالقيام في حقوقها تروح من حيث بدأت ، ثم لا ينفع من رالت عنه التلطف عيها ، ولا الإفكار في الظفر بها ، وإذا أدى حق الله فيها استجلب الندم والزيادة ، واستدخر الأحر في القيامة ، واستقصر إطعام الطعام .

وعنصر قرى الضيف هو ترك استحقاق القليل ، وتقديم ما حضر للأضياف ؛ لأن من حَقَّرَ منع ، مع إكرام الضيف بما قدر عليه ، وترك الادخار عنه .  
ولقد حدثني كامل بن مكرم حدثنا محمد بن يعقوب الفرجي حدثنا الوليد ابن شجاع حدثنا عقبه بن علقمة ومبشر بن سماعيل أسهاساً الأوزاعي : ما إكرام الضيف ؟ قال : طلاقة الوجه ، وطيب الكلام .  
وأشدنى الكرزي في قوم لم يكونوا يضيفون :

أقاموا الدَّيْدَبَنَ على بَقَاعٍ <sup>(١)</sup> وقالوا : لا تَنَمَّ للديدبان  
إذا أبصرت شخصاً من بعيد فصفقْ بالبنان على البنان  
ترام حشبة الأضياف خُرْبُ يَصْلُون الصلاة بلا أذان

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أبخل البخلاء من بخل إطعام الطعام ، كما أن من أجود الجود بدله ، ومن ضنَّ بما لا بد للجنة منه ، ولا تربو النفس إلا عليه : كان غيره أبخل ، وعليه أشح .

ومن إكرام الضيف طيب الكلام ، وطلاقة الوجه ، والخدمة بالنفس ، فإنه لا يذل من خدم أضيافه ، كما لا يبرُّ من استخدمهم ، أو طلب لقراءه أجراً .  
وأشدنى كامل بن مكرم أشدنى محمد بن سهيل :

وإني لطلق الوجه للمبتغى القرى وإن فسأتى القرى لرحيب

أضاحك صيفي عند إزال رحله فيحصبُ عندي ، والمحلُّ جديب  
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ولسكننا وجه الكريم خصب  
وأشدنى الأبرش :

لا نبصن بدياً ، وهي مقلة فليس ينقصها لتبدير والديف  
وإن تولت فأحرى أن تحود بها فالحمد منها إذا ما أدبرت حلف

أبنا الأمازيغي حدثنا الغلاي حدثنا العقبى عن أبي مخنف لوط بن يحيى  
حدثني هشام بن عروة عن أبيه : أن قيس بن سعد بن عباد حرج من مصر ،  
فر بأهل بيت من القنن فزل بهم ، فنحر لهم صاحب المنزل حزواً وأدام به ،  
قال : دوسكم ، فلما كان من الغد نحر لهم آخر ، ثم حسهم السماء اليوم  
الثالث ، فنحر لهم مثله ، فلما أراد قيس أن يرتحل وصع عشرين نوباً من ثياب  
مصر وأربعة آلاف درهم عند امرأة الرجل ، وخرج قيس ، فصار إلا قليلاً  
حتى أتاه صاحب البيت على فرس كريم ورمح طويل ، وقدامه الثياب والدرهم ،  
فقال : يا هؤلاء ، خذوا بصاعتكم عني ، قال قيس : انصرف أيها الرجل ، فلما لم  
سكن لتأخذها ، فقال لرجل : لتأخذتها ، أو لا ينفد مسك رحل ، أو تذهب  
مسي ، فعجب قيس منه ، وقال : لِمَ ؟ الله أوك ! ألم تكرمنا وتحسن إلينا ؟  
فكافأناك ، ما يهدا من رأس ، فقال الرجل : إنا لا تأخذنا قرى اس السبيل  
وقرى الصيف نمتاً ، لا والله لا أعمل أبداً ، قل لهم قيس : أما يداني فتنوها  
منه ، فأخذه ، ثم قال قيس . مافضتني <sup>(١)</sup> رجل غير هذا .

حدثني أحمد بن عمرو الزبيبي بالبصرة حدثنا الحسن بن مدرك السدوسي  
حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الفرشي حدثنا سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب  
قال : لأن أشبع كبداً جائعة أحب إلي من حجة بعد حجة .

حدثنا محمد بن سعيد القزاز حدثني عيسى بن أبي موسى الأنصاري حدثني  
أبي حدثنا أحمد بن بشير عن هشام بن عروة عن أبيه ، قال : كان من دعاء قيس  
ابن سعد بن عباد « اللهم ارفني مالا وفعالا ، فيه لا يصلح الفعل إلا بالمال » .

### ذكر الحث على المجازاة على الصنائع

حدثنا الفصل بن الحباب الجمحي حدثنا عبد الرحمن بن بكر بن الربيع  
ابن مسلم ، قال : سمعت الربيع بن مسلم يقول : سمعت محمد بن زياد يقول : سمعت  
أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لا يشكر الناس  
لا يشكر الله » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على من أهدى إليه معروف أن يشكره  
بأفضل منه أو مثله ، لأن الإيصال على المعروف في الشكر لا يقوم مقام ابتدائه  
وإن قر ، فمن لم يجد فليثن عليه ؛ فإن الثناء عند العدم يقوم مقام الشكر  
للمعروف ، وما استعنى أحد عن شكر أحد .

ولقد أشدني محمد بن زنجي البغدادي :

فلو كان يستغنى عن الشكر ما حد لِعِزَّةِ مُلْكٍ ، أو علوِّ مكان  
لما أمر الله العباد شكره فقال : اشكروني أيها الثقلان  
وأشدني اسكريزي :

إذ المرء لم يشكر قليلا أصابه فبئس له عبد الكثير شُكُور  
ومن يشكر الخفوق يشكر لره ومن يكفر الخفوق فهو كعمور  
وأشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

حافظ على الشكر كي تستجزل القيس من صيغ الشكر لم يستكمل النعماء  
الشكر لله كنز لا يفاد له من يلزم الشكر لم يكسب به مدما

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الفلاني حدثنا العقي قال : مر سعيد بن العاص  
بدار رجل بالمدينة فاستسقى مسقوه ، ثم مر بعد ذلك بالدار ومند ينادي عليها  
فيمر يزيد ، فقال لمولاه : سأل لم يباع هذه ؟ فرجع إليه فقال : على صاحب دين ،  
قال : فارجع إلى الدار ، فرجع ، فوجد صاحبها جالسا وغريمه معه ، فقال : لم تبيع  
دارك ؟ قال : لهذا على أربعة آلاف دينار ، فنزل وتحدث معهما ، وبعث غلامه  
فأتاه بدرة فدفع إلى العريم أربعة آلاف ، ودفع الباقي إلى صاحب الدار وركب  
ومضى .

وأشدني المنتصر بن بلال :

ومن يُسدِّ معروفًا إليك ، فكُنْ له  
ولا تمخلن بالشكر ، والقَرْضُ فأنجزه  
شكوراً يكن معروفه غير صانع  
تكن خير مصنوع إليه وصانع

وأشدني بعض أهل العلم

فكن شاكرًا لمعين مفصلهم  
ومن كان ذا شكر فأهله ريدة  
وأفيل عليهم إذ قدرت وأمر  
وأهل لسل العرف من كان يُعِين  
وأشدني الكريزي .

أحق الناس منك بحسن عون من سلفك لكم نعم عليه  
وأشكرهم أحقهم جميعا بحسن صيغة منكم إليه  
قال أبو حامد رضي الله عنه : حر لا يكفر النعمة ، ولا يتسخط المصيبة ،  
بل عند النعم يشكر ، وعند مصائب يصبر ، ومن لم يكن لقلب المعروف عنده وقع  
أوشك أن لا يشكر الكثير منه ، والنعم لا تستجلب رباتها ولا تدفع الآفات  
عنها إلا بالشكر لله حل وعلا ، ومن أسداها إليه .

ولقد حدثني أحمد بن محمد القيسي حدثني محمد بن المنذر حدثنا إسحاق بن  
إبراهيم القرشي قال : سمعت أبا عبيدة معمر بن المثنى يقول : ماتت لعبيد بن معمر

بنت ، ففقد في المأتم في مسجده في سكة سبائوش ، فجاء عبيد الله بن أبي بكر  
معزياً ، وإذا الأشراف قد أخذوا مواضعهم ، فنظر إليه رجل قد كان سبق إلى  
مجلسه مع الأشراف قد عرته ، فقام قائماً ، وجلس يقول له : ههنا ، حتى أخذ بيده  
فأقبله في مجلسه ، ثم ذهب ففقد في أخريات الناس ، فأمر عبيد الله غلاماً كان  
معه أن يتعاهده إلى قيلمه ، فلما قام دعا الرجل ، فقال : أتعرفني ؟ قال : نعم ، قال :  
من أنا ؟ قال أنت عبيد الله بن أبي بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
قال : فحملك على تركك مجلسك لي ؟ قال : إجلالا لولد أصحاب رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، وما أوجب الله على أمثلي خصوصاً من التبجيل ، فقال له  
عبيد الله : هل لك على أن تصحبنا إلى ضيعة يريد أن نصير إليها ؟ قال : نعم ، قال :  
فصحب الرجل إلى تلك الضيعة في نهر مكحول ، ضيعة فيها ثلاثمائة جريب نخل ،  
وعلى وجه الضيعة قصر يسمى بأجر وحصى وحشيش ساج ، فلما دخل الضيعة أخذ  
عبيد الله بيد الرجل وجعل يدور به في تلك النخيل ، فقال للرجل : كيف ترى  
هذه الضيعة ؟ قال : تالله ما رأيت عميلاً أحسن منها ، ولا أكثر ثمرة ، ولا أسرى  
ضيعة منها ، قال : قد جعلناها لك بما فيها من الخدم والآلة نبعث إليك بصكها ،  
قال : فاستطار الرجل فرحاً وبكاءً ، وقال : أنشئت وأنشئت عيالي ، فقال  
عبيد الله : وكم لك من العيال ؟ قال : ثلاثة عشر نفساً ، قال : فإني قد جعلت  
اسم عيالك في اسم عيالي ، أنفق عليهم ما عشت ، فقال له عبيد الله : من يكون  
له مثل هذه الضيعة يحتاج أن يكون منزله في سرّة البصرة ، إذا صرنا إلى منزلك  
قاعد عليها نأمر منك بشراء دار تشبه هذه الضيعة ورأس مال ونخدم تصليح لدارك  
تعيش بها إن شاء الله ، قال : فقدا الرجل عليه ، فأمر له بشراء دار بمخمسة آلاف  
دينار ، وأعطاه عشرة آلاف دينار ، ودفع إليه صك الضيعة ، وأمر له بدانة وبغل  
وسائس وكسوة وصرفه .

وأشدى الأبرش :

الشكرُ يفتح أبواباً مغلقة      لله فيها على مَنْ رآه نَمَّ  
فبادر الشكر ، واستغلق وثائقه      واستدفع الله ما تجرى به النقم

حدثنا أحمد بن الحسن المدائني بمصر قال : سمعت الربيع بن سليمان يقول :  
أخذ رجل ركاب الشافعي ، فقال : يا ربيع أعطه أربعة دنانير ، قال : فأعطيته إياها .

وأشدى محمد بن إسحاق بن حبيب :

ومن بشكر العُرف الصغير فإنه      سيني ، وَيَجْتَرُّ المزيْد أصاغره  
ومن أشكر المعروف يحمده الله      ويضعف أضعافاً على الحمد شاكره  
وأشدى ابن زنجي البغدادي :

وإذا اصطغنت إلى أخيه      لك صبيعة ، فأَسَّ الصبيعة  
والشكر من كرم التقى      والكفر من لُزم الطبيعة  
والصبر أكرمُ صاحب      فأحببه إن نزلت فيه

حدثنا أحمد بن قريش بن بشر بن عبد العزيز حدثنا إبراهيم بن محمد الدهلي  
حدثنا أحمد بن حليل حدثنا يحيى بن أيوب عن أبي عيسى قال : كان إبراهيم  
ابن آدم إذا صنع إليه أحد معروفًا حرص على أن يكافئه ، أو يتفضل عليه ، قال  
أبو عيسى : فلقيني وأنا على حمار ، وأنا أريد بيت المقدس ، جاثيًا من الرملة ، قال :  
وقد اشترى بآربعة دنانير تنافحًا وسفرًا خلا وخوخًا وفاكة ، فقال : يا أبا عيسى ،  
أحب أن تحمل هذا ، قال : وإذا محمور يهودية في كوخ لها ، فقال : أحب أن  
توصل هذا إليها ، فإني مررت وأنا ممس ، فبيعتني عندها ، فأحب أن أكافئها  
على ذلك .

وأشدى الكريري :

يدُ المعروف غنمٌ حيث تُسدى      تحملها شكورٌ ، أم كفورٌ  
كني شكر الشكور لها جزاء      وعند الله ما كفر الكفور

وأشدنى بعض أهل العلم .

رهنتُ يدي للعجز عن شكر ربِّه وما فوق شكرى للشكور مزيد  
ولو كان شيء يستطاعُ استطعته ولكنَّ مالا يستطاع شديدُ  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على المرء أن يشكر النعمة ، ويحمد  
المعروف على حسب وسعه وطاقته ، إن قدر بالصَّعْف ، وإلا فبالمثل ،  
والا فبالمعرفة بوقوع النعمة عنده ، مع بدل الجزاء له بالشكر ، وقوله : جزاك الله  
خييرا ، فمن قال له ذلك عند العدم فكأنه أبلغ في الثناء .

ومن الناس من يكفر النعم ، وكفران النعم يكون من أحد رجلين : إما  
رجل لا معرفة له بأسباب النعم والحاراة عليها ، لما لم يركب فيه من التقدير لمراعاة  
العشرة ، فإذا كان كذلك وحب الإغضاء عنه ، وترك المدقشة على فعله ، والرجل  
الأخر : أن يكون ذا عقل لم يشكر النعمة ، استخفا بالنعمة ، واستحققرا للنعمة ،  
وتهورا في مهلهما أو لأحدهما ، فإذا كان كذلك يحب على العاقص ترك العود  
إلى فعل مثله ، والخروج باللائمة على نفسه إذا كان له خبرة به .

وأشدنى عبي بن محمد :

علامة شكر المرء إعلان حمده فمن كتم المعروف منهم فما شكرُ  
إذا ما صديق نال خيرا ، فحنتى فما الذنب عندى للذى خان أو فجرُ  
ولكن إذا أكرمته صد كفره فإي ملوم حيث أكرم من كمر

وأشدنى محمد بن إسحاق بن حبيب :

إذا أنا أعطيت القليل شكرتم وإن أنا أعطيت الكثير فلا شكرُ  
وما لمت نفسي في قضاء حقوقكم وقد كان لى فيما اعتدلت به عذر

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إني لأستحب للمرء أن يلزم الشكر للصنائع  
والسمى فيها من غير قضائها إذا كان المنعم من ذوى القدر فيه ، والاهتمام بالصنائع ،



لأن الاهتمام ربما فاق المعروف ، وراد على فعل الإحسان . إذ للمعروف  
يعمله المرء لنفسه ، والإحسان يصطنعه إلى الناس ، وهو غير مهتم به ، ولا مشفق  
عليه ، وربما فعله الإنسان وهو متكبره . والاهتمام لا يكون إلا من فرط عناية  
وفضل ودّر ، فالعاقل يشكر الاهتمام أكثر من شكره للمعروف .

أشدنى عبد العزيز بن سليمان .

لأنك شكرتك معروفا همت به إن اهتمامك بالمعروف معروف

ولا ألومك إن لم يمضه قدر والشئ بالقدر المحبوب مصروف

وأشدنى ابن زنجي المحدثي .

بغير المعية من صيغها ومضيغ الشكر مستدعى اعير

فاجعل الشكر عليها حارسا ربما ابتزّ القبيح السعي البطر

حدثني عمرو بن محمد حدثنا محمد بن زكريا حدثنا محمد بن عبد الله

الجشمي حدثني علي بن محمد قال : سر عمر بن هبيرة - لما اصرف في طريقه -

فسمع امرأة من قيس تقول : لا والذي يمجي عمر بن هبيرة ، فقل : يا غلام ،

أعطها ما معك ، وأعطها أنى قد تحوت .

### ذكر الحث على سياسة الرياسة ، ورعاية الرعية

حدثنا عبد الله بن قحطبة حدثنا العباس بن عبد العظيم العمري حدثنا مؤمل

ابن سماعة حدثنا سفيان حدثنا عبد الله بن دينار قال : سمعت ابن عمر يقول :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلاكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ،

فالأمير راع على رعيته ، ومسئول عنهم ، والرجل راع على أهل بيته ، وهو

مسئول عنهم ، والمرأة راعية على بيت زوجها ، وهي مسئولة عنه ، والعبد راع

على مال سيده ، وهو مسئول عنه »

قال أبو حنيفة رضي الله عنه : صرحت السنة عن المصطفى صلى الله عليه

موسلم ، بأن كل راع مسئول عن رعيته ، فالواجب على كل من كان راعياً لزوم التعاهد لرعيته ، فرعاة الناس العلماء ، وراعى الملوك العقل ، وراعى الصالحين تقواهم وراعى المتعلم معلمه ، وراعى اولد والده ، كما أن حارس المرأة زوجها ، وحارس العبد مولاه ، وكل راع من الناس مسئول عن رعيته .

وأكثر ما يجب تعاهد الرعية للملك ؛ إذ هم رعاة لها ، وهم أرفع الرعاة لكثرة نفاذ أمورهم ، وعقد الأشياء وحلها من ناحيتهم ، فإذا لم يراعوا أوقتهم ولم يحتاطوا لرعيتهم هلكوا وأهلكوا ، وربما كان هلاك عالم في فساد ملك واحد ، ولا يدوم ملكٌ ملك إلا بأعوان تطيعه ، ولا يطيعه الأعوان إلا بورير ، ولا يتم ذلك إلا أن يكون الوزير ودوداً بصوحاً ، ولا يوجد ذلك من الوزير إلا بالعفاف والرأى ، ولا يتم قوام هؤلاء إلا بالنال ، ولا يجد الدال إلا بصلاح الرعية ، ولا تصلح الرعية إلا بإقامة العدل ، فكأن ثبات الملك لا يكون إلا بلزوم العدل ، وزواله لا يكون إلا بعمارته .

فالواجب على الملك أن يتفقد أمور عماله ، حتى لا يحفى عليه إحسان محسن ، ولا إساءة مسيء ، لأنه إذا حفى عليه أعمال عماله لم يكن قائماً بالعدل ولقد أنشدنى عى بن محمد السامى :

إذا سُبِّتَ قوماً فاجعل العدل بينهم وبينك ، تأمن كل ما تتخوف  
وإن حِفَّتَ من أهواء قوم تشتا فبالجود فاجمع بينهم يتألفوا

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الفلابى ، حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب القاضى حدثنا الأصمعى قال : قال ملك طخارستان لنصر بن سيار : ينبغي للامير أن يكون له ستة أشياء : ورير يتق به ويفضى إليه سره ، وحصان يلجأ إليه إذا فرغ أنجاء يعنى فرساً ، وسيف إذا نازل به الأقران لم يخف أن يحونه ، وذخيرة خفيفة الحمل إذا نابته نائبة أخذها ، وامرأة إذا دخل إليها أذهبت همه ، وطباخ إذا لم يشته الطعام صنع له شيئاً يشتهي .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يجب للسلطان أن يفرط المشاشة والمهشاشة للناس ، ولا أن يقل منها ؛ فإن الإكثار منها يؤدي إلى الخفة والسخف ، والإقلال منها يؤدي إلى العجب والكبر ، ولا ينبغي له أن ينصب لأن قدرته من وراء حاجته ، ولا أن يكذب ؛ لأنه لا يقدر أحد على استكراهه ، ولا له أن يبخل ؛ لأنه لا عذر له في منع الأموال والجاه معه ، ولا له أن يحقد ؛ لأنه يجب أن يزرع عن الحازاة ، فأفصل السلطان ما لم يحالطه البطر ، وأعجزهم آخذهم بالهون ، وأقلهم نظرا في العواقب ، وخير لسلطان من أشبه النسر حوله الخفيف ، لا من أشبه الحيف حولها السور

ويجب عليه استبقاء الرياسة وما فيه من نعمة الله عليه بأروم تقوى الله ، وتفقد أمور الرعية ، وإنصاف بعضهم بعضا ؛ لأنه مامن قوى في الدنيا إلا ووقه أقوى منه ، فمضى ما عرف السلطان فضل قوته على الضعفاء ففرّ ذلك من قوة الأقوياء كانت قوته خيئاً عليه وهلاكاً له ، والضعيف المحترس أقرب إلى السلامة من القوى المعتز ؛ لأن سرعة الاسترسال لانكاد تستقال ، ولا يجب أن يجعل في سلطانه بعقب من يخاف أن يتدم عليه ، ولا يتقن عن عاقبه من غير حرم .

وما أشبه سلطان إلا بالفار ، إن قصرت بطل نعمها ، وإن جاوزت عظم ضررها ، فخير السلطان من أشبه الغيث في أحيائه في نفع من يليه ، لا من أشبه الماري أكلها ما يليها .

والسلطان إذا كان عادلاً خير من المطر إذا كان وابلاً ، وسلطان غشوم خير من فتنة تدوم ، والناس إلى عدد سلطانهم أحوج منهم إلى حصص زمانهم .

ولقد حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا لغلامي ، حدثنا مرجى بن المؤمل بن الشئبى للري عن أبيه قال : قال الأحنف بن قيس « الولي من الرعية مكان الروح من الجسد الذي لا حياة له إلا به ، وموضع الرأس من أركان الجسد الذي لا نقاء له إلا معه » .

وأشدنى ابن زحى الغدادي للأفوه الأودي :

لا يَصْنَحُ الناسُ قَوْضَى لاسِرَّةَهم ولا سِرَّةَ إذا حُبَّالِهِمْ سادوا  
والبيت لا يُتَقَى إلا بأعمدة ولا عماد إذا لم تُرْسَ أوتادُ  
فإن تَجْمَعُ أوتادُ وأعمدة وساكنٌ حركوا الأمر الذي كادوا  
تُهْدَى الأمور بأهل الرأي مصابحتُ فإن تولت هبالاً ثرار تقسادُ

قال أبو حاتم رضى الله عنه : اواجب على السلطان قبل كل شىء أن يبدأ  
بتقوى الله وإصلاح سريرته بينه وبين خالقه ، ثم يتفكر فيما قلده الله من أمر  
إخوانه ، ورفعهم عليهم ؛ ليعلم أنه مسئول عنهم في دق لأمر وجلبها ، ومحاسبٌ  
على قليلها وكثيرها ، ثم يتخذ وزيراً صالحاً عاقلاً غفياً نصحاً ، وعمالاً صالحين  
بررة راشدين ، وأعوذاً مستورين ، وحداً معلومين ، ثم يفقد عماله ما لاغنى له  
عنهم ، ويشترط عليهم تقوى الله وطاعته ، وأخذ المال من حله ، ويفرقه في أهله ،  
ثم يفقد أمر بيت المال بأن لا يدخله حبة مما فوقها من قهر أو حور ، أو سلب  
أو هب أو رشوة ؛ فإنه مسئول عن كل ذرة منه ، ومحاسب على كل حبة فيه ،  
ثم لا يخرجها إلا في المواضع التي أمر الله جل وعلا في سورة الأنفال <sup>(١)</sup> .

ثم يفقد أمور الحرمين وطريق الحاج ومجاورى بيت الله وقبر رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، ثم يفقد ثور المسلمين ، ولا يولى على الثور من عماله إلا  
من يعم أن القتل في سبيل الله يكون أثر عنده من البقاء في الدنيا ليغزى الناس  
ولا يعطل الثور .

(١) في قوله تعالى ( ٨ : ٤١ ) واعلموا أنى عنتم من شىء فأن لله حمسه والرسول  
ولدى القرى واليتامى والمساكين وابن السبيل — الآية ) : والآيات في هذا المعنى  
كثيرة

ثم يتفقد ثغور المسلمين ومراقبهم والأرحمة التي بين المسلمين وبين عدوهم ،  
بأن يعمرها ويقيم فيها أعيننا من المسلمين تنحس أخبار العدو ويُجَرى عليهم من  
بيت مالهم .

ثم يتفقد أولاد المهاجرين والأنصار عطائهم ، ويعرف فصيلتهم ، وساقه  
آناهم ، وأنه إنما نال مالهم .

ثم يتفقد أمور الحكم بأن لا يولى أحداً على قضاء السنين إلا من يعلم منه  
الصدق والعلم ، وترك أميل إلى الهوى والحكم يعبر ما يوجه العلم .

ثم يتفقد أهل العلم والقراء والمؤذنين والصالحين وصعفاء المسلمين ، وليكن لمن  
هو أصبغ سبأته أنا ، ولين هو أكرم منه أنا ، ولأثره <sup>(١)</sup> أخا ، فيكون في  
تفقد أمورهم ولصالح أسبأهم أكثر من تفقدهم أنفسهم .

ثم يختار من الرعية أقواماً أمناء ، يبعث بهم في كل سنة إلى المدن ، ليشرفوا  
على العمال والحكام ، ويتفقدوا أسبأهم وسيرهم ، ويخبروه بها فيعزل من استحق  
منهم العزل ، ويُقر من أسمع الحق .

ثم يجعل لنفسه موصلة لا يتبع منه لطرح انقصر ، ويبرز للرعية في كل يوم  
مرة ، أو في كل ثلاثة أيام ، وفي كل أسبوع ، يرفعوا إليه حوائجهم ، وليجتنب  
الحدة ويعلم الحلم الدائم في يرد عليه من أسبأهم .

واقعد حدثنا عبد الله بن قحطبة ، حدثنا محمد بن زنبور ، حدثنا أبو بكر  
ابن عيش ، أن أهل الحاهلية لم يكونوا يسودون عليهم أحداً لشجاعة ولا لسخاء  
إنما كانوا يسودون من إذا شتمهم ، وإذا سئل حاجة فضاها ، أو قام  
معهم فيها .

وأشدى الأشر :

وقد يُبَيِّصُ الحياتِ أولادُ آدم وأخصُ ما فيها إليهم رءوسها

(١) الأثراب : جمع ثوب - بالكسر - وهو المساوي لك في السن

وما ابتليت يوماً بشر قيسلة أضرت عليها من سميه يسوسها  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يستحق أحد اسم الرئاسة حتى يكون فيه  
ثلاثة أشياء : العقل ، والعلم ، والمنطق .

ثم يتعزى عن ستة أشياء : عن الحدة ، والمجالة ، والحسد ، والهوى ، والكذب ،  
وترك المشاورة .

ثم يلزم في سياسته على دائم الأوقات ثلاثة أشياء : الرفق في الأمور ، والصبر  
على الأشياء ، وطول الصمت .

فمن تعزى عن هذه الأشياء - وهو ذو سلطان - عى عليه قلبه ، ونشتت عليه  
أموره ، ومن لم يكن فيه خصلة من هذه الحصال نقص من ضوء نصر قلبه مثلها ،  
ودخل الخلل في أموره نحوه .

وإنما مثل الرئيس والرعية : كمثل جماعة ليس فيهم إلا قائد واحد ؛ فإن لم يكن  
ذلك القائد أحد الناس بصراً ، وألطفهم نظراً ، كان خليفه أن يوقعهم وإياه  
في وهلة تندق أعناقهم وعنفه معهم .

والواحد على السلطان أن لا يغفل عن الأشياء الأربعة التي صلاحه في دينه  
ودنياه فيها ، وهي ما حدثنا به عمرو بن محمد ، حدثنا القلابي حدثنا محمد بن  
عبد الله الحشمي حدثنا المدائني قال : خرج الزهري يوماً من عند هشام بن  
عبد الملك فقال : ما رأيت كاليوم ، ولا سمعت به كأربع كلمات تكلم بهن رجل  
أنفاً عند هشام بن عبد الملك ، فقبل له : وما هن ؟ قال : قال له رجل : يا أمير  
المؤمنين ، احفظ عني أربع كلمات ، فبهن صلاح مملكتك ، واستقامة رعييتك .  
قال : هاتهن ، قال : لا تبعدين عِدَّة لا تثق من نفسك بأنجزها ، ولا يغربك  
المرتقى ، وإن كان سهلاً ، إذا كان المحدث وعراً ، واعلم أن للأعمال جزاءاً ،  
فاتق العواقب ، وأن للأمور بفتات ؛ فكن على حذر .

وأنشدني المنتصر بن بلال :

بلاء الناس مد كماو إلى أن تأتي الساعة  
بحب الأمر والنهي وحب السع والطاعة  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب للعقل طلب الإمارة ، لأن من أوتيها  
عن مسألة وُكِّلَ إليها ، ومن أعطيها من غير مسألة أعين عليها ، ومن اشتهر  
بالرياسة فليحتز ؛ لأن الريح الشديدة لا تحطم السكلا ، وهي تحطم دوح الشجر  
ومشيّد البنيان .

وليُزَم المشورة ؛ فإن في المشورة صلاح الرعية ومادة الرأي ، وليصطنع إلى  
الناس كافة في الوقت الذي يقدر على الصنائع والمعروف قبل أن يجيئه الوقت الذي  
يعقد فيه القدرة عليها . وليعتبر بمن كان قبله من الملوك والأمراء والسادة والوزراء  
لأن من ظفر بأمر حسيم فأضاعه فاته ، ومن أمكنته الفرصة فأخر العمل فيها  
لا تكاد تعود إليه .

وإسضة بما هي قول الحق والعمل بالعدل ، لا التعاخر في مدب واستعمل العدل .  
ولقد حدثنا محمد بن سعيد الفزار ، حدثنا حطاب بن عبد الرحمن الجندى ،  
حدثنا عبد الله بن سليمان قال : قال أبو عمرة بن العلاء : كانوا لا يسوّدون إلا من  
تكاملت فيه ست خصال وتماهن في الإسلام السابعة : السخاء ، والتجدة ، والصبر  
والحلم ، والبيان ، والتواضع ، وتماهن في الإسلام الحياء .  
وأنشدني الكريزى :

إذا نلت الإمارة فاسمُ فيها إلى العبياء بالعمل الوثيق  
محمض خليفة لا عيبَ فيها وليس المحض كاللبن المذيق<sup>(١)</sup>  
ولا تكُ عندها حلواً فتُحصى ولا مرأ فتُنشَب في الحوق

(١) المحض : الحالم في حبه لا يشوبه شيء من جنس آخر ، واللبن المذيق :  
المختوط بالماء .

وكلُّ إمارة بلا قلبلا مَغَيَّرَ الصديق عن الصديق  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : من صحب سلطان فلا يحب أن يكتنه نصيحته ؛  
لأن من كتم السلطان نصيحته ، والأطباء مرضه ، والإخوان شَهَّة<sup>(١)</sup> ؛ فقد خان نفسه  
ومن يصحب السلطان لا ينجو من الآثام ، كما أن راكب العجل لا يأمن العشار ،  
ولا يحب أن يأمن غضب السلطان إن صدقه ، ولا عفو بته إن كذبه ، ولا يجرىء  
عليه ، وإن أدته ؛ لأن الخازم العاقل لا يشرب السم اتكالاً على ما عنده من  
التراب والأدوية .

وإلى لأستحب لمن امتحن بصحبة سلطان أن يعلمه لزوم تقوى الله والعمل  
الصالح ، كأنه يتعلم منه ، ويؤدبه كأنه يتأدب به ، ويتقى سقطاته ، والسخط إذا  
كان عن علة كان الرضا عنه موجوداً ، وإذا كان من غير علة يقطع حيثئذ الرجاء  
ولا يحب أن يمر كل ما أتى الملوك من أمورهما ؛ لأن في معرفتهم إيهاباً بعض العترة  
وهيئات ! من ذاصب السلطان فلم يفتتن ، ومن اتبع الهوى فلم يعطب ، إن الشجرة  
الحسنة ربما كان سبب هلاكها طيب ثمرتها ، وربما كان ذب الطاووس الذى  
فيه جماله سبب حرقه ؛ لأنه يتقله حتى يمنع من الحرب ، ومن صحب السلطان لم  
يأمن التغير على نفسه ؛ لأن الأسهار إما تكون عذبة ما لم تنصب إلى البحور ، فإذا  
وقعت في البحور مدحت ، على أن تعود العلماء عن أبواب الملوك زيادة في نور  
علمهم ، وكثرة غشيانهم إياهم غشاة على قلوبهم ، ومن صحب الملوك لم يأمن تغيرهم  
ومن رايهم لم يأمن تفقدهم ، وإن قطع الأمور دونهم لم يأمن فيها مخالفتهم ، وإن  
عزم على شيء لم يجد بداً من مؤامرتهم ، وأصبح شيء بالملوك الحدة .

ولقد حدثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي ، حدثنا يحيى بن معين ،  
حدثنا المبارك بن سعيد الثورى قال : كان يقال : خمس خلال هن أقيح شيء



من كره فيه : الحدة في السلطان ، والكفر في ذى الحسب ، والبخل في الفى ،  
والحرص في العالم ، والفتوة في الشيخ .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : رؤساء القوم أعظمهم هموما ، وأدومهم غموما ،  
وأشغلهم قويا ، وأشهرهم عيوباً ، وأكثرهم عدواً ، وأشدهم أحزاناً ، وأنكاهم  
أشجاناً ، وأكثرهم في القيامة حساباً ، وأشدهم - إن لم يعف الله عنهم - عذاباً .  
ومن أحسن ما يستعين به السلطان على أسبابه ، اتخاذ وزير غفيف ناصح على  
ما يقدم ذكره له ؛ فإن الوزير إذا غفل الأمير ذكره ، وإن ذكر أعانه ، وإن  
سوّلت به نفسه سنة صده ، وإن أراد طاعة شطه ، فهو محبوب له إلى الناس ،  
والستجيب له دعاءهم .

ولقد أنشدني على بن محمد البسامي :

إذا سى الأمير قضاء حق فإنّ الدنب فيه للوزير  
لأب على الوزير، إذا بولى أمور الناس ، نذ كير الأمير

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على كل من يغشى السلطان وامتنح  
بصحبتة أن لا بعد شتمه شتماً ، ولا إغلاطه إغلاطاً ، ولا التقصير في حقه ذهاباً ؛  
لأن ربح العزة بسطت لسانه ويده بالغلظة ، فإن أنزله الوالى منزلة رفيعة من نفسه  
فلا يثقف بها ، وليجانب معه كلام الملقى والإكثار من الدعاء في كل وقت ،  
وكثرة الالبسط ، فرت كلمة أثارت الوحشة ، بل يحتهد في توقيفه وتعظيمه عند  
الناس ، فإن غصب فليحتل في تسكين غصبه باللين والمدارة ، ولا يكون سبباً  
لتهيبجه .

ولقد حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال :  
بعث أبو جعفر إلى جعفر بن محمد قال : إن أسئورك في أمر ، إلى قد تأنيت أهل

المدينة مرة بعد أخرى فلا إراهم يرجعون ، ولا يُعتبرون<sup>(١)</sup> . وقد رأيت أن أمت فأحرق نخلها ، وأُفَوِّرَ عيونها . فما ترى ؟ فسكت جعفر . فقال : مالك لا تكلم ؟ قال : إن أذيت لي تكلمت . قال : قل ، قال : يا أمير المؤمنين ، إن سليمان أعطى فشكر ، وإن أيوب استلّى فصبر ، وإن يوسف قَدَّرَ ففقر . وقد جعلك الله من النسل النسي يعنون ويصفحون . قال : فطفي . غضبه وسكن .

حدثني محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثني محمد بن إبراهيم بن سعيد عن محمد بن حميد بن هرو عن أبيه قال : لما استقرت للأموون الخلافة ، دعا إبراهيم بن مهدي المعروف بابن شكلة ، فوقف بين يديه ، فقال : أنت الموثب علينا تدعي الخلافة ؟ فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين ، أنت ولي الثَّأر ، تُحَكِّمُ في القصاص ، والمغفر أقرب للتقوى ، وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب . كما جعل كل ذي ذنب دونك ، فإن أخذت أحدث بحق ، وإن عفوت عفوت بفضل ، ولقد حضرت أبي وهو جدك أني برحل كان حرمة أعظم من جري ، فامر الخليفة بقتله وعنده المبارك بن فضالة ، فقال المبارك بن فضالة : إن رأي أمير المؤمنين أن يستأني في أمر هذا الرجل حتى أحدثه بحديث سمعته من الحسن يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : إيه يا مبارك ، قال : حدثني الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان يوم القيامة نادى مادم بطنان العرش : ألا يقيم العافون من خلفاء ، فلا يقوم إلا من عفا ، فقال الخليفة له : يا مبارك ، قد قبلت الحديث ، وعفوت عنه ، أخرج أبها الرجل ، فلا سبيل لأحد عليك ، فقال الأمون : يا عم ، هاهنا ، يا عم ، هاهنا » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على من ملك أمور المسلمين الرجوع إلى الله حين وعلا في كل لحظة وطرفة ؛ لئلا يطغي ما هو فيه من تسطه ، بل يذكر

(١) يعتبرون - بضم حرف المضارعة - يزولون عني عليهم بترضيهم إياي .

عظمة الله وقدرته وسلطانه ، وأنه هو المنتقم عن ظلم ، والمجازي لمن أحسن ، فليزِم  
في إمرته السلوك الذي يؤديه إلى اكتساب الخير في الدارين ، وليستعِز بمن كان  
قبه من أشكاله ، فإنه لا محالة مسئول عن شكر ما هو فيه ، كما هو لا محالة مسئول  
عن حيايه ، إذ المصطفى صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله تبارك وتعالى يوم  
القيامة : ألم أحملك على العبر ، ورزقتك النساء ، وجعلتك ترأساً وترجاً ؟ فيقول :

بلى ، فيقول : فإين شكر ذلك ؟ »

وأنشدني ابن زنجي البغدادي :

يدتر أسبب الرجال مؤمر إذا صحت في الصدر أشنى وأبين  
من العنق أن تحتط فيه وبيته وتحسم ماتحشاه ، والأمر ممكن

### ذكر الدنيا وتقلبها بأهلها

حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد السلام ، حدثنا عبد الله بن هاني بن  
عبد الرحمن بن أبي عتبة ، حدثنا أبي عن عمه إبراهيم بن أبي عتبة عن أم الدرداء  
عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أصبح معافى في  
بدنه ، أماناً في سره ، عنده قوت يومه ، هكذا جيزت له الدنيا <sup>(١)</sup> يا ابن  
جشم يكفيلك منها ماسد حوشتك ، وورى عورتك ، فإن يكن ثوباً تلبسه  
فذاك ، وإن كانت دابة تركها قبيح ولقى الخبر ، وماء الحب ، وما فوق الإزار  
حساب عليك » .

---

(١) كذا في الأصل ، وليس سراقه بن مالك بن جشم ذكر في الحديث ، ولعله  
حديثان ، وفي الترمذي والترهيب : يروى عن ثوبان قال : قلت « يا رسول الله  
ما يكفي من الدنيا ؟ قال : ماسد حوشتك ، وورى عورتك ، وإن كان لك بيت  
يظلك فذاك ، وإن كانت لك دابة فبيع » رواه الطبراني في الأوسط .

قال أبو حاتم رضى الله عنه . الواجب على العاقل أن لا يفتخر بالدنيا وزهرتها ،  
وحسبها وسهولتها ، فيشتغل بها عن الآخرة البقية ، والعم الدائمة ، بل يبرها حيث  
أنزلها الله ؛ لأن عاقبتها لا محالة يصير إلى فناء ، يحرب عمرائها ، ويموت سكانها ،  
وتذهب بهجتها ، وتبيد حضرتها ، فلا يبقى رئيس متكبر مؤثر ، ولا فقير مسكين  
محقر ، إلا ويحرق عليهم كأس المايا ، ثم يصيرون إلى التراب ، فيلون حتى  
يرجعون إلى ما كانوا عليه في البداية إلى الفناء ، ثم يرث الأرض ومن عليها  
علام العيوب ، فالعاقل لا يركن إلى دار هذا ضتها ، ولا يطمش إلى دنيا هذه صفتها ،  
وقد ادحر له ما لآعين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فيصن  
بترك هذا القليل ، ويرضى بفوت ذلك الكثير .

حدثنا محمد بن المسيب بن إسحاق ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي قال :  
سمعت بشر بن الخارث يقول :

لا تأس في ادعيا على فائت وعشلك للإسلام والعافية  
إن فأت أمر كنت تسمى له فقيها من فائت كافي

وأنشدني الكويزي ، أنشدني شعيب بن أحمد لسليمان بن يزيد العدوي :

ألم تر أن لمؤ يؤدى شابه وأل الدنيا للرجال تشعب  
فمن فائق كاساً من الموت مرة وأخر أخرى مثله يترتب  
لها منهم زاد حيث وسائق وكل بكأس الموت يوماس يشرب  
وما وارث إلا سيورث ماله ولا سالب إلا وشيكاً سيب  
ولا آلف إلا سيقع بعه ولا نعمة إلا تبيد ونذهب  
وما من معدن وللصائب حمة يعاورها العصران إلا سيعطب  
أرى الناس أصنافاً أقاموا بقرية تقلم أيامها وتقلب  
بدار غرور حلوة يصرونها وقد غابوا فيها زوالاً وجربوا

بدمون ديا لا يريحون دَرَّها فلم أر كالدنيا تدم وتحلب  
تسرم طوراً ، وطوراً تَذيقهم مَضِيضَ مكاوِ خَرَّها يتلهب  
حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا محمد بن عبيد الله قال : عاد  
رجل مريضاً فسمع قائلًا يقول من ناحية البيت :  
بادربَّ الدار ذا المال الذي جمع الدنيا بحرص : ما فمَلَّ ؟  
فأجابه محيب :

كان في دار سواها دارُهُ علقته بالمى ، ثم انتقل  
لم يمتنع بالدى كان حوى من حطام المال ، إذ حلَّ الأهل  
إعما الديب كظلي زائل طلعت شمس عليه فاصمحل  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : رأيت على حجر بطبرستان مكتوب :  
العيش لوزان : فحلو ومرّ والدر بصمان : فريف<sup>(١)</sup> وصر  
والنطق جزآن : فبعر ، ودّر والناس اثنان : ففذل ، وحر  
يومك يومان : فخير ، وشر نهاس يزول ، وليل بُكرُ  
وكذاك الزمان على من مضى وكل السنين على ذا تمرّ  
وأنشدني الأبرش :

إعما الدنيا نهارُ ضوءها ضوء معارُ  
بين غصنك غصنُ ما عمّ فيه اخضرار  
إذ رماء زمنه فإذا فيه اصفرار  
وكذاك الليل يأتى ثم يحويه النهار

وأنشدني ابن رجبى البغدادي :

(١) الريف - بالكسر - أرض فيها زرع وخصب ، وسعة في المأكل والشرب .  
والآيات غير متسقة الوزن .

يَلاَثِمُ الدَّهْرُ إِذَا مَانِيَا      لَأَنَلِمُ الدَّهْرُ عَلَى غَدْرِهِ  
الدَّهْرُ مَأْمُورٌ لَهُ أَمْرٌ      يَبْصُرُ الدَّهْرُ إِلَى أَمْرِهِ  
كَمْ كَافِرٍ بِاللَّهِ أَمْوَالُهُ      تَزْدَادُ أَضْعَافًا عَلَى كَعْرِهِ  
وَمُؤْمِنٍ لَيْسَ لَهُ دَرَاهِمُ      يَزْدَادُ إِيمَانًا عَلَى قَعْرِهِ  
لَا خَيْرَ يَمِينٍ لَمْ يَكُنْ عَاقِلًا      يَبْسُطُ رِجْلِيهِ عَلَى قَدْرِهِ  
وَأَشَدُّنِي الْكَرِيرِي :

مَا الدَّهْرُ إِلَّا لَيْلَةٌ رِيَوْمٌ      وَالْدَيْشُ إِلَّا بِقِطْعَةٍ وَنَوْمٌ  
يَعِيشُ قَوْمٌ ، وَيَمُوتُ قَوْمٌ      وَالْدَّهْرُ قَاضٍ مَا عَلَيْهِ لَوْمٌ  
أَبَانَا عَبْدَ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ سَلَمٍ ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِي ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ  
الْمَوْصِلِيُّ قَالَ : قَالَ أَبُو حَرْزَمٍ : ضَاعَتِ الْآخِرَةُ كَاسِدَةً ، فَاسْتَكْثَرَ مِنْهَا فِي أَوَّلِ  
كَسَادِهَا ؛ فَإِنَّهُ لَوْ جَاءَ أَوَّلُ نَفَاتِهَا ، تَصَلَّ مِنْهَا لَا إِلَى قَلِيلٍ وَلَا إِلَى كَثِيرٍ .  
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الدُّنْيَا مَحْرُطَةٌ ، وَالنَّاسُ فِي أُمُوجِهَا يَمُومُونَ ،  
وَفِي أُمُتَالِهَا تَضْرِبُهَا الْأَيَّامُ لِلْأَنَامِ — وَمَا أَكْثَرَ أَشْبَاهَهَا مِنْهَا — لِأَنَّ كُلَّ مَا يَصِيرُ  
إِلَى فَنَاءٍ مِنْهَا يَشْبِهُهَا ، فَمَنْ أَوَى مِنْ الدُّنْيَا أَشْيَاءَ ثَلَاثَةَ فَقَدَ أَوَى الدُّنْيَا بِحَذَائِيرِهَا :  
الْأَمْنُ ، وَالْمَوْتُ ، وَالصَّحَّةُ ، لَا يَفْتَرِ بِشَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا كُلُّ خَدَاعٍ ، وَلَا يَرْكُنُ إِلَيْهَا  
إِلَّا كُلُّ مَنَاعٍ .

فَالْعَاقِلُ يَعْلَمُ أَنَّ مَا لَمْ يَبْقَ لغيرِهِ عَلَيْهِ غَيْرُ بَاقٍ ، وَأَنَّ مَا سَلَبَ عَنْ غَيْرِهِ لَا يَتْرَكَ  
عَلَيْهِ ، فَالْقَصْدُ إِلَى مَا يَعُودُ بِالنَّفْعِ فِي الْآخِرَةِ لِلْعَاقِلِ مِنَ الدُّنْيَا ، أُخْرَى مِنَ السُّوْكِ  
فِي قَصْدِ الضَّنِّ بِهَا ، وَالْجَمْعُ لَهَا مِنْ غَيْرِ تَقْدِيمٍ مَا يَقْدُمُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْأَعْمَالِ  
الصَّالِحَةِ ، وَتَرْكُ الْإِغْتِرَارِ بِهَا وَالْإِعْتِبَارِ بِتَقْلِبِهَا بِأَهْلِهَا ، وَلَا شَيْءَ أَعْظَمَ خَطَرًا مِنَ  
الْحَيَاةِ ، وَلَا غَبْنٍ أَعْظَمَ مِنْ إِفْنَانِهَا لِغَيْرِ حَيَاةِ الْأَبَدِ ، وَمَنْ اشتهى أَنْ يَكُونَ حُرًّا  
فَلْيَجْتَنِبِ الشَّهَوَاتِ ، وَإِنْ كَانَتْ لَدَيْنَهُ ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ كُلَّ لَدِينٍ لَيْسَ بِنَفْعٍ ، وَلَكِنْ

كل باع هو اللذيد ، وكل الشهوات مملوئة إلا الأرباح فإنها لا تمل ، وأعظم الأرباح الجنة ، والاستغناء بالله عن الناس .

ولقد أشدني على بن محمد السامي :

فأعظم نصير للزمان ، فإنه على حالة المكروه ليس بدائم  
تدور لنا أفلاكه معجائب إذا ما انقضت كانت كأحلام نائم  
سرور وهم وانتعاش ، وسقطة إلى أجل دانٍ لذلك هادم  
وبالله دون الناس ، فاستغن واستغن إذا أنزلت إحدى الأمور العظام  
وأشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

والناس في هذه الدنيا على رتب هذا يحط ، وإذا يعلو فيرتفع  
فأخلص الشكر فيما قد حُيت به وآثر الصبر ، كل سوف ينقطع  
وأشدني المتصر بن بلال :

يوم علينا ويوم لنا ويوماً ساء ، ويوماً نُسّر  
كذلك التقارض بين الأيام فخير محير ، وشرّ بشر

أنا محمد بن عبد الله بن الجنيد ، حدثنا عبد الوارث بن عبد الله عن عبد الله عن مسعر عن معن بن عون قال : كم من مستقبل يوماً لا يستكمله ، ومنظّر غداً لا يدركه ، لو تنظرون إلى الأجل ومسيره ، لأبغضتم الأمل وغروره .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : السبب المؤدي للعاقل إلى إزاله الدنيا منزلتها ، ترك الركون إليها مع تقديم ما قدر منها للعيش الدائم ، والنعيم المقيم هو ترك طول الأمل ، ومراقبة ورود الموت عليه في كل لحظة ومطرفة ؛ لأن طول الآمال غطت أعناق الرجال ، كاسراب أحلف من رجاء ، وخاب من رآه .

فالعاقل يلزم تركها ، مع لا اعتبار الدائم بمن مضى من الأمم السالكة ، والقرون للآصية ، كيف عَفَتْ آثارهم ، واضمحلت أنباؤهم ، فما بقي منهم إلا الذكر ، ولا

من ديارهم إلا الرسم ، فسبحان من هو قادر على نعمهم وجمعهم للجزء والعقاب .  
 ولقد أنشدنا عمرو بن محمد ، قال : أشدنا العلابي قال : أشدني مهدي بن سابق :  
 كد على ظهرها ، والعيش ذو مهل      والدهر يجمعنا ، والدار والوطن  
 ففرق الدهر ذر التصريف ألفت      فالיום يجمعنا في بطنها الكفر  
 كذلك الدهر لا يبقى على أحد      تأتي بأقداره الأيام والزمن  
 وأنشدني محمد بن عبد الله العدادي :

حتى متى يبقى حليف الأسي      مستشعراً الدهر أحزنا  
 فلا يرُدُّ الحزن شيئاً ، ولا      يُعَيِّبُ هذا الدهر إسنا  
 قد يُقبل الدهر سرَّائه      طَوَّراً ، وقد يدر أحيانا  
 فاصبر على ماجر من حادث      مزال غداراً وح وانا  
 وأحسن الطنَّ عنُّ لم يزل      عليك مفضالاً ومنانا  
 وأنشدني عمرو بن محمد قال : أشدنا الغلابي لابن أبي عيينة المهلبى :

ماراح يوم على حي ولا ابتكرا      إلا رأى عبرة فيها إن اعتبرنا  
 ولا أت ساعة في الدهر فأنصرفت      حتى نوثر في قوم لها غيرا  
 إنَّ الليالي والأيام أنفسها      عن غيب أنفسها لم تكتب الخيرا

أنا ما على بن سعيد السكري ، حدثنا إبراهيم بن الجنيد ، حدثنا الحسن بن  
 سعيد الجرجاني قال : سمعت أبا مريم الصلت بن كلثم يقول : كانت امرأة من  
 بني إسرائيل متعبدةً ، وكانت تفطر كل سبت ، فينأى ذات يوم قد وضعت  
 إقطارها بين يديها حملت تقول : محب يحب حبيبه يشاغل بالأكل عن خدمة  
 محبه ، فيوشك أن يقدم عليه رسول حبيبه وهو منشغل بأكله عن خدمته ، فلا  
 تترك عينه في لقائه ، فكنت كذلك مدة لا تنظر . قال : ثم وضعت إقطارها بين  
 يديها ، وجعلت تقول مثل ما كانت تقول ، وإذا شاب من ناحية البيت جميل



الوجه طيب الريح ، فقال . سلام عليك ورحمة الله وحبيبة الله ، أو يا ولية الله ،  
قالت : وعليك السلام ، من أنت ؟ قال : أنا ملك الموت ، قالت : يا ملك الموت ،  
أتأذن لي أن أسجد سجدة أناجي فيها ربي ، فإذا رأيته قد فعلت ذلك قبضت  
روحي ؟ قال : لك تلك ، قال : فتحت إبطارها ، ثم وثبت فسجدت ، قبض  
روحها في اجتهادها رضى الله عنها .

### ذكر الحث على لزوم ذكر الموت ، وتقديم الطاعات

حدثنا عبد الله بن محمد بن سليمان السعدي ، حدثنا يحيى بن أكرم ، ومحمود  
ابن عيلاق قالوا : حدثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي  
هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثروا ذكر هاذم الذات :  
الموت »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على الماقل أن يصم إلى رعاية ما ذكرنا  
من شُعب العقل في كفائنا هذا لزوم ذكر الموت على الأوقات كلها ، وترك  
الاعتراض بالديا في الأسباب كلها ، إذ الموت رَحَى دَوَّارَةِ بَيْن الخلق ، وكأس يُدارُ  
بها عليهم ، لا بد لكل ذى روح أن يشربها ويذوق طعمها ، وهو هاذم الذات ،  
ومتغص الشهوات ، ومكدر الأوقات ، ومزيل الماهات .

ولقد أشدنى عبد العزيز بن سيمان :

أيا هاذم الذات ، مامنك مهربٌ      تحاذر نفسى منك ماسي صيبها  
رأيتُ المفايا قسمت بين أنفس      ونفسى سبأتى بعدهن نصيبها

وأشدنى الكريزى :

إنَّ من عاش آمناً في سرورٍ      قاعدٌ من سروره في غرور  
ما لمن يذكرُ المقار والمو      ت إذا كان غافلاً من سرور

حدثنا عمرو بن محمد الغلابي ، حدثنا مهدي بن سابق قال : قرىء على قصر هذه الأبيات :

هذه منازل أقوام عهدتهم في ظل عيش عجيب ، ماله حظ  
صاحت بهم حادثات الدهر ، وتقلبوا إلى القبور ، فلا عين ، ولا أثر

حدثنا محمد بن إبراهيم الخالدي ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثني إبراهيم بن عبد الملك ، حدثني علي بن سلة الحنلي قال : سمعت أبي يقول : كان معاوية يقول « أنا والله من زرع قد استحصد » ونبي له عبد الله بن عامر بن كريز ، والوليد بن عقبة ، وكان أحدهما أكبر منه ، والآخر دونه ، فقال :

إذا سار من خلف امرئ وأمامه وأفرد من إخوانه ، فهو سائر  
حدثنا أحمد بن محمد بن مصعب الشافعي ، حدثنا عبد الله بن محمد قل : سمعت  
عبد الله بن مسلم بن زياد الهمداني قال : سمعت عمر بن ذر يقول :  
ورث فتى من الحنلي داراً عن آفاته وأحاده هدم ، ثم ابتناها وشييدها ،  
فأتي في منامه فقيل له :

إن كنت تطمع في الحياة فقد ترى أرباب دارك ما كانوا الأموات  
أنتي تحبس من الأكارم ذكركم ؟ خلت الديار وبادت الأصوات  
قال : فأصبح الفتى منتظماً قد أمسك عن كثير مما كان يصنع ، وأقبل على نفسه .

حدثنا عمر بن حمص الزاز ، حدثنا إسحاق بن الصيف ، حدثنا حفص بن عوف قال : سمعت مسعراً يقول :

وشيد داراً ليسكن داره سكن القبور وداره لم يكن  
وأشدني ابن زنجي البغدادي :

لو أنني أعطيت سؤلي لما سألت إلا العفو والعافية

فكم فتى قد بات في سعة فسل منها الليلة الثانية ؟  
حدثنا حمزة بن داود بن سليمان ، بالأبلة ، حدثنا زهل بن أبي شراة القيسي ،  
قال : حدثني سكينه - وكانت علامة - قالت : قال لي أبو العتاهية : دخلت  
على هارون أمير المؤمنين ، فلما تبصر لي قال : أبو العتاهية ! قلت : أبو العتاهية ،  
قال : الذي يقول الشعر ؟ قلت : الذي يقول الشعر . قال : عظمى ما يأت شعر ،  
وأرجز ، فأشدته :

لأن آمن الموت في طرف ولا نفسي ولو تمنعت بالحجاب والحرس  
واعلم بأن سهام الموت قاصدة لكل مدبرع منا ومترس  
ترجو النجاة ، ولم تسلك مسلكها إن السمية لا تجري على اليس  
قل : فخر منشأ عليه ، أو كما قال .

حدثنا عمرو بن محمد . حدثنا يعلاني ، حدثنا أبو جعفر البغدادي قال : قرأت  
على باب قصر بالسند :

نزل الموت منزلا سلب القوم وارمحل  
فقلت : مهذا ؟ فقالوا : مات أهل القصر كلهم ، فأصبحوا وهذا الكتاب على  
الباب لا يدري من كتبه ، وأنشدني أبياسي :

قد يصح المريض بعد إيس كان منه ويهلك العواد  
ويُضاد القطا فينجو سليما بعد هلك ، ويهلك الصبياد  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحافل لا ينسى ذكر شيء هو مترقب له ، ومتنظر  
وقرعه من قدم إلى قدم ، ومن لحظة إلى شجرة ، فكم من مكرم في أهله ، معظم  
في قومه ، مبجل في جبرته ، لا يخاف الضيق في المعيشة ، ولا الصك في المصيبة ،  
إذ ورد عليه مدل الملوك ، وقاهر الجبابرة ، وقاصم الطغاة ، فألقاه صريعاً بين الأحبة  
وجيرانه ، مفارقاً لأهل بيته وإخوانه ، لا يمكن أن يكون له نعاء ، ولا يستطيعون عنه

دفعاً . فكم من أمة قد أبادها الموت ، وبلدة قد عطلها ، ودات جعل قد أرمها ،  
وذى أب أبتمه ، وذى إسوة أفرده .

فالعامل لا يفتقر بحالة نهايتها تؤدى إلى ماقلنا ، ولا يركن إلى عيش مغيبته ما ذكرنا  
ولا ينسى حالة لا محالة هو موافعها ، وما لاشك يأتيه ، إذ اموت طاب حيث  
لا يعجزه القيم ولا ينفلت منه الهارب . ولقد حدثنا محمد بن إبراهيم الخالدي ،  
حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثني سلمة بن شبيب حدثنا سهل بن عاصم قال : سمعت  
الوضاح بن حسان يقول : سمعت ابن السماك يحدث قال : بينما صياد في الدهر الأول  
يصطاد السمك ، إذ رمى بشبكة في البحر ، فخرج فيها جمجمة إنسان ، فجعل  
الصياد ينظر إليها ويبكى ، ويقول : عزيز ، فلم تترك لعمرك ، غنى ، فلم تترك لعمرك  
فقير ، فلم تترك لعمرك ، جواد ، فلم تترك لجودك ، شديد ، فلم تترك لشدتك ، عالم ،  
فلم تترك لعمرك ؟ يردد هذا الكلام ويبكى .

وأشدنى الكريزى :

أمواك لذوى الميرث نجحها      ودورنا لخواب الدهر بنينا  
والنفس تكلف بالديار ، وقد علمت      أن السلامة فيها ترك ما فيها  
فلا الإقامة تنجى النفس من تلف      ولا الفرار من الأحداث ينفعها  
وكل نفس لها زورٌ يصبُّحها      من التنية يوما أو يسبها

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الفلابي ، قال : سمعت ابن واقد المديني قال :  
حدثنا عبد المنعم الرياحي قال : فقد مالك بن دينار يوماً ، فقالوا : أين كنت  
يا أبا يحيى ؟ قال : خرجت إلى الأبله ، قالوا : ما أحسن ما رأيت ؟ قال : ما رأيت  
شيئاً أعجبت به إلا أنى رأيت امرأة تصلى ، فقالوا له : يا أبا يحيى ، فما أعجبت  
شيء رأيت ؟ قال : رأيت بالبحرين قصرأ مشيداً ، وإذا على بابه مكتوب :  
طلبتُ العيش أحمداً ناعميه      وعشتُ من المعاش والنعم

فلم ألتِ وَرَبَّ النَّاسِ طَوْرًا      سلبتُ من الأُفارب والحِمْ  
وأشدى لأُرش :

والنفس وإن كانت على وجل      من المنية آمل تقويها  
والرءُ يَسطها ، والدهر يقبضها      والنفس تنشرها ، واللوت يطويها  
أنا أنا حمزة بن داود بن سليمان بالأبلة ، حدثنا الهدادي ، حدثنا طيس الكلبي  
عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال : لقبي عمران بن حطان فقال لي : يا أحمى ،  
إنني عالم بخلافك ، ولكنك رجل تحمط ؟ فاحفظ عني هذه الأبيات :

حتى متى نقي العوس بكأسها      ريب المنون ، وأنت لاهٍ ترتع ؟  
أفقد رصيت بأن تعلق باني      وإلى لمنية كل يوم تدفع ؟  
أحلام نوم ، أو كطل زائل      إنَّ اللبيب يمثله لا يخذع  
فزودنَّ ليوم ففرك دائباً      واجمع لنفسك لا لتفرك تجمع  
حدثنا محمد بن نصر بن موقل الروزي ، قال : سمعت أبا داود السنجي يقول :  
خرج أبو معاذ النهوي يوماً على أصحابه فقال : إنه قد نُعيت إلي نفسي البارحة ،  
أتاني آت فقال :

يا أيها الإنسان ، إنك متٌ      عما قليل ، قم لنفسك واقعد  
فكان ما قد كان لم يك إذ مضى      وكان ما هو كائن فكان قد  
حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا حملة بن يحيى قال : سمعت الشافعي كثيراً  
ما يفشد :

تحنى رجال أن أموت ، وإن أمت      فذلك سبيلٌ لستُ فيها بأوحد  
فقل الذي يبقى خلاف الذي مضى      تهاً لأخرى مثلها فكان قد  
حدثنا أحمد بن محمد الشافعي ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثني إسماعيل  
ابن عبد الله المجني قال : أشدنا رجل ونحن في المقبر :

ألا بعسكر لأحيا . هذا عسكر الموتى  
أجابوا الدعوة الصغرى وهم منتظرو الكبرى  
يخشون على الزاد وما زاد سوى التقوى  
يقولون لكم . جدوا فهذا آخر الدنيا

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن الله جل وعلا خلق آدم وذريته من الأرض ،  
فأمشاهم على ظهرها ، فأكلوا من ثمارها ، وشربوا من أنهارها ، ثم لأمحالة تنزل  
المنية بهم ، وتغنيهم عن السعي والحركات ، مع تعطيل الجثث والآلات ، ثم تسيدهم  
إلى الأرض التى منها خلقهم ، حتى تأكل لحومهم ، كما أكلوا أثمارها ، وتشرب  
دماءهم كما شربوا من أنهارها ، وتقطع أوصالهم كما مشوا على ظهرها ، فالتقى أول  
منزل من منازل الآخرة ، وآخر منزل من منازل الدنيا ، فطوبى لمن مهد فى دنياه  
لقبره ، وقدم منها لآخرته . فكم عقرت الأرض من عزيز وأفقدت الفير من أيس .

حدثني محمد بن إبراهيم الخالدي ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثني محمد بن  
عباس ، حدثنا إبراهيم بن يزيد قال : رأيت أعرابيا وقف على مقبرة وهو يقول :

لكل أناس مقبر بعنائهم فهم يتقصون ، والقبور تزيد  
وما إن ترى دارا لمحي قد أقفرت وقبرا لميت بالقضاء جديد  
فهم جيرة الأحياء ، أما محلهم فدان ، وأما الملقى فبيسد

وأنشدني أحمد بن عبد الله الكرجي لسر بن شبة فى نفسه :

يا ابن سبعين وعشرين وثمان كاملات  
غرضا للموت مشغو لا تحذ منى وهات  
ويك ، لاتعلم ما تلتقى به بعد المات  
من صفار موبقات وكبار مهلكات  
يا ابن من قد مات من آباءه والأمهات

هل ترى من خالد من ذى طغاة وعُتاة ؟  
إن من يتتاع بالدين خبيسات الحياة  
لنبي الرأي محسوف بطول الحسرات

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا القلابي ، حدثنا شعيب بن واقد المري عن  
عبد المنعم الرياحي قال : سمعت صالح المري يقول : دخلت القابر يوماً في شدة الحر  
فنظرت إلى القبور خامة ، كأنهم قوم صموت ، فقلت : يا سبحان الله ! من يجمع  
بين أرواحكم وأجسامكم بعد افتراقها ، ثم يحبيكم وينشئكم من طول البلى ؟ قال :  
فتنادى مناد من بين تلك الحفر : يا صالح ( ٣٠ : ٢٥ ) ومن آياته أن تقوم السماء  
والأرض بأسرها ، ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم مخرجون ) قال : فسقطت  
والله نفسي على .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : قد ذكرنا البسير من الكثير من الآثار ، والقليل  
من الجسيم من الأخبار ، في كتابنا هذا بما نرجو أن القاصد إلى سلوك سبيل ذوى  
الحجى ، والسالك مقصد سبيل أولى النهى ، يكون له فيها غنية إن تدبرها  
واستعملها ، وإن كنا تنكبنا طرق المسانيد ، ونخرج الحكايات ، وأناشيد الأشعار ،  
إلا ما لم نجد بدا من إخراجها ، كالإيماء إلى الشيء ، والإشارة إلى المقصد ، جعلنا  
الله ممن دعت به تباشير التوفيق إلى القيام بحقائق التحقيق لأنه منتهى الغاية عند رجاء  
المؤمنين ، والمأن على أوليائه بمنازل للمقربين .

وحلى الله على محمد خاتم النبيين ، وعلى آله الطاهرين الطيبين ، والحمد لله  
رب العالمين .

وجد في النسخة الأصلية ماصورته :

فرغ من نسخته بعون الله ورحمته العبد الفقير إلى عفوره أحمد بن محمد بن  
سالم بن جناب المنيجي ، بالرها المحروسة ، يوم الثلاثاء حادي عشر المحرم سنة  
ثمان وعشرين وستمائة ، ختم الله له بخير ولوالديه ولجميع المسلمين ! .

---



# فهرس

## روضة العقلاء وثرمة الفضلاء

٣	ترجمة الإمام ابن حبان	٧٨	ذكر استحباب افشاء السلام
١٣	مسند الكتاب		واظهار البشر والتبسم
١٤	مقدمة »	٨١	ذكر ما أبيح من المزاح للمرأة
١٦	ذكر الحث على لزوم العقل		وما كره له منه
	وصفة العقل اللبيب	٨٥	ذكر استحباب الاعتزال من
٢٧	ذكر اصلاح السرور لزوم		الناس عاماً
	تقوى الله تعالى	٩٠	ذكر استحباب المؤاخاة للمرأة
٣٤	ذكر الحث على لزوم العلم		مع الخاص
	والمدارمة على طلبه	٩٨	ذكر كراهية المعادة للناس
٤٣	ذكر الحث على لزوم الصمت	١٠٤	» الحث على محبة الأخيار
	وحفظ اللسان		والزجر عن عشرة الأشرار
٥٣	ذكر الحث على لزوم الصدق	١٠٨	ذكر كراهية التلون في الوداد
	ومجانبة الكذب		بين المتواخين .
٥٨	ذكر الحث على لزوم الحياء	١١٣	ذكر ائلاف الناس واختلافهم
	وترك القحة	١٢٠	» الحث على زيارة الإخوان
٦٤	ذكر الحث على لزوم التواضع		وإكرامهم
	ومجانبة الكبر	١٢٤	ذكر صفة الأحق والجاهل
٦٦	ذكر استحباب التعجب إلى	١٣١	» الزجر عن التجسس
	الناس من غير مقارنة المأثم		وسوء الظن
٧٣	ذكر استعمال لزوم المداراة وترك	١٣٥	ذكر الحث على مجانبة الحرص
	المداينة مع الناس		للعاقل

٢٢٥ ذكر الحث على لزوم الرفق في أمور وكرهية المجلة فيها	١٣٩ ذكر الزجر عن التحاسد والبغضاء
٢٢٨ ذكر الحث على تعلم الأدب ولزوم المصاحبة	١٤٥ ذكر الحث على مجانية الغضب وكرهية المجلة
٢٣٤ ذكر إباحة جمع المال للقائم بحقوقه	١٤٨ ذكر الزجر عن الطمع إلى الناس
٢٤٠ الحث على إقامة المروءات	١٥٢ الحث على مجانية المسألة وكرهيتها
٢٤٦ باب الحث على لزوم السخاء ومجانبة البخل	١٥٦ ذكر الحث على لزوم القناعة
١٥٤ ذكر الزجر عن ترك قبول الهدايا من الإخوان	١٦١ الحث على لزوم التوكل على من ضمن الأرزاق
٢٤٨ ذكر استحباب التفريج عن الناس بقضاء الحوائج	١٦٥ ذكر الحث على لزوم الرضا بالتشديد والصبر عليها
٣٦٥ ذكر الحث على إعطاء السؤال وطلب المال	١٧٤ ذكر الحث على الصوعن الجاني
٢٧١ ذكر الحث على الضيافة وإطعام الطعام	١٨٠ صفة الكريم والثلثم
٢٧٦ ذكر الحث على المجازاة على الصنائع	١٨٥ الزجر عن قبول قول الوشاة
٢٨١ ذكر الحث على سلسة الرياسة ورعاية الرعية	١٩١ استحباب قبول الاعتذار من المعتذر
٢٩١ ذكر الدنيا وتقلبها بأهلها	١٩٦ ذكر الحث على لزوم كتمان السر
٢٩٣ الحث على لزوم ذكر الموت وتقديم الطاعات	٢٠٣ الحث على لزوم النصيحة للمسلمين كافة
(تم الفهرست)	٢٠٧ مطلب وصية الخطاب بن المعل الحزوي ابن
	٢١٣ ذكر الزجر عن نهج المسلمين كافة
	٢١٨ الحث على لزوم الحلم عند الأذى